المدينة المنورة في العصر المملوكي

(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

دراسة تاريخية

إعداد

عبد الرحمن مديرس المديرس

١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

ⓒ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
المديرس، عبدالرحمن مديرس
المدينة المنورة في العصر المملوكي ـ الرياض.
٤٣٧ ص؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٤-٦١-٧٢٦-٩٩٦٠
١ ـ المدينة المنورة ـ تاريخ ـ عصر المماليك أ ـ العنوان
ديوي ١٢٢، ٩٥٣ ٠٩٣٦/ ٢١

رقم الإيداع: ٠٩٣٦/ ٢١
ردمك: ٤-٦١-٧٢٦-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص . ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ فاكس ٤٦٥٩٩٩٣

المحتويات

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن موضوع هذه الرسالة هو: **المدينة المنورة في العصر المملوكي «دراسة تاريخية»**. وتأتي أهمية دراسة هذا الموضوع من المكانة الخاصة التي تمثلها المدينة عند المسلمين، ففيها ثاني الحرمين الشريفين وإليه تشد الرحال، وكانت أول عاصمة للدولة الإسلامية، ومن تكون له السيطرة عليها يصبح له مكانة خاصة في نفوس المسلمين . ونظراً لعدم وجود سلطة مركزية في الجزيرة العربية بعد انتقال الخلافة من المدينة فقد أخذت القوى المحلية تتصارع للسيطرة على المدن والأقاليم، وتمثل الصراع في الفترة المملوكية في المدينتين المقدستين بين أشرافها من الحسنيين والحسينيين، وكان لهذا الصراع أثر في أوضاع المدينة: الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، كما حدثت تغييرات في أحوالها الدينية المذهبية أثناء فترة الدراسة وكان للمماليك أثر فعال في أحداث تلك الفترة التي تمتد بين (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)، وهي فترة طويلة حافلة بالأحداث شمل تأثيرهم فيها مجمل أوضاع المدينة. وتكمن أهمية الموضوع في أنه يعنى بدراسة فترة تاريخية مهمة من تاريخ المدينة وهي فترة العصر المملوكي في نواحيها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية.

لهذا تهدف هذه الدراسة إلى كشف الغموض عن هذه الجوانب وإلى بحث وتحليل عناصرها المختلفة ، ومدى تأثير كل منهما في الآخر، وتأثره به بما

يوضح قسمات صورة الحياة العامة في المدينة في تلك الفترة.

أما الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة فهي: ندرة المادة العلمية المتعلقة ببعض جوانب الموضوع، لهذا فقد حاولت جهدي أن أسد النقص بالتنقيب والبحث عن المادة العلمية المتناثرة في المصادر المعاصرة لتلك الفترة وبعض المصادر الأخرى السابقة واللاحقة.

اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيم البحث خمسة فصول:

الفصل الأول: خصص لدراسة الأوضاع السياسية، وقد قسم الفصل محورين أساسين، المحور الأول: يختص بدراسة الأحوال السياسية الداخلية ويشتمل على نقطتين سبقتا بتمهيد عن أوضاع المدينة السياسية قبل قيام الإمارة الحسينية، ثم تحدثت في النقطة الأولى عن قيام إمارة بني مهنا في المدينة، تلك الإمارة التي بدأت منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وتتضمن الأوضاع السياسية في ظل هذه الأسرة حتى نهاية العصر الأيوبي ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م. ثم عالجت في النقطة الثانية إمارة المدينة في ظل السلطة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣/ ١٢٥٠- ١٥١٧). أما المحور الثاني من هذا الفصل: فيتضمن دراسة علاقات المدينة الخارجية التي عالجتها من خلال ثلاث نقاط أساس، تحدثت في النقطة الأولى عن علاقة المدينة مع السلطة المركزية الممثلة بالسلطنة المملوكية في القاهرة، التي كان لها تأثير في تشكيل صورة الأوضاع السياسية في المدينة باعتبار مالها من نفوذ على القوى السياسية المحلية في المنطقة. وفي النقطة الثانية ناقشت العلاقة بين المدينة ومكة، حيث نلحظ أن لأشراف مكة منذ القرن الرابع الهجري مطامع سياسية، حاولوا من خلالها مد سيطرتهم على المدينة في فترات مختلفة، وكان للعلاقة بين الطرفين أثر كبير في الأوضاع السياسية في الحجاز بصفة عامة. وفي النقطة الثالثة الأخيرة تحدثت عن العلاقة

مع القبائل العربية المحيطة بالمدينة التي كان لبعضها تأثير في أوضاع المدينة السياسية إما بالتحالف مع بعض أشرافها، أو بمحاولة التأثير في أوضاعها السياسية والاقتصادية.

الفصل الثاني: يتعلق بدراسة الأحوال الاقتصادية في تلك الفترة ويتضمن ثلاث نقاط أساس، تتعلق النقطة الأولى بالنشاط الزراعي الذي يعد الركيزة الأولى في النشاط الاقتصادي للمدينة منذ صدر الإسلام حتى فترة الدراسة، ويتضمن هذا النشاط عدداً من الجوانب المختلفة المتعلقة بمصادر المياه والمناطق الزراعية. أما النقطة الثانية فتتضمن النشاط الصناعي والحرفي الذي يشتمل على المهن والحرف الاساس الموجودة في المدينة. وتتطرق النقطة الثالثة للنشاط التجاري الذي كان له أثر كبير في تحريك جوانب الأنشطة الاقتصادية الأخرى، ويتضمن النشاط التجاري عنصرين أساسين هما: التجارة الداخلية والتجارة الخارجية، مع ما يتضمنه كل عنصر من جوانب عديدة تتعلق بالأسواق وأنواع السلع، وموانئ الاستيراد والتصدير والطرق التجارية وما إلى ذلك مما يدخل في النشاط التجاري.

الفصل الثالث: تطرق الحديث فيه إلى الحياة الاجتماعية ويشتمل على عدة نقاط تتعلق النقطة الأولى بدراسة السكان وتشمل عناصر السكان وهي الشرائح الاجتماعية التي يتكون منها مجتمع المدينة، والأصول الاجتماعية لسكان المدينة، والعلاقات بين العناصر المختلفة في المجتمع المدني، وتتطرق النقطة الثانية إلى السكن، وتعالج النقطة الثالثة الأطعمة والأشربة، أما النقطة الرابعة فتتعلق باللباس، وتتحدث النقطة الخامسة عن العادات والتقاليد، وأخيراً تعالج النقطة السادسة المصاهرات بين الأسر في المجتمع المدني.

الفصل الرابع: يتناول الأحوال الدينية والمقصود بذلك الأحوال المذهبية

والفقهية وما يتعلق بها من وظائف أو مناصب دينية، وقد قسمته على نقطتين أساسيتين، عالجت في النقطة الأولى المذاهب الفقهية التي تتضمن انتشار المذاهب الإسلامية المختلفة في المدينة، ومدى نفوذ كل مذهب أو قوته، وعدد أتباعه. أما النقطة الثانية فتتعلق بالوظائف الدينية التي تتضمن عنصرين أساسين: العنصر الأول: يتعلق بالوظائف في المسجد النبوي التي تشتمل على الإمامة والخطابة، وخدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة، والمؤذنين ، والفراشين، والبوابين، والسقائين، ووظائف أخرى تتعلق بالمسجد النبوي وخدمته. أما العنصر الثاني فيتطرق لقضاة المدينة .

الفصل الخامس: يتناول الحركة العلمية التي تشتمل على عدة نقاط، تحدثت في النقطة الأولى عن التعليم الأولي في المكاتب أو الكتاتيب، ثم عالجت في النقطة الثانية نظم التعليم ومناهجه في المسجد النبوي، واشتملت النقطة الثالثة على حديث عن المدارس ودورها العلمي، أما النقطة الرابعة فتتعلق بالحديث عن العلماء وأثرهم العلمي، وتحدثت في النقطة الخامسة عن الأسر العلمية ودورها في الحركة العلمية، أما النقطة السادسة فتتطرق للرحلات العلمية للعلماء وطلبة العلم من المدينة وإليها وأثرها في تلك الحركة. أما النقطة السابعة فقد تحدثت من خلالها عن العلوم والمؤلفات العلمية، وكانت النقطة الثامنة تتعلق بالمكتبات أو خزائن الكتب، وناقشت في النقطة التاسعة الموارد المالية للعلماء وطلبة العلم.

الخاتمة: وتضم أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

لم تحظ المدينة بدراسات متخصصة مستقلة شاملة تعالج مختلف الجوانب، وما تم من دراسات يتعلق ببعض الجوانب العامة للجزيرة العربية أو لمنطقة الحجاز، أو نظرة للموضوع من خلال رؤية خارجية للأحداث أو معالجة لبعض

جوانب الموضوع.

فمن الدراسات التي تطرقت لبعض المظاهر العامة للجزيرة العربية أو الحجاز:

* دراسة علي حسين السليمان «النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى» (١٢٥٠- ١٥١٧م)، وتتطرق هذه الدراسة لحركة التجارة في الجزيرة العربية خلال العصر المملوكي، وفيها بعض الإشارات إلى المدينة غير أنها لم تتعمق في نواحي النشاط التجاري فيها.

* دراسة ريتشارد مورتيل «الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي» (٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)، حيث تختص هذه الدراسة بمكة، غير أن الباحث يشير من خلال الدراسة إلى بعض جوانب العلاقات السياسية بين مكة والمدينة خلال تلك الفترة، أما في الجانب الاقتصادي فقد اقتصرت الدراسة على حركة التجارة والمعاملات المالية. كما أغفل الباحث الحديث عن نمط علاقات مكة التجارية مع المدينة.

أما الدراسات التي تطرقت للمدينة من خلال رؤية خارجية للأحداث فهي تلك التي تتعلق بعلاقات الحجاز بالسلطنة المملوكية ومنها:

* دراسة أحمد عبد الحميد خفاجي عن «موقف مصر من الحجاز في عصر المماليك الجراكسة» (٨٤٢- ٩٢٣هـ/ ١٤٣٨- ١٥١٧م)، وقد تطرقت الدراسة لموقف المماليك السياسي من الحجاز، والصراع على النفوذ بينهم وبين الرسوليين، كما تناولت الدراسة الإصلاحات المملوكية في الحجاز في بعض الجوانب وخاصة فيما يتعلق بالأماكن المقدسة، ودور المماليك في إحياء النشاط التجاري لبندر جدة، غير أن ما يؤخذ على هذه الدراسة عدم شموليتها لجوانب

علاقة المماليك بالحجاز، كما ركزت الدراسة على مكة بشكل خاص، ولم تنل المدينة من الدراسة سوى النزر اليسير.

* دراسة علي بن حسين السليمان «العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك»، وتتطرق هذه الدراسة للعلاقات السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي أكثر شمولية من دراسة أحمد عبدالحميد خفاجي، غير أنها تركز أيضاً على مكة وتهمل كثيراً من جوانب علاقات المدينة بمصر في العصر المملوكي.

أما الدراسات الخاصة بالمدينة خلال تلك الفترة فمنها:

* دراسة علي السيد علي «الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك» (٦٤٨- ٩٢٣هـ)، ويعالج الباحث في هذه الدراسة الحركة الثقافية خلال العصر المملوكي، تمتاز هذه الدراسة بالشمولية حيث تتطرق لجوانب عديدة من الحركة العلمية، غير أن ما يؤخذ على الباحث الاستطراد والتطرق لموضوعات خارج نطاق الدراسة زمانياً ومكانياً.

* دراسة الدكتور ريتشارد مورتيل «الإمارة الحسينية بالمدينة خلال العصر المملوكي»، وتمتاز هذه الدراسة بمعالجة الأحوال السياسية في المدينة خلال تلك الفترة، إلا أن الباحث أغفل الحديث عن الفترة المتأخرة للعصر المملوكي ٩٠١- ٩٢٣هـ/ ١٤٩٥- ١٥١٧م.

* دراسة محمد هزاع الشهري عن «عمارة المسجد النبوي في العصر المملوكي» التي عالجت جانباً واحداً من جوانب الأحوال العمرانية في المدينة وهو عمارة المسجد النبوي.

* دراسة منى حسن المشاري عن «المجاورون في مكة والمدينة في العصر

المملوكي» وهي دراسة اجتماعية تناولت شريحة واحدة من شرائح المجتمع في مكة والمدينة وهم المجاورون، ونلحظ أن الدراسة ركزت على مكة بشكل خاص.

وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على مصادر عديدة ومتنوعة في التاريخ والتراجم والطبقات والأنساب والجغرافيا والرحلات والأدب واللغة من أبرزها:

* «نصيحة المشاور وتسلية المجاور» لبدر الدين عبد الله بن محمد بن فرحون (ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) وهو كتاب في التراجم، والمؤلف قريب جداً من الأحداث، فهو إما ينقلها عن شخصيات كان قد عايشها بنفسه وعرف خلفياتها أو ينقلها عن الجيل الذي سبقه أو الذي قبله، وكان بذلك مصدراً قيماً أغنى الكثير من نقاط الموضوع ويعد كتابه بحق إسهاماً جيداً في تاريخ المدينة السياسي، والاجتماعي، والديني، في تلك الفترة ، غير أن ما يؤخذ على الكتاب افتقاره للترتيب الموضوعي للحوادث. كما لم ترتب الشخصيات على حروف المعجم كما هو الحال في كتب التراجم، وتكثر في الكتاب المبالغات ذات الصبغة الصوفية التي هي من سمات ذلك العصر.

* «المغانم المطابة في معالم طابة» لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) ويشتمل الكتاب على ستة أبواب يختص الباب الخامس بالمواضع وهي مرتبة على حروف المعجم، وأهمية هذا الباب أنه يزودنا بمعلومات جيدة عن بعض نواحي النشاط الاقتصادي وبخاصة في المجال الزراعي، أما الباب السادس فقد خصصه المؤلف لترجمة من أدركهم في المدينة أو ذكر له أشياخه من أهل المدينة أنهم أدركوهم بها على إختلاف طبقاتهم. ونلحظ أن المؤلف ينقل عمن سبق وبخاصة عن ابن فرحون في «نصيحة المشاور» كما أن بعض تراجمه مختصرة وغير موثقة تاريخياً، ومع ذلك فإن تلك التراجم

تزودنا بمعلومات عن طبيعة أحوال المدينة السياسية خلال تلك الفترة.

* «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) وهو كتاب في التراجم اهتم بمن وفد إلى المدينة وأقام بها إقامة طويلة أو قصيرة منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصر المؤلف، والكتاب رتب على حروف المعجم إلا أنه غير مكتمل الأجزاء، ومن الملاحظ أنه يكثر النقل عن نصيحة المشاور لابن فرحون، كما يعتمد المؤلف على كتاب تاريخ المدينة لمحمد بن صالح بن إسماعيل الكناني. ويشير السخاوي في مقدمة كتابه إلى بعض جوانب أحوال المدينة السياسية والدينية خلال العصر المملوكي، غير أن ما يلحظ على الكتاب الاختصار في بعض التراجم في مواضع مختلفة، ومع ذلك فإن أهمية الكتاب تكمن في تزويدنا بمعلومات مفيدة عن أحوال المدينة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية والعلمية.

وللمؤلف كتاب آخر في التراجم هو الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، وهو من كتب التراجم العامة، وقد حصلت من خلاله على معلومات جيدة عن أحوال المدينة العامة خلال تلك الفترة وسد النقص في بعض الشخصيات التي لم يوردها المؤلف في كتابه التحفة اللطيفة.

* «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» لنور الدين علي بن عبد الله السمهودي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٦م) الذي يتناول فضائل المدينة ومسجدها وأحوالها العمرانية، ومع أنه يبحث في خطط المدينة غير أننا نجد فيه بعض الإشارات المتناثرة في فصوله يتحدث من خلالها عن بعض جوانب تاريخ المدينة السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والديني، والعلمي.

* «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» لشهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وهو من كتب التراجم العامة التي تؤرخ لشخصيات القرن الثامن الهجري، ومع أن الكتاب يبحث في أعيان الشام ومصر بشكل أساس إلا أن أهمية الكتاب تكمن في ورود شخصيات من أهل المدينة خلال تلك الفترة بعضها لم يرد في المصادر الأخرى، تلقي الضوء على أحوال المدينة السياسية وتسد النقص في المادة العلمية في مصادر تلك الفترة.

* «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م) وهو كتاب شامل في التراجم يعد أشمل مصدر يبحث في تاريخ مكة خلال العصر المملوكي، وتكمن أهميته في إلقاء الضوء على أحوال مكة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، وقد استفدت منه فيما يختص بتاريخ المدينة فيما أورده من معلومات عن شخصيات لها ارتباط بالمدينة مما له أثر في دراسة بعض جوانب أحوالها السياسية والعلمية ، كما يلقي الضوء على علاقة مكة السياسية بالمدينة خلال تلك الفترة.

* «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» لجمال الدين أحمد بن علي الحسني الملقب بابن عنبة (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م) وتكمن أهميته في كونه أبرز المصادر التي تبحث في نسب الهواشم الحسنيين والحسينيين، وقد أفادني في تزويدي بمعلومات وافرة عن نسب الأسرة الحسينية التي حكمت المدينة. ومما يؤخذ على المؤلف أنه لم يوثق معلوماته تاريخياً حيث لا يحدد فترة تولي أمراء المدينة، وربما يرجع السبب في ذلك إلى كونه كتاباً في النسب أكثر منه في التاريخ.

* «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» لعبد القادر ابن محمد الجزيري (ت نحو سنة ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) وتكمن أهمية الكتاب في

تطرقه لطرق الحج إلى مكة، وأمراء الحج، وما يتـصل بذلك من نواحٍ سياسية واقتصادية ودينيـة فهو شاهد عيان على كثيـر من الأحداث، ورغم تركيزه على مكة والطرق الموصلة لها فقد استفدت من خـلاله على معلومات متناثرة متعلقة ببعض جوانب الأحوال السياسية للمدينة، ومواطن بعض القبائل، كما نجد فيه إشارات متفرقة عن النشاط التجاري للمدينة وينبع خلال العصر المملوكي.

وأختم مقدمتي هذه بقول للعماد الأصفهاني:

إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كـتاباً في يومه إلا قال في غـده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيـد كذا لكان يستـحسن، ولو قدم هـذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم الـعبر، وهو دليل على استـيلاء النقص على جملة البشر.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية

أولاً : الأحوال السياسية الداخلية

أ- تمهيد :

كانت العلاقة بين العلويين والعباسيين طيبة ووثيقة منذ انتقال الرسول ﷺ للرفيق الأعلى، حيث لم يزاحم العباسيون أبناء عمومتهم في شعورهم بأحقيتهم في الخلافة، فقد دعم العباس عم الرسول ﷺ ترشيح علي بن أبي طالب للخلافة بعد وفاة النبي ﷺ حينما قال له: «اخرج حتى أبايعك على أعين الناس فلا يختلف عليك اثنان»(١) واستمرت هذه العلاقة الطيبة طوال فترة الدولة الأموية، يؤكد ذلك ما قيل عن اجتماع الأبواء(٢) أواخر الدولة الأموية(٣)، وترشيح محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، **الطبقات الكبرى**، جـ ٢ (د.ط، دار صادر، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م)، ص ٢٤٦، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله الدينوري، **الإمامة والسياسة**، تحقيق طه محمد الزيني، جـ١ (د. ط، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٧ م) ص١٢ ، البلاذري، أحمد بن يحيى، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد الله، جـ ١ (د.ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م) ص ٥٨٣ .

(٢) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة، ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي البغدادي، **معجم البلدان**، جـ١ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ص ٧٩، وعن الاجتماع انظر البلاذري، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد باقر المحمودي، جـ ٣ (د. ط، دار التعاون، بيروت ١٣٩٧ هـ /١٩٧٧م) ص ٧٨ - ٧٩، الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، **مقاتل الطالبيين**، تحقيق السيد أحمد صقر (د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٨ هـ/ ١٩٤٩ م) ص ٢٠٦ - ٢٠٨، ابن طباطبا، محمد بن علي، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية** (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) ص ١٦٤.

(٣) عقد الاجتماع بعد مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م البلاذري، **أنساب الأشراف**، ٣/ ٧٨، حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، جـ١ (ط٧، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٦٤ م) ص ٣٣٤.

ابن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية [(١)]. إماماً للهواشم وخليفة للمسلمين بعد القضاء على الدولة الأموية. إلا أن هذه العلاقة بدأت تضعف وتزداد توتراً بين الأسرتين عندما ادعى العباسيون تنازل أبي هاشم عبد الله بن محمد بن علي ابن أبي طالب [(٢)] عن حقه في المطالبة بالخلافة لأبناء عمومته أي للعباسيين [(٣)] في منطقة الحميمة[(٤)]، بعدها أصبح أبناء البيت العباسي قادة للدعوة التي أطاحت بالدولة الأموية وأقامت على أنقاضها الدولة العباسية، عندئذ شعر العلويون بأن حقهم في الخلافة قد اغتصب منهم على يد أبناء عمومتهم، مما دفعهم إلى القيام بثورات ضد الدولة العباسية في مختلف ولايات الدولة ومنها الحجاز[(٥)]، أدت في نهاية الأمر إلى قيام حكم أسرة علوية في المدينة عرفت

(١) محمد النفس الزكية، قام بثورته في المدينة في خلافة أبي جعفر المنصور وقتل بها سنة ١٤٥هـ/ ٧١٢م، ابن سعد، الطبقات الكبرى، (القسم المتمم) تحقيق زياد محمد منصور (ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧م) ص ٣٧٢ - ٣٧٨، الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٢٣٢ - ٢٣٤ .

(٢) عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ويكني أبا هاشم، كان صاحب علم ورواية ثقة قليل الحديث، وكانت الشيعة تهتم به، ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٣) كان زعيم العباسيين في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك، يدعى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وقد أوصى له ابوهاشم بالإمامة بقوله: «أنت صاحب هذا الأمر وهو في ولدك وأصرف الشيعة إليه» ابن سعد، نفسه، ٥/ ٣٢٨، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ٢/ ١٠٩، مجهول، أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري - عبد الجبار المطلبي (د. ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص ١٧٧- ١٨٣ .

(٤) الحميمة، بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان في أطراف الشام كانت منزل بني العباس، ياقوت معجم البلدان ٢/ ٣٠٧ .

(٥) أبرز الثورات، ثورة محمد النفس الزكية سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢م، ابن سعد، الطبقات الكبرى (القسم المتمم) ص ٣٧٢ - ٣٧٨، الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جـ٧ (ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩ م) ص ٥٥٢ وما بعدها، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل، جـ ٣ (د. ط، دار الفكر، القاهرة د. ت) ص ٣٠١ - ٣٠٦،=

بأسرة بني مهنا وذلك عام ٣٦٦ هـ - ٩٧٦م[1].

ب- قيام إمارة بني مهنا في المدينة:

إن الحديث عن الأحوال السياسية في المدينة في العصر المملوكي يقتضي العودة لأوضاعها السياسية قبل تلك الفترة حتى يمكن إعطاء صورة واضحة عن أحوالها السياسية الداخلية وعلاقاتها الخارجية، لذلك لابد من الحديث عن أسرة بني مهنا التي حكمت المدينة ابتداء من القرن الرابع الهجري، واستمرت في السلطة طوال العصرين الأيوبي والمملوكي.

تتفق بعض المصادر على أن أسرة بني مهنا تنسب للحسين بن علي بن

= الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٢٦٧، ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م، حيث استولى على المدينة غير أنه هزم وقتل في موقعة فخ قرب مكة على يد جيش عباسي أرسل له، الطبري، تاريخ، ١٩٢/٨ وما بعدها، الأصفهاني، نفسه، ص٤٣١ - ٤٦٠، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، جـ ٣ (ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) ص ٣٣٦، وثورة أبي السرايا ١٩٩ هـ / ٨١٤م في عهد الخليفة العباسي المأمون حيث وجه أبو السرايا شخصاً من آل البيت يدعى محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى المدينة فاستولى عليها بدون قتال غير أنه قتل بعد ذلك، ابن خياط، خليفة بن خياط العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، جـ٢ (د. ط، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م) ص ٧٦٠، ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد الشيباني، الكامل في التاريخ، جـ ٦ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م) ص ٣٠٦، ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، تحقيق محمد حسن آل الطالقاني (ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠م) ص ١٨٩.

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ ٤ (د.ط، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م) ص٢٩٨ - ٢٩٩، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، جـ ٤ (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م) ص ١٨٦- ١٩٠.

الحسين بن علي بن أبي طالب [1]، غير أنهـــا تختلف فيمن تولى السلطة من عقبـه، فيتحـدث العتبي[2] عن بدايات حكم بني الحسين للمـدينة بقوله: «لجأ طاهر [3] والد الحسن المذكور إلى مـدينة الرسول ﷺ متأمراً على أهلهـا ومعه ابن عم له يعرف بأبي علي بن طاهر[4] وختنه على أخـته فلمـا مضى طاهر لسبـيله ورث أبو علي المذكور مكانه من الإمـارة إلى أن لحق به ، وورثه ولداه هانئ ومهنا دون الحســن». أما ابن عنبه[5] فيرى أن أول من تولى الإمارة في

(١) الزبيري، أبو عـبد الله المصـعب بن عبـد الله بن المصعب، نسب قـريش، عني بنشره ليفـي بروفنسال (ط٣، دار المعـارف، القاهرة ١٩٨٢م) ص ٧٤، ذكـر ابن شدقم أن أشـراف المدينة كلهم حـسينيـون منحصرون في علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وينقسمون إلي ثلاثة رجال: بعضهم إلى محمـد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين، وآخـرون إلى أخيه زيد، والأكثرون إلى أخيـهما الحسين الأصغر، أنظر علي بن الحـسين بن شدقم الحمزي، نخبـة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة (مخطوطة مصورة رقم ٢١١٧ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١ لوحة ١ .

(٢) أبو نصر محمد بن عـبد الجبار العتبي، تاريخ العتبي بهامش كـتاب الكامل في التاريخ لابن الأثيرجـ١٢ (د.ط، المطبعة الأميرية، بولاق القاهرة ١٢٩٠هـ) ص ٦١ .

(٣) هو طاهر بن مسلم المسـمى بطاهر بن محمد بن عـبيد الله بن طاهر بن يحيى النسـابة بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيـد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن حزم، أبو مـحمد علي بن أحـمد الأندلسي، جمـهرة أنساب العـرب تحقيق عـبد السـلام محـمد هارون (ط٣، دار المعـارف، القاهرة ١٣٩١/ ١٩٧١م) ص ٥٤- ٥٦، ابن عنبـة، عمدة ص٣٣٠. وذكر ريتشارد مورتيل أن طاهر بن مسلم قد أعطى ولاءه في البداية للعباسيين غير أنه اضطر إلى نقل ولائه للفاطميين في سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م بعد أن أرسل الخليفة العزيز جيشاً إلى المدينة لتوطيد سلطة الفاطميين بها انظر في ذلك Mortel Richard T. The origins and Early History of the Husaynid Amirate of Madina to the End of the Ayyubid period; **Studia Islamica** 74 (1991) P. 66 - 76.

(٤) أبو علي بن طاهر هو داود بن القاسم بن عـبيد الله بن طاهر بن يحيى المحدث بن الحسن بـن جعفر الحجة بن عبيد الله بن الحسين بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن عنبه، نفسه ص٣٣٦ .

(٥) عمدة، ص ٣٣٥ .

المدينة من بني طاهر هو الحسن بن طاهر بن مسلم. على أني أميل لرأي العتبي لكونه المصدر الأقدم[1].

مهما يكن من أمر فإن الظروف التي جاءت ببني مهنا للإمارة في المدينة ترتبط إلى حدٍ كبير بالأوضاع السياسية للدولة الفاطمية في مصر، وهذا يدعونا للتساؤل عن طبيعة العلاقة التي ربطت بين هذه الأسرة والفاطميين، فمع تولي الفاطميين للسلطة في مصر تطلعت نفوس الهواشم ومنهم الحسينيون للاستئثار بالحكم في المدينة، مستغلين الدعم المعنوي والمادي الذي قد يكون الفاطميون أسبغوه عليهم، فأعلن طاهر بن مسلم الحسيني السيطرة على المدينة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦[2] وخطب للمعز الفاطمي، وكانت الخطبة قد أقيمت قبل ذلك للفاطميين بالمدينة عامي ٣٥٩ هـ و ٣٦٠ هـ/ ٩٦٩-٩٧٠م[3].

(١) لتفصيلات أكثر عن هذه الأسرة ابن حزم، جمهرة ص ٥٤ - ٥٦، مجهول، سبك الذهب في علم النسب (مخطوطة مصورة برقم ١٧١٣ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ٧٠ لوحة أ-ب، ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جـ ٤ (د.ط، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م) ص ١٠٩، ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي، بحر الأنساب (مخطوطة مصورة رقم ١٤١٨ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١١٦ - ١١٧، العصامي، عبد الملك بن حسين العصامي المكي، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، جـ ٤ (د.ط، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠ هـ) ص١٢٥ .

(٢) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح ٤/ ٢٩٨ - ٢٩٩، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، جـ٢ (د. ط، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م) ص٢٥٧ عائشة باقاسي، مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري، دراسة تاريخية حضارية، (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى مكة ١٤١٣ هـ - ١٤١٤ هـ) ص ٩٦.

(٢) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام (مخطوطة مصورة برقم ١٣٨١٣ بدار الكتب المصرية القاهرة) ورقة ١١٧.

ويتحدث القلقشندي[1] عن هذه الأسرة فيذكر أنها كانت بالمدينة خلال القرن الثالث الهجري، وكان منهم أبو جعفر عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين ومن جملة ولده جعفر حجة الله ومن ولده الحسن ومن ولد الحسن يحيى الفقيه النسابة كانت له وجاهة وفخر ظاهر توفي سنة ٢٧٦ هـ/ ٨٨٦ م.

ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيى ساد أهل عصره وبنى داراً بالعقيق[2] ونزلها. توفي سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥ م. ومن ولده الحسن بن طاهر رحل إلى الإخشيد[3] بمصر وهو يومئذ ملكها فأقام عنده وأقطعه الإخشيد ما يغل في كل

(١) صبح، ٢٩٨/٤ سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ نهاية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ببغداد (د. ط، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٣٠ حيث ذكر مجيء طاهر سنة ٣٦٠هـ والأصح ما سبق.

(٢) العقيق: «ناحية بالمدينة وفيه عيون ونخل» ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٤٣٩. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب المغانم، المطابة في معالم طابة (قسم المواضع) تحقيق حمد الجاسر (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص ٢٦٦، وكان يطلق عليهم في القرن الرابع الهجري بنو طاهر نسبة لطاهر بن يحيى. عبد الرحمن بن حمد المغيري المنتخب في ذكر أنساب العرب، تحقيق إبراهيم محمد الزيد (ط١، دار الحارثي للطباعة، الطائف ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ٣٨٠ .

(٣) يبدو أنه محمد بن طغج الإخشيدي حكم من (٣٢٣-٣٣٤هـ -٩٣٤/٩٤٦م) ابن خلكان، أبوالعباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، جـ ٥ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) ص ٥٦- ٦٣، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم الزيبق، جـ ١٥ (ط ٦، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨١م) ص ٣٦٥- ٣٦٦، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، جـ ١ (د. ط، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ص ١٣٠، وذكر أن الإخشيد أرسل الحسن بن طاهر إلى سيف الدولة الحمداني حاكم حلب ليفاوضه من أجل السلام وتحديد الحدود بينهما، كما كان سفيراً بين الإخشيد وابن رائق الذي هاجم مصر سنة ٣٢٧هـ/ ٩٢٩م انظر آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده جـ ١ (ط ٤ مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) أحمد محمد البرادعي، المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي (ط١ دار الكتاب، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م) ص ١١١.

سنة مئة ألف دينار واستقر بمصر، وكان له من الولد طاهر بن الحسن الذي توفي سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م، ويتفق كل من ابن خلدون[١] والقلقشندي[٢] أن المذكور خلف ابناً اسمه محمد الملقب بمسلم كان صديقاً لكافور الإخشيدي[٣] والي مصر، وحينما استولى الفاطميون على مصر ووصل المعز لدين الله[٤] للقاهرة خطب من مسلم كريمته لأحد بنيه فرده فسخط عليه واستصفى أمواله واعتقله حتى مات، وقيل إنه فر من سجنه ولحق ابنه طاهراً بالمدينة سنة ٣٦٦هـ/ ٩٨٦م فقدمه بنو الحسين على أنفسهم واستقل بإمارتها سنين[٥] وكانت وفاته سنة ٣٨١ هـ/ ٩٩١م، وخلفه كما يؤكد ابن خلدون[٦] نقلاً عن المسبحي مؤرخ الفاطميين العبيديين ابنه الحسن الذي كان أميراً عليها سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م، أما العتبي[٧] فيرى أن المذكور كان موجوداً في الإمارة سنة ٣٩٧ هـ/ ١٠٠٦م فغلبه على إمارتها بنو عم أبيه عقب أبي أحمد القاسم بن عبيد الله بن طاهر ابن يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة واستقلوا بها، ويؤيده في ذلك ابن عنبة[٨] الذي يرى أن الإمارة انتقلت من طاهر بن مسلم لابن عمه أبي هاشم داود بن

(١) ابن خلدون، تاريخ، ١٠٩/٤ .

(٢) القلقشندي، صبح ٢٩٨/٤ - ٢٩٩ .

(٣) أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيدي حكم مصر بين (٣٥٥- ٣٥٧هـ/ ٩٦٦- ٩٦٨م) ابن خلكان، وفيات، ٩٩/٤- ١٠٥.، الذهبي، سير، ١٦/ ١٩٠- ١٩٣. ستانلي لين بول، الدول، ١٣٠/١.

(٤) المعز لدين الله أبو تميم معد بن المنصور تولى الخلافة بين (٣٤١- ٣٦٥هـ/ ٩٥٣- ٩٧٥م)، ابن خلكان، نفسه، ٥/ ٢٢٤- ٢٢٨ الذهبي، نفسه، ١٥٩/١٥- ١٦٧.

(٥) السخاوي، التحفة، ٢٥٧/٢.

(٦) نفسه، ١٠٩/٤.

(٧) تاريخ العتبي، ٦١/١٢ .

(٨) عمدة، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

القاسم وهو ما أميل إلى ترجيحه، وقد أعقب داود أربعة رجال هم: أبو عمارة المهنا واسمه حمزة وفي عقبة الإمارة، والحسن الزاهد، وأبو محمد هاني واسمه سليمان، والحسين، وأعقب أبو عمارة المهنا بن داود ثلاثة رجال هم: عبدالوهاب جد قضاة المدينة الإمامية من بني سنان، وسبيع، وشهاب الدين الحسين أمير المدينة الذي انحصرت الإمارة في عقبه. أما القلقشندي[1] فينقل عن الشريف الحراني[2] أن مهنا خلف عبيد الله والحسين وعمارة، فولى بعده ابنه عبيد الله، وكان أميراً على المدينة سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧ م وقتله موالي الهاشميين بالبصرة، ثم ولي الحسين بن مهنا (كان موجوداً سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)[3] وبعده ابنه مهنا بن الحسين ، وذكر من أمرائهم: هاشم بن الحسن ابن داود الذي تولى إمارة المدينة سنة ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٦م من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر[4]. وقد خلف شهاب الدين الحسين ولدين هما مالك ومهنا فخلف مهنا والده على الإمارة ، ومن هنا أطلق على أمراء المدينة منذ ذلك التاريخ بنو مهنا[5]. وبنو مهنا ينسبون إلى أبي عمارة مهنا بن داود بن القاسم ابن عبيد الله بن طاهر. وذكرت بعض المصادر[6] من أمرائها منصور بن عمارة

(١) صبح، ٤/٢٩٩ .

(٢) لم أقف له على ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر ومراجع .

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا جـ ١٦ (ط ١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ص ١٨٠.

(٤) المستنصر بالله أبو تميم معد بن علي بن الحاكم بأمر الله تولى الخلافة بين (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤ م) انظر ابن خلكان، وفيات ٥/٢٢٩ - ٢٣١.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ٤/١٠٨، ابن عنبة، عمدة، ص ٣٣٧.

(٦) ابن الأثير، الكامل ١٠/٣٥٢ وذكره باسم منظور، أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد، المختصر في أخبار البشر، جـ٢ (د. ط، مكتبة المتنبي، القاهرة د.ت) ص ٢١٦، القلقشندي، صبح، ٤/٣٠٠ .

الحسيني المتوفى سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠١ م الذي تولى ابنه مكانه غير أن المصادر لم تذكر اسمه، وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله والقاسم، فتولى الحسين إمارة المدينة، أما عبد الله فقد قتل في وقعة نخلة [1]. أما القاسم[2] فتفرد المصادر[3] قدراً لا بأس به للحديث عنه وعن فترة حكمه، وقد أشار ابن حجر[4] إلى أن القاسم هو: «أول من عرف من أمراء هذا البيت» والمقصود هنا أول من اشتهر من أمرائهم، ويبدو أن السبب في تسليط الضوء

(١) القلقشندي، نفسه ٤ / ٣٠٠ ولم تحدد نخلة هنا فإما أن تكون نخلة اليمانية أو الشامية وهما واديان لهذيل على ليلتين من مكة، ويحتمل أنه قتل في معركة مع أمراء مكة لقرب الواديين منها، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٢٧٧، البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي جـ ٣ (ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥ م) ص ١٣٦٤- ١٣٦٥.

(٢) هو أبو فليتة القاسم بن مهنا بن داود، ولي إمرة المدينة زمن خلافة المستضيء العباسي (٥٦٦ - ٥٧٥هـ/ ١١٧٠ - ١١٧٩ م) لمدة خمس وعشرين سنة (٥٦٨ - ٥٨٣ هـ / ١١٧٢ - ١١٨٧م) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، جـ ٧ (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م) ص ٣١ .

(٣) ابن فندق، أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن زيد البيهقي، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، تحقيق السيد مهدي الرجائي، جـ ٢ (ط ١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم إيران ١٤١٠هـ) ص ٥٣٣، ٦١٧، ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ١٠٩، ابن عنبه، عمدة، ص ٣٣٨، الفاسي، نفسه، ٧/ ٣١ - ٣٢، ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، جـ١ (ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م) ص ٥٤٤ - ٥٤٧، أحمد ياسين الخياري، أمراء المدينة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم (ط١، مكتبة المدينة المنورة، المدينة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢م) ص ١٥، أحمد ياسين الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً (ط١، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ٢٦٤- ٢٦٥.

(٥) شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، جـ ٥ (ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦م) ص ١٣٢، أحمد الخياري، أمراء المدينة، ص ١٦ .

عليه يرجع إلى صلته بالسلطان صلاح الدين الأيوبي[1]، ودوره السياسي في مكة سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م حين صحب أمير الركب العراقي إلى مكة وتمكن خلالها من مد نفوذه إليها[2].

بعد وفاة القاسم ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م خلفه ابنه جماز[3] جد الجمامزة أمراء المدينة[4] الذي لم تشر المصادر لفترة ولايته أو مدتها، غير أنه يعتقد أنه لم يكن موجوداً أوائل القرن السابع الهجري حين احتدم الصراع بين أمراء المدينة

(١) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي الملقب بالملك الناصر (٥٣٢ - ٥٨٩ هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م) تولى وزارة العاضد الفاطمي وأسقط الدولة الفاطمية، ثم استقل بملك مصر ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م والشام ٥٧٠ هـ / ١١٧٤م توفى سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م، ابن خلكان، وفيات، ٧/ ١٣٩ - ٢١٨، وعن علاقة القاسم بصلاح الدين، ابن العماد الأصبهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد، **الفتح القسي في الفتح القدسي** (د. ط، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٣٢١هـ) ص ٢١، أبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، جـ ٢ (د. ط، دار الجيل، بيروت د. ت) ص ١٣٤، العليمي، أبو اليمن مجد الدين عبد الرحمن الحنبلي، **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل**، جـ ١ (د. ط، د. ن، القاهرة ١٢٨٣ هـ) ص ٢٨٦، ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، **تاريخ ابن الوردي ويعرف بتتمة المختصر في أخبار البشر** جـ ٢ (ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ص ١٤٣.

(٢) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **المغانم المطابة في معالم طابة**، (مخطوطة مصورة برقم ٣١٩ قسم المخطوطات، جامعة الملك عبد العزيز جدة) ورقة ٢٥٦ ل ب، الفاسي، **العقد** ٤/ ٣٥٥ - ٣٥٦، ابن فهد، النجم عمر بن محمد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جـ ٢ (ط١، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، القاهرة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م) ص ٥٣٧ - ٥٣٨، ابن ظهيرة، جمال الدين محمد جار الله، **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف** (ط٢،د. ن، القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م) ص ٣٠٨ - ٣٠٩، جميل حرب، **الحجاز واليمن في العصر الأيوبي** (ط١، تهامة للنشر والمكتبات، جده ١٤٠٥/ ١٩٨٥م) ص ٦٨.

(٣) لا توجد معلومات عن حياته أو فترة إمارته في المصادر التي بين أيدينا .

(٤) السخاوي، **التحفة** ١/ ٤٢٦، ٣/ ٤٠٤ .

وأمير مكة الشريف قتادة بن إدويس بن مطاعن[1]، حيث تؤكد المصادر أن الإمارة آلت لأخيه سالم بن قاسم الحسيني[2]، الذي دخل في صراع مع أمير مكة السالف الذكر[3]. وبعد وفاة الشريف سالم بن قاسم ٦١٢هـ/ ١٢١٥م تولى الإمارة ابن أخيه قاسم بن جماز بن قاسم الحسيني[4] وحفلت فترته بحوادث كثيرة خاصة فيما يتصل بعلاقته مع أمراء مكة، واستمرت إمارته حتى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م حيث اغتيل على يد أحد أفراد قبيلة بني لام[5].

(١) أمير مكة بين (٥٩٧ - ٦١٧ هـ / ١٢٠٠ - ١٢٢٠م) الفاسي، العقد، ٧/ ٤٠، الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت) ٢ /١٩٩، ابن فهد، إتحاف، ٢/٥٦٦ - ٥٦٧، العصامي، سمط، ٤/٢٠٨ عبد الله العنقاوي، مكة في عهد الشريف قتادة مجلة كلية الآداب المجلد الثاني عشر، العدد الأول (جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٨٧.

(٢) سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني ارتبط اسمه بالصراع مع أمير مكة الشريف قتادة، السخاوي، التحفة، ٢/ ١١٠

(٣) عن هذه الفترة انظر ابن الأثير، الكامل، ١٢/٥-٢٠٥، الفاسي، العقد، ٧/ ٤٢، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٣-٤.

(٤) الفاسي، العقد، ٧/ ٤٣. وذكر السخاوي، التحفة ٣/ ٣٩٩ أنه استقر في الحكم بعد أبيه جماز. وأرجح ما أورده الفاسي لكونه الأقدم، وأبو شامة، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل، الذيل على الروضتين (د. ط، دار الجيل، بيروت١٩٧٤م) ص ٩٠.

(٥) ابن فرحون، أبو محمد عبد الله بن محمد، نصيحة المشاور وتسلية المجاور (مخطوطة مصورة رقم ٥ قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود الرياض) ورقة ١٠٣ ل . ب، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٩٩، وقبيلة بني لام بطن من جديلة من طي بن زيد بن كهلان من القحطانية كانت مساكنهم المدينة وما حولها وجبلي أجا وسلمى، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون (ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) ص ٣٩٠، ابن خلدون، تاريخ، ٢/ ٢٥٤، القلقشندي، صبح، ١/ ٣٢٤، عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ٣ (ط٣ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م) ص١٠٠٧ - ١٠٠٨.

استـغل أحد أفراد أسـرة أشراف المدينة وهو شـيحة بن هـاشم بن قاسم[1] الفراغ السياسي الذي أعقب اغتيـال القاسم؛ فاستولى على المدينة ونصب نفسه أميراً عليـها فانتقلت الإمـارة من فرع جماز بن القاسم لفـرع هاشم بن قاسم، ودام حكمه ثلاثاً وعشرين سنة وكان ينوب عنه في غـيابه ابنه عيسى، وتسجل بعض المصادر تحـدياً واحداً لسلطتـه، ففي صفـر سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م جمع الشريف عـمير بن قاسم بن جـماز ـ وهو من فرع الجـمامزة ـ قوة من أتبـاعه وخلع شيحة بن هاشم الذي اضطر للفـرار إلى بعض التلال أو الجبال المجاورة للمدينة، غـير أن عمـيراً لم يتمكن من الاحـتفاظ بسلطتـه على المدينة بسبب معـارضة الهواشم وهم أحـفاد هاشم بن قاسم بن مـهنا له، فتـمكن الشريف شيحة بن هاشم من استعادة سلطته على الإمارة[2] وقد اغتيل شيحة أيضاً على يد قبيلة بني لام حينما كان متوجهاً للعراق سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[3].

(١) تولى الإمارة بين (٦٢٤-٦٤٧ هـ/ ١٢٢٦ - ١٢٤٩ م) الفاسي، العقد ٥ /٢٢ - ٢٤، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٢٥ - ٢٢٧ .

(٢) الفاسي، العقد ٥/٢٣- ٢٤، السخاوي، التحفة ٢/ ٢٢٦، Mortel Richard. T. The origins, P. 72.,

(٣) ابن شاكر الكتبي، محمد بن شاكر، عيون التواريخ تحقيق فيصل السـامر، نبيلة عبد المنعم داود جـ ٢٠ (د. ط، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠م) ص ٢٧- ٢٨، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ ل أ، على حافظ، فصول من تاريخ المدينة (ط٢ شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة ١٤٠٥هـ) ص ٢٧ - ٢٨.

جـ- أمراء المدينة في ظل السلطة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م).

مع قيام السلطنة المملوكية في مصر سنة ٦٤٨ هـ/ ١٢٥٠م كان أمير المدينة عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مـهنا، وقد استغل الجمامزة [١] فرصة مقتل والده فهاجموا المدينة للاستيلاء عليهـا فتصدى الأمير عيسى للمهاجمين: «وقبض عليهم وقـيل إنه قتلهم»[٢]. قام الشريف عيـسى لأجل توطيد سلطته بإخراج أخويه منيف وجماز من المدينة، مما حملهما على التآمر ضده فاتفقا مع وزيره على إدخالهما للمدينة، فتم لهما ذلك فـدخلا الحصن العتيق قصر إمارة المدينة وقبـضا على أخيهـما عيـسى وسجناه سنة ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١م[٣]، وتولى الإمارة أبو الحسين منيف بن شـيحة[٤] يساعده في ذلك أخوه جـماز حتى سنة ٦٥٩ هـ/ ١٢٦٠م عندما توفي منيف وخلفه أخـوه عز الدين جماز[٥]، غير أن الصراع ما لبث أن نشب بينه وبين ابن أخيه مالك بن منيف، حيث تمكن مالك من انتزاع الإمارة من عمه، ثم تنازل مالك طواعـية عن الإمارة لعمه ولم تحدد المصادر تاريخ التنازل[٦]. استمر جماز في الإمارة حتى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م

(١) هم عقب جماز بن قاسم بن مهنا، ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٤ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٣ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٤ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٨٣ .

(٤) اليونيني، قطب الدين أبو الفـتح موسى بن محمـد بن أحمد، ذيل مرآة الزمان جـ ١ (د. ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن الهند ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م) ص ٤.

(٥) اليونيني، ذيل مرآة، ٢/ ٨٧، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، المختار من تاريخ ابن الجزري، دراسة وتحقيق خضـير عباس محمد خليفة المنشـداوي (ط١، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ٢٥٤، ٣٩١.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٣٦ ل ب.

حيث تنازل عنها لابنه منصور الذي كان كما يقال أبّر أولاده به[1] وذلك بعد أن كبر، ثم ما لبث أن توفي سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م[2].

تولى منصور بن جماز الإمارة في ظل صراع على السلطة بينه وبين إخوته الذين حسدوه على تفضيل أبيه له، وتفاقم النزاع بدخول أهل المدينة طرفاً فيه مما أدى للقبض على منصور وابنه كبيش من قبل السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[3]. وأحضرا إلى مصر، ثم أعيدا للمدينة بعد أن اشترط على منصور عدم التعرض للمجاورين والخدام[4]. دخل منصور بعد عودته في صراع مع أخيه ودي بن جماز وأولاد مقبل بن جماز[5]، ثم استقرت له الأمور

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٤ ل ب، وقد ذكر أنه تنازل عن الإمارة سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ذيول العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، جـ٤ (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م) ص١٠، الفاسي العقد، ٣/ ٤٣٧، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٧٥ ومن المرجح أنه بعد تلك الحادثة انتقل الجمامزة إلى الشام وصعيد مصر ولم يبق منهم بالمدينة أحد، ابن شدقم، نخبة الزهرة الثمينة، ورقة ٤ ل ب، ٥ ل أ.

(٢) الذهبي، نفسه، ٤/ ١٠، ابن حجر، نفسه، ٢/ ٧٥، ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة جـ ٨ (د.ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣ م) ص٢١٤.

(٣) الناصر محمد بن المنصور قلاوون تولى السلطنة عدة فترات بين (٦٩٣ - ٧٤١ هـ / ١٢٩٣ - ١٣٤٠م) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، جـ١ (ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦ م) ص ٧٩٢، ٧٩٣، ٨٧٢، ٢/ ٧٢، ٥٢٣، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ص١٧٢.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٥ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٣٦، ل ب .

(٥) ودّي بن جماز بن شيحة، أمير المدينة يلقب ببدر الدين، وصف بأنه: «مقيم السنة ومعليها ورافض الرافضة ومقصيها» الفيروزآبادي، نفسه ورقة ٢٦٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٥/ ١٨٠ - ١٨١.

سنة ٧١٧ هـ/ ١٣١٧م [١]، غير أنه قتل على يد ابن أخيه حريقة بن قاسم بن قاسم بن جماز سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م[٢].

تولى الإمارة من بعده ابنه كـبيش بن منصور[٣] وشهد عهـده صراعاً على الإمارة مع عـمه ودي في سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦ م خرج على أثرها كـبيش من المدينة[٤]، غير أنه لم يلبث أن عاد إلى الإمارة بأمر من السلطان المملوكي الملك الناصر مـحمد بن قلاوون بعـد القبض على ودي[٥]. وظل كبيش في الإمارة حـتى مقـتله في رجب سنة ٧٢٨ هـ/١٣٢٧م على يد أولاد عـمـه مقـبل بن جمـاز[٦]، وفي رواية أن القـاسم بن منصور بن جـمّاز هو الذي تولـى إمارة المدينة بعد مقتل والده وليس كـبيشاً[٧]. ثم أعقبه في الإمارة طفيل بن منصور بمرسوم من السلـطان المملوكي الملك الناصر مـحمد بن قـلاوون في ١١ شوال

(١) المقريزي، نفسه، ٢/ ١٧٥، وذكر أن مقبل بن جماز تنافس مع اخيه المنصور فتركه وقدم القاهرة فولاه الملك الناصر محمـد نصف الإمرة بنجد سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م المقريزي، نفسه، ٢/ ٨٤، غير أن منصوراً قـدم إلى القاهرة فأنعم عليـه الملك الناصر مـحمد بن قلاوون بإعـادة ما خرج لأخـيه مقبل، المقريزي، نفسه، ٢/ ٩٤.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٥ل ب، وفي ابن حجر، نفسه، ٥/ ١٣٢ ورد بلفظ حديثة، وفي نسخ أخرى من الدرر حديفة وحريث بن قـاسم بن جماز وفي السخاوي، التحفة، ١/ ٤٦٤، ورد بلفظ حديثة بن قاسم بن قاسم بن جماز.

(٣) ابن حجر، نفسه، ٣/ ٣٤٨.

(٤) ابن الوردي، تاريخ، ٢/ ٤٠١.

(٥) الفيروزآبادي، نفـسه، ورقة ٢٤٦ ل ب، ورقـة ٢٦٨ ل أ، المقريزي، السلوك، ٢/ ٢٨٨، السخاوي التحفة، ٣/ ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٧ ل أ، وذكر المقريزي أن المذكور يدعى كـبيشة وقد قتل على يد أولاد ودّي المحبوس بقلعة الجبل بالقاهرة، نفسه، ٢/ ٣٠٤.

(٧) انفرد السخـاوي بهذه الرواية وربما يكون القاسم قد تولاها لفتـرة قصيرة بعد مقـتل كبيش، التحفة، ٣/ ٤٠٤ .

٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م[١]، فدخل المذكور في صراع مع عمه ودي وأبناء عمه مقبل ابن جمّار انتهى بتنازل طفيل عن الإمارة لعمه أبي مزروع ودي بن جمار ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥ م وحبس طفيلاً نحو أربعين يوماً ثم أفرج عنه[٢] من قبل السلطان المملوكي ومنحه إقطاعاً في حوران بسورية، وما قام به السلطان يعني سياسة واضحة لتأمين السيطرة وحفظ الأمن في المدينة، وإبعاد أحد المتنافسين على حكم المدينة ليتم الاستقرار في الحجاز[٣].

استمر ودي حاكماً على المدينة حتى سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م حين تمكن طفيل من استعادة الإمارة بعد القبض على نائبه جحيدب، وعلى قلاوون بن حسن ابن مقبل وقتلهما[٤]، أما ودي فقد توفي سنة ٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤م [٥].

إن الصراع على السلطة كان سمة بارزة في تلك الفترة، ففي أعقاب وفاة ودي عيّن آل جمار فضل بن قاسم بن قاسم بن جمار بن شيحة الحسيني[٦] زعيماً لهم ومطالباً بالإمارة من طفيل، فتجدد النزاع وهاجم فضل ومعه عدد

(١) الفيروزآبادي، المغانم، (خ) ورقة ٢٤٥ ل ب، القلقشندي، صبح، ٤/ ٣٠١ غير أنه ذكر أن ودّياً هو الذي خلف كبيش.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٧ ل ب، نفسه، ورقة ٢٣٦ ل ب.

(٣) اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص ٢٨٩- ٢٩٠، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٧ ل أ، الفاسي، العقد ٣/ ٤٣٧، المقريزي، السلوك، ٢/ ٣٩٢، mortel Richard T., The Husaynid Amirate of Madina during the Mamluk, Period. **Studia Islamica** 80 (1994) P. 107.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٨ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٣٢٥.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٨ ل ب.

(٦) انظر ترجمته في المغانم (خ)، ورقة ٢٥٦ ل أ .

من أشراف المدينة غير أنهم لم يتمكنوا من إزاحتـه من منصبه فانسحبوا، وظل طفيل أميـراً للمدينة حتى سنة ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م حين صدرت عنه كـما يقول ابن فرحون(١): «أشياء عن تدبير بعض الوزراء لا تليق بمثله فكتب فيه القاضي شرف الدين الأميوطي» .

يبدو من النص السـابق استشـراء الفساد في نظام حكم طفـيل نتيجـة لسوء تدبير بعض وزرائه ، كما يتضح أن قاضي المدينة المعيّن أصلاً من قبل السلطان المملوكي كانت له كـلمة مسمـوعة لدرجة أنه كـان يكتب له عن سياسـة أمراء المدينة وطريقة حكمهم.

مهما يكن مـن أمر فقد عزل طفيل بأمر مـن السلطنة المملوكية وعين مكانه الشريف سعـد بن ثابت بن جماز(٢)، غير أن طفيـلاً رفض قرار عزله مما أدى إلى تجدد الصراع بين الطرفين، فاستعان سعد بأمراء الركب الشامي غير أنهم لم ينجدوه، غـير أن قـرار تعيـينه قد وزع على أمـراء الحج مما قوى من مـركزه،

---

(١) نصيحة، ورقة ١٠٨ ل ب، والقـاضي الأمـيـوطي هو شرف الدين أبو الفتح محمـد بن القاضي عز الدين أبي عبـد الله محمـد بن أحمد المصري المعـروف بابن الأمـيوطي الشـافـعي، قاضي المدينة، تولى القضـاء والإمامة والخطابة بالمدينـة، مولده بالقـاهرة سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م ووفاته بـالمدينـة سـنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م، ابن فـرحون، نفسه، ورقة ٩٠ - ٩٢، ابن رافع السـلامي، تقي الدين أبو المعـالي محمد بن رافع بن هجرس، الوفيـات، تحقيق صـالح مهدي عبّاس (ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م) ٤٨٢/١، ابن حجر، الدرر، ١٧٦/٤ . والأميـوطي نسبة إلى أمـيوط بلدة في كـورة الغربية من أعـمال مصـر ياقوت، معـجم البلدان، ٢٥٦/١.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٨ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٢٥ ، ٢٥٩، أما سعد بن ثابت بن جماز بن شيحة فقد ولي إمارة المدينة سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م وكـان مشكور السـيـرة، الفيـروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، ابن حـجر، الدرر ٢٢٨/٢، السخاوي، نفسه، ٢/ ١٢٥ - ١٢٦.

وأضعف موقف طفيل وأنصاره من آل منصور بن جمّاز الذين انتقموا بنهب المدينة[١]. في ظل هذه الفوضى والفراغ السياسي حدث أمر غريب هو قيام إحدى النساء وتدعى هميان بنت مبارك بن فضل[٢] بتسلم مفاتيح الدور، وحكمت المدينة يوم السبت وحتى ظهر الأحد حيث وصل محمد بن مقبل بن جمار أحد أنصار سعد بن ثابت وابن عمه وتسلم الأمور في المدينة، ثم دخل سعد يوم الثلاثاء ٢٢ ذي الحجة سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م[٣]. رغم الفترة القصيرة التي حكم فيها سعد بن ثابت إلا أنه قام بأعمال جليلة من أبرزها: عمل خندق حول سور المدينة للدفاع عنها غير أنه لم يكمله لوفاته سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م، كما أدخل تغييراً على النظام القضائي منع بموجبه آل سنان قضاة المدينة الإمامية من التعرض للأحكام الشرعية وعقود أنكحة الرعية وغيرها: «ورد الأمر جميعه لأهل السنة تقرباً لقلوب السلطنة[٤] بإظهار السنة وإخماد البدع»[٥]، ويتضح من النص السابق أن القضاء بالمدينة أصبح في فترة حكم

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٩ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦ ل ب، السخاوي، نفسه، ٢٥٩/٢ .

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٩ ل أ، وذكر الفيروزآبادي أن اسمها هميان بنت مبارك ابن مقبل، وقال: إنها جلست في شباك الإمارة وحكمت في المدينة يومي السبت والأحد، المغانم، ورقة ٢٤٦ ل ب، وقد تكون المذكورة حفيدة فضل بن قاسم بن قاسم بن جماز، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٥٦ ل أ، أو حفيدة مقبل بن جماز، الفيروزآبادي نفسه، ورقة ٢٣٦ ل ب، وهي الحالة الوحيدة التي تتولى فيها امرأة حكم المدينة.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٩ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٢٢٨/٢، السخاوي، التحفة، ٢٥٩/٢.

(٤) المقصود بذلك سلطنة المماليك .

(٥) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، ابن حجر، نفسه، ٢٢٨/٢، السخاوي، نفسه، ١٢٦/٢ .

سعد بن ثابت مقصوراً على أهل السنة(١)، فيما كان لفقهاء الإمامية قبل ذلك اليد الطولى في القضاء، كما يتضح أن السلطان المملوكي لم يكن راضياً عن تولي الشيعة الإمامية منصب القاضي الأول في المدينة. لقد أحدث سعد هذا التغيير رغم ما عرف عن كثير من أمرائها من ميل للمذهب الإمامي الاثني عشري(٢). لقد أكد ابن فرحون(٣) أهمية هذا التحول في نظام القضاء في سياق حديثه عن شخصية الأمير سعد بقوله: «كان في دولته من أحسن الأمراء سيرة، شجاعاً وافر الحشمة ناصراً للسنة قامعاً للبدعة متخلقاً بذلك مستجلباً رضى السلطنة».

لم تدم إمارة سعد سوى سنة وأربعة أشهر ثم توفي من جرح أصابه في معركة في ١٨ ربيع الآخر سنة ٧٥٢ هـ/ ١٣٥١ م(٤)، وانتخب آل جماز بعد وفاته فضل بن قاسم بن قاسم بن جماز (٥)، وصدر له مرسوم بذلك من القاهرة وظل في منصبه حتى وفاته سنة ٧٥٤ هـ/ ١٣٥٣م(٦). لقد شهدت الفترة القصيرة التي تولى فيها فضل بن قاسم منصب الإمارة في المدينة إكمال

(١) ذكر الفيروزآبادي والسخاوي أنه: «نادى في المدينة وأسواقها جهاراً ونهاراً أنه لا يحكم في المدينة إلا القاضي الشافعي»، الفيروزآبادي نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، السخاوي نفسه، ٢/ ١٢٦.

(٢) من بينهم جمار بن شيحة وابنه منصور وقد وصفهم الذهبي بأن فيهم تشيعاً ظاهراً، ذيول ٤/ ١٠، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٧٥، ابن عماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ ٦ (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت) ص١٠.

(٣) نصيحة، ورقة ١٠٩ ل ب.

(٤) ابن حجر، نفسه، ٢/ ٢٢٨، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٢٦.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٩ ب، الفيروزآبادي المغانم، (خ) ورقة ٢٥٦ ل أ، ابن حجر، نفسه ٢/ ٢٢٨، ٣/ ٣١٤، وفي هامش ٢/ ٢٢٨ من الدرر فضل بن قاسم بن جماز كما في السخاوي أيضاً التحفة ٢/ ١٢٦.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٩ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٥٦ ل ب وذكر ابن حجر، نفسه، ٣/ ٣١٤ وفاته في ذي القعدة ٧٥٣ هـ/ ٢ ١٣٥ م والأصح ما ذكره ابن فرحون لأنه المصدر الأقدم.

حفـر الخندق الذي بدأه سعـد بن ثابت حول سـور المدينة ، كما تمـتع بأخلاق فاضلة ونشـر عدله بين الناس[١]، تولى الإمارة بعـده ابن عمه ومسـتشاره [٢] مانع بن علي بن مـسعود بن جـماز[٣]. ويتضح من سيـر الأحداث في عهده عدم تمتعه بالحزم في إدارة شؤون المدينة فلم يـتمتع بدهاء سياسي وبعد نظر مما أدى إلى اضطراب الأوضاع السـياسية وطمع بعض الأشـراف وعلى رأسهم آل منصور ابن جـماز في السلطة، مما حـدا به للاستعـانة ببعض القوى والفـئات السكانية، ومنها المجـاورون وأهل المدينة وخدام الحجرة النبوية لدعـمه عسكرياً ومادياً فاسـتجابوا لذلك مراراً، غيـر أن معاملته القـاسية لأهل المدينة أدت إلى نقص في الأموال الكافيـة لإغداقها على القبائل لدعـمه عسكرياً، مما أدى إلى انحسار نفوذه فصدر أمر بعزله سنة ٧٥٩ هـ / ١٣٥٧م، وعين مكانه جماز بن منصور ابن جماز بن شيحة [٤].

رغم أن فترة إمارة ابن جماز كانت قصيرة حيث لم تتجاوز ثمانية أشهر، إلا إنها اتسمت باستقرار أمني وسياسي وربما يعـود ذلك إلى قوة شخصيته وحسن إدارته فكان كمـا وصـف: «خليقاً للملك شـهماً شـجاعاً وافـر الحرمة عظيم الهيبة ظاهر الجبروت»[٥]. غير أنه نظراً لميوله العلوية حـاول إعادة قضاة الإمامية الذين عزلهم سعد بن ثابت لتولي منصب القضاء بالمدينة، فأصدر أمراً

(١) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٢ ل ب، ٢٥٦ ل أ، السخاوي، نفسه، ٣/ ٣٩٦ .

(٢) كان مانع قد ذهب إلى مصر لطلب مرسوم بتعيين فضل على إمارة المدينة، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٥٦ ل ب .

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٩ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٣١٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٩٦.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل أ، الفيـروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٧ ل أ، القلقشندي، صبح، ٤/ ٢٠١، السخاوي، نفسه، ١/ ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٧ ل أ.

لفقيه الإمامية ويدعى يوسف الشريشير بأن يحكم بين الغرباء: «فظهرت كلمتهم وارتفعت رايتهم[١]»، بل إنه تمادى في محاربة أهل السنة لدرجة أن فقهاء الحنفية تعرضوا للتعذيب[٢]. كما عامل المجاورين معاملة قاسية مما حدا بالسلطان المملوكي أن يوعز لنائبه في الشام بالتخلص منه فتم تنفيذ الأمر باغتياله على يد فداويين قدما للحج مع الركب الشامي في ٢١ ذي القعدة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م[٣]، فاضطربت الأحوال في المدينة ونُهب الحاج الشامي على يد آل منصور غير أن الأمور استقرت بعد تدخل ابنه بدر الدين هبة بن جماز[٤].

لقد كان البحث عن أمير للمدينة من قبل الأشراف مهمة صعبة نظراً لتدهور الأحوال السياسية والأمنية ، حيث رفض المنصب كل من بدر الدين هبة بن جماز، وزيان بن منصور بن جماز ، لكن الأخير أشار بتعيين أخيه زين الدين عطية بن منصور فتم اختياره أميراً للمدينة سنة ٧٦٠ هـ/ ١٣٥٨م[٥] لما يتمتع به من ورع وتقوى، وقد شهدت المدينة في عهده استقراراً وأمناً كما عمل على تخفيف الضرائب عن الناس[٦]. غير أنه ما لبث أن عزل سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م ولم يتضح سبب عزله وعين بدلاً منه ابن أخيه هبة بن جماز بن منصور[٧]. وكان سبب تعيينة كما يظهر انتقاله من مذهب الشيعة الإمامية إلى المذهب

(١) الفيروزآبادي، المغانم، (خ)، ورقة ٢٣٧ لوحة أ، السخاوي، التحفة، ٤٢٧/١ .

(٢) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٧ لوحة أ.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٠ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٨ ل أ .

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٨ ل أ، القلقشندي، صبح، ٣٠١/٤، السخاوي، نفسه، ٤٢٧/١.

(٥) ابن فرحون، نفسه ورقة ١١٠ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٥٤ ل ب .

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١١ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٥٥ ل أ.

(٧) السخاوي، التحفة، ١٩٨/٣ .

الشافعي مذهب دولة المماليك في مصر، فكان عـهده ـ كما ذكر ـ خيراً وبركة على المدينة فرفع قواعد السنة وأخمد البدعة [1]، غير أنه ما لبث أن قبض عليه بمكة سنة٧٨٣هـ/ ١٣٨٠م[2] فعـاد زين الدين عطيـة إلى الإمارة إلاّ إن فـترته الثانيـة لم تدم طويلاً فقـد توفي سنة ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١م [3]. ويلحظ أن فـترة إمارة كل من عطية وهبة كانت طويلة نسبياً قياساً ببعض الأمراء السابقين، ويبدو أن ذلك راجع لحسن سيـاستهمـا وميلهما لأهل السنة والجـماعة، مما أكسبـهما رضا السلطنة المـملوكية. تولى الإمـارة بعد عطية جـماز بن هبة بن جـماز بن منصور الحسيني في ذي القعدة سنة ٧٨٣ هـ / ١٣٨١م[4] بمرسوم سلطاني[5]. غير أن نعير بن منصور[6] الذي خلف أخاه عطية دون مرسوم بتعيينه امتنع عن تسليم المدينة له مما أدى إلى وقوع قـتال بين الطرفين انتهى باستيـلاء جماز على المدينة بعد طعن نعير وانهزام أصحابه، ثم وفاته بعد ذلك بيومين[7].

من خلال تتبـع الأوضاع السياسيـة في المدينة أواخر القرن الثامـن الهجري يتضـح أن الصراع على السلطة بين أشـرافهـا على أشده وسـمة بارزة للحـياة

(١) الفيروزآبادي، المغانم، ورقة ٢٦٨ ل ب .

(٢) السخاوي، نفسه، ١٩٨/٣ .

(٣) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، جـ ٢ (ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص ٧٣، ٨٣، ابن تغري بردي، النجوم، ٢١٨/١١.

(٤) ابن تغري بردي، نفسه، ١١/ ٢١٨، السخاوي، نفسه، ٤٢٧/١ .

(٥) صدر من السلطان الملك الصالح أمير حاج، تولى السلطنة فترتين الأولى بين (٧٨٣-٧٨٤هـ / ١٣٨١ - ١٣٨٢ م) والثـانيـة بين (٧٩١ - ٧٩٢هـ / ١٣٨٩ - ١٣٩٠م) انظر ابن تغـري بردي، نفسـه، ٢١٦/١١ وما بعدها، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية ١٧٣/١ .

(٦) نعير بن منصور، تولى الإمـارة بعد وفاة أخيه عطية ٧٨٣ هـ / ١٣٨١م لفترة قـصيرة، ابن حجر، أنباء ٨٣/٢، وكان كما يظهر مستشار أخيه عطية، الفيروزآبادي نفسه، ورقة ٢٥٤ ل ب.

(٧) ابن حجر، إنباء، ٢/ ٧٣، ٨٣.

السياسية، فقد خرجت الإمارة من يد جماز بن هبة عدة مرات كما شاركه أبناء عمومته في بعض الفترات، ففي سنة ٧٨٥ هـ/ ١٣٨٣م شاركه ابن عم أبيه محمد بن عطية بن منصور[1] ثم خرجت الإمارة من يده فيما بعد، وأعيد إليها سنة ٧٨٩ هـ/ ١٣٨٧م[2]، وقبض عليه سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م[3]، وسجن بالإسكندرية سبع سنوات، ثم أطلق سراحه وأعيد للإمارة سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م بعد عزل أميرها ثابت بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة، وعاد ثابت للإمارة في ذلك العام، ثم اقتتل جماز وثابت وحسم نزاعهما بالسيف وتولى جماز الإمارة سنة ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م حتى عزل عنها سنة ٨١١ هـ/ ١٤٠٨م[4].

فانتقم لعزله بكسر قبة الحجرة النبوية ونهب ما فيها من قناديل الذهب والفضة، ثم فر من المدينة، وقتل بعدها على يد بعض الأعراب سنة ٨١٢ هـ/ ١٤٠٩هـ[5] وقد وصفه السخاوي[6]، بأنه: «كان يظهر إعزاز السنة ومحبتهم

---

(١) توفي الشريف محمد بن عطية سنة ٧٨٨ هـ/ ١٣٨٦م، انظر، الصيرفي، علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي جـ ١ (د. ط. دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠م) ص ١٤٧.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ٤٢٨.

(٣) القلقشندي، صبح، ٤/ ٣٠١ حيث ذكر أن أميرها سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م كان ثابت بن نعير، أما الصيرفي، نزهة ١/ ٤٥٠ فذكر أن القبض على جماز تم سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م.

(٤) ابن حجر، نفسه، ٦/ ١٠٣، حيث ذكر وفاة ثابت بن نعير منافسه على الإمارة.

(٥) ابن حجر، نفسه، ٦/ ١٠٤ - ١٠٥، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع جـ ٣ (د. ط، دار مكتبة الحياة، بيروت د. ت) ص ٧٨، السخاوي، التحفة ١/ ٤٢٨.

(٦) السخاوي، الضوء، ٣/ ٧٨.

بخلاف ثابت بن نعـير». ويرى المقريزي[1] أن حسن بن عـجلان[2] أمير مكة الذي أصبح بتفويض من السلطان المملوكي نائب السـلطنة بالحجاز؛ قد استناب عجـلان بن نعير بن منصور بن جـماز والد زوجتـه بدلاً من ثابت المتوفى سنة ٨١١ هـ / ١٤٠٨ م على المدينة، وأمـده أمـير مكة بعـسكر على رأسـهم ابنه أحمد لدعمه ضد مناوئيه وبخاصة جماز بن هبة.

كانت ولاية عجلان بن نعير عـلى المدينة مضطربة فلم يستقر الحكم له، بل نافسه آخرون وعلى رأسهم آل جماز بن هبة الذين هاجموا المدينة وقبضوا على عجلان وسلمـوه لأمير الحاج الشامي ثم أرسل إلى مكة، وأطلق سـراحه بأمر من أمـيرها غـير أنه لم يعـد للإمـارة، بل حل مكانه سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣م غرير بن هيـازع بن ثقبة بن جماز الحـسيني[3] الذي استمـر في الإمارة ثماني سنين وعزل عنها سنة ٨٢٤ هـ/ ١٤٢١م واعتقل وسجن وتوفي سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢٢م [4]، وأعيد عجـلان بن نعير[5] ثم عزل وعيّن بدلاً منه ثابت بن نعير ابن هبة بن جماز سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥ م، ثـم عزل ثابت في نفس العام، أما عجـلان فقد قـتل سنة ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٥[6]م. لم تتضح أسـباب عزل كل من عجلان وثابت غيـر أنه يبدو أن لميولهما العلوية دوراً في ذلك العـزل فقد أقام

(١) السلوك، ٤/ ٧٦، انظرأيضاً ابن حجر، إنباء، ٦/ ١٠٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ١٧٦ .

(٢) حسن بن عجـلان، أمير مكة ونائب السلطنة ولي إمرة مكة مـن غير شريك نحو إحـدى عشرة سنة ووليها سنة وسبع أشهر شـريكاً لابنه السيد بركات، تولى الإمارة سنة ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤ م وتوفي سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م الفاسي، العقد، ٤/ ٨٦ - ١٣٨ .

(٣) الصيرفي، نزهة، ٢/ ٤٣٥.

(٤) ابن حجر، نفسه، ٧/ ٤٧٩، السخاوي، الضوء، ٦/ ١٦١، السخاوي، التحفة، ٣/ ١٧٧.

(٥) الصيرفي نفسه، ٣/ ١٧.

(٦) ابن حجر، نفسه، ٨/ ١٨٣، السخاوي، الضوء، ٥/ ١٤٥، السخاوي التحفة، ٣/ ١٧٧.

ثابت كما يذكر السخاوي[1]: «من الرافضة قاضياً اسمه الطفيل وكلما جاء حكم من الأحكام يرسل غالباً إليه»، ويتضح أمر عـزل ثابت من الدعم الذي تلقاه خلفه خشرم بن دوغان بن هبـة من السلطان المملوكي الأشرف برسباي (٨٢٥-٨٤١ هـ/ ١٤٢٢- ١٤٣٨م)[2]، حين أرسل السلطان المملوكي جـيشـاً بقـيادة بكتمر السعدي[3] لصد هجـوم عجـلان، حيث يرى السـخاوي[4] أن تعيين المذكور كان: «لتـقوية أهل السنة»، على أن فترته في الإمـارة لم تطل فما لبث السلطان المملوكي أن غضب عليه لأسباب غير معروفة فقبض عليه وأُرسل إلى مكة ومنها إلى القاهـرة حيث سجن سنة ٨٣١ هـ/ ١٤٢٧م[5]، وفي رواية أنه قتل سنة ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨م[6]. تولى مكانه مانع بن علي بن عطية بن منصور ابن جمـاز بن شيحـة الحسيني واسـتمر في منصـبه حتى مـقتله سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م على يد حيـدر بن دوغان انتقـاماً لمقتل أخـيه خشـرم بن دوغان الذي يعتقد أنه قتل من قبل مانع المذكور[7]. وقع صراع على الإمارة بين أبنـاء مانع وهم العجل وعلي وأميـان حُسم بتولي أميان للإمـارة وتوطدت سلطته بمرسوم

(١) السخاوي، التحفة، ١/ ٣٩٧.

(٢) المقريزي، السلوك، ٤/ ٦٠٧- ١٠٥١، ابن تغري بردي، النجوم، ١٤/ ٢٤٢، ١٥/ ٢١٠، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ١٧٥.

(٣) «بكتمر بن عبد الله السـعدي، مملوك سـعد الدين بن غـراب. . . . . ترقى إلى أن سفّره السلطان إلى صاحب اليـمن، ثم عاد فتأمـر وتقدم»، مات في ربيع الأول سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م، ابن حجر، إنباء، ٨/ ١٥٢، السخاوي، الضوء، ٣/ ١٧.

(٤) التحفة، ٢/ ١٨.

(٥) السخاوي، نفسه، ٢/ ١٨.

(٦) ابن حجر، إنباء، ٨/ ١٨٢ - ١٨٣ وفيها مات أيضاً عجلان بن نعير بن منصور وقيل إن خشرم قتل على يد مانع بن علي، السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٣٦ . وانظر أيضاً السخاوي، الضوء، ٣/ ١٧٤، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٨.

(٧) ابن حجر، إنباء، ٨/ ٤٠٤ - ٤٠٥، السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٣٦.

سلطاني بتعيينه[1]. غير أن أميان عزل من منصبه غير مرة ففي سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م عزل وعين سليمان بن غرير بن هيازع بن هبة بن جماز بن منصور الحسيني[2]، وقد دخل الأخير في صراع مع أميان على الإمارة سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م تمكن سليمان من الانتصار فيه ثم عاد أميان للإمارة مرة أخرى سنة ٨٥٠ هـ/١٤٤٦ م بعد ضيغم بن خشرم بن نجاد الحسيني[3]، واستمر أميان في الإمارة حتى وفاته سنة ٨٥٣ هـ/١٤٤٩م[4] وقيل سنة ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١م[5]، وخلال فترة الصراع تلك تعاقب على إمارة المدينة عدد من أشرافها بينهم سليمان بن غرير السالف الذكر الذي استمر في الإمارة من ٨٤٢ هـ - ٨٤٦ هـ/ ١٤٣٨- ١٤٤٢م [6]، وخلفه لعدة أشهر موسى بن كبيش بن جماز، ثم أعقبه سنة ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعير بن منصور واستمر في الإمارة حتى عُزل سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م وأعيد أميان إلى الإمارة [7]. مما سبق يتضح أن الصراع بين أشراف المدينة للاستحواذ على السلطة قد أدى إلى إضعاف مركز المدينة السياسي والعسكري في مواجهة القوى المحلية خاصة القبائل، وفي مواجهة أشراف مكة، وأدى ذلك إلى تعزيز دور وسلطة السلطنة المملوكية فتدخلت في شؤون أشراف المدينة بالعزل والتعيين.

---

(١) المقريزي، السلوك، ٤/ ٩٧٥، ابن حجر، نفسه، ٨/ ٤٠٤ - ٤٠٥، السخاوي، الضوء، ٢/ ٣٢١.

(٢) السخاوي، الضوء، ٥/ ١٦١ .

(٣) السخاوي، الضوء، ٤/ ٢ .

(٤) السخاوي، التحفة، ١/ ٣٣٩ .

(٥) السخاوي، الضوء، ٢/ ٣٢١ .

(٦) السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٦٨، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٨٤ .

(٧) السخاوي، التحفة، ١/ ٣٣٩، ٢/ ٢٥٤.

استمر أميان في الإمارة حتى توفي سنة ٨٥٣ هـ/١٤٤٩م[١]. وقيل سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م[٢] وتم تعيين زبيري بن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور الحسيني[٣]. استمر زبيري في الإمارة مدة عشر سنوات ثم عزل سنة ٨٦٥ هـ/ ١٤٦٠م[٤] وعين بدلاً منه زهير بن سليمان بن هبة بن جماز بن منصور الحسيني[٥]، غير أن زبيراً رفض قرار عزله وسافر إلى مصر ملتمساً إعادته فلم ينجح في مسعاه وظل زهير بن سليمان في منصبه حتى وفاته سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م[٦]. وقد ذكر أن زهيراً كان مناهضاً للشيعة مناصراً للسنة يقول في ذلك السخاوي[٧]: «إن الشيعة كانت تكرهه».

تولى الإمارة بعده ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت الحسيني حتى عزل سنة ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨م [٨]، وعين بدلاً منه قسيطل بن زهير بن سليمان بدعم من أمير مكة حتى سنة ٨٨٧ هـ/ ١٤٨٢م[٩] حيث أعيد زبيري بن قيس للإمارة

(١) ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور تحقيق محمد كمال عز الدين جـ ٢ (ط١، عالم الكتب. د. م ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ٣٥٠ السخاوي، التحفة، ١/ ٢٣٩.

(٢) السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٣٢، حيث ذكر توليه الإمارة سنة ٨٥٤ هـ / ١٤٥٠ م وفي السخاوي، التحفة، ٢/ ٨١ سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م .

(٣) السخاوي، الضوء، ٢/ ٣٢١، السخاوي، التحفة، ٢/ ٨١.

(٤) ابن تغري بردي، حوادث، ٢/ ٥٦٦، السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٣٢ .

(٥) السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٣٩، السخاوي، التحفة، ٢/ ٨٥ .

(٦) ذكر السخاوي أن ضيغم بن خشرم بن ثابت بن نعير تولى إمارة المدينة سنة ٨٦٩ هـ/١٤٦٤م فأقام بها نحو أربعة أشهر ثم عزل وعين بدلاً منه إبراهيم بن سليمان، ثم أعيد بعد موت إبراهيم سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩ م فاستمر إلى رمضان سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨ م، الضوء، ٤/ ٢، التحفة، ٢/ ٢٥٣، وانظر الصيرفي، علي بن داود، إنباء الهصر بأنباء العصر تحقيق حسن حبشي (د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٠م) ص ٧.

(٧) السخاوي، التحفة، ٢/ ٨٥ .

(٨) السخاوي، الضوء، ٤/ ٢ .

(٩) السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣، السخاوي، التحفة، ٢/ ٨٠ - ٨١، ٣/ ٤١٦ - ٤١٧ .

غير أنه لم يدم في منصبه سوى أشهر قليلة توفي بعدها سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م[١]. وتولى الإمارة ابنه البدر حسن الذي وصفه السخاوي[٢] بقوله: «إنه «محمود السيرة»، دامت إمارته قرابة ثلاث عشرة سنة غير أن حكمه ساء أواخر القرن التاسع لدرجة أنه سطا على المسجد النبوي وسرق حاصل الحرم من نقود وقناديل الذهب والفضة مثل كثير من أمراء المدينة وسبك تلك القناديل وارتحل عنها سنة ٩٠١ هـ/ ١٤٩٥م، فأرسل شريف مكة جيشاً لحفظ الأمن بصحبة فارس بن شامان بن زهير بن سليمان الذي عينه أمير مكة نائباً عنه في المدينة[٣]، بعد أن صدر الأمر بعزل أميرها البدر حسن، ثم عين شريف مكة بعد ذلك وفي نفس العام مانع بن زبيري ـ أخا الأمير السابق ـ أميراً على المدينة[٤]. وفي رجب سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م قام الشريف بركات بن محمد بن بركات[٥] أمير مكة بأمر من السلطان المملوكي[٦] بتعيين الشريف ثابت بن ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت أميراً على المدينة[٧]. ويبدو أن المذكور استمر في منصبه حتى نهاية العصر المملوكي سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م.

(١) السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٣٣، السخاوي، التحفة، ٢/ ٨١ .

(٢) الضوء، ٣/ ١٠٠، ٢٣٣، التحفة، ١/ ٤٧٩ .

(٣) السخاوي، الضوء، ٦/ ١٦٢، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٩٢.

(٤) السخاوي، التحفة، ١/ ٤٧٩ حيث ذكر أنه عاد بعد ذلك إلى المدينة وتوفي بها، وفي الضوء، ٣/ ١٠٠، أن السخاوي رآه بالمدينة سنة ٨٩٨ هـ/ ١٤٩٢ م.

(٥) تولى الشريف بركات بن محمد بن بركات الإمارة شريكاً لوالده سنة ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م، ولاها إياه السلطان الأشرف قايتباي ثم انفرد بالإمارة بعد وفاة والده سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم شلتوت جـ ٣ (ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص ٣٥- ٣٢٥.

(٦) هو الملك الأشرف قانصوه الغوري تولى السلطنة من سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م حتى مقتله في رجب سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م، ابن اياس، أبو البركات محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، جـ ٤ (ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص ٣- ٥، ٦٨- ٧٠.

(٧) ابن فهد، غاية، ٣/ ٢٨٠- ٢٨١، ابن فهد، بلوغ، ورقة ٢١٣ ل ب.

ثانياً - العلاقات الخارجية:

(أ) العلاقة مع السلطة المركزية:

ظلت علاقة الحجار بالسلطة المركزية تمثل أهمية بارزة في نطاق التاريخ السياسي للحجاز خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، لأهميتها الدينية والإستراتيجية والاقتصادية[1].

وقبل الحديث عن طبيعة العلاقات السياسية للمدينة المنورة في العصر المملوكي يحسن بنا أن نعطي بعض المؤشرات عن طبيعة علاقة المدينة بالسلطة المركزية قبل هذا العصر، ففي العصر الأيوبي نجد القاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة يرتبط بعلاقة قوية مع السلطان صلاح الدين الأيوبي وضحها أبو شامة[2] في قوله: «كان للسلطان في جميع الغزوات مصاحباً... وكان السلطان يستوحش لغيبته ويأنس بشيبته» حتى إن تعيين القاسم كان بأمر من الخليفة العباسي المستضيء ٥٦٦ -٥٧٥هـ/ ١١٧٠- ١١٧٩م.[3] وفي موسم سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م تمكن من مد نفوذه على مكة بدعم من أمير الركب العراقي

(١) علي حسين السليمان، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك (د.ط، دار حراء، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ص ٢٢-٢٣ .

(٢) كتاب الروضتين، ٢/ ١٣٤، ابن العماد الأصفهاني ، الفتح، ص ٢١، العليمي، الأنس، ١/ ٢٨٦.

(٣) الفاسي، - العقد، ٧/ ٣١- ٣٢، وقد عاصر القاسم أيضاً السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ت ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م الذي اتسع ملكه فشمل الموصل والشام ومصر واليمن وخطب له بالحرمين مكة والمدينة، ابن الأثير علي بن أبي بكر بن محمد، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات (د. ط، دار الكتب الحديثة القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) ص ١٦٢.

طاشتكين المستنجدي[١] الذي عزل أمير مكة مكثر بن عيسى وعين القاسم بدلاً منه، غير أن أمير المدينة لم يستمر فيها سوى ثلاثة أيام[٢]، وفي ذلك يقول ابن الجوزي[٣] إن قاسماً قال: «إني لا أتجاسر أن أقيم بمكة بعد خروج الحاج».

وتسلط المصادر الضوء على العلاقـة بين أشراف المدينة وأمراء الشام من بني أيوب فنجـد ارتباطاً قـوياً من جانب أمـراء المدينة بالسلطة الأيوبية فـي الشام، ويمكن تفسير قوة تلك العلاقـة لعدة عوامل أبرزها: الخلاف بين جناحي الأسرة الأيوبية في مصر والشام بعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م ومحاولة كلا الطرفين مد نفوذه إلى الحجاز، إضافة لقرب الشام من المدينة، زد على ذلك أن سلاطين بني أيوب فـي مصر قد دعـموا أمراء مكة على حـساب أمراء المدينة مما أدى بأشـراف المدينة إلى الالتجـاء للأيوبيين في الشام[٤]. كما نجد أن سالم بن قـاسم الحسيني أمير المدينة قـد تلقى الدعم والمساندة من الملك المعظم عيسى بن العادل أمير دمشق[٥].

(١) طاشتكين الأمير مجد الدين أبو سعيد المستنجدي وعـرف أيضاً بطاشتكين بن عبد الله المقتفوي مجير الدين أمير الحرمين والحاج توفي سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، الفاسي، العقد، ٥/٥٦- ٥٧، الجزيري، عبد القادر بن محمد، الدرر الفرائد المنظمة في أخبـار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، جـ ١ (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٥٦٨- ٥٦٩، العصامي، سمط، ٤/ ٢٠٥.

(٢) الفاسي نفسه ، ٧/٣١-٣٢ العصامي ، نفسه، ٤/ ٢٠٥ .

(٣) المنتظم ، ١٨/ ٢٢٤.

(٤) ابن كثير، عـماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمـر ابن كثير، البداية والنهاية جـ ١٣ (ط٢، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٧٧م)ص٦٧، المقريزي، السلوك، ١/ ١٨٠.

(٥) سبط ابن الجوزي، شـمس الدين أبو المظفر يوسف، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، جـ ٨ (د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الهند ١٩٥٢م) ص٥٧٠، ابن كثير، نفسه، ٣/ ٦٧.

وفي الوقت الذي تحالف فيه الشريف قتادة أمير مكة مع الملك الكامل في مصر[1]؛ نجد أن خلفاءه وبخاصة راجح بن قتادة يتحالفون مع الرسوليين[2]، فيما تحالف أمراء المدينة مع الأيوبيين ضد أمراء مكة وسلاطين بني رسول ففي سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م انضم الشريف شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا الحسيني إلى الملك الكامل[3] ضد كل من الملك المنصور الرسولي[4] وأمير مكة راجح ابن قتادة، وذلك في نطاق الصراع بين الأيوبيين والرسوليين للسيطرة على الحجاز فتم للأيوبيين وحلفائهم من أشراف المدينة إخراج راجح وجيش اليمن من مكة، كما وصل الأمير شيحة سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م إلى مكة على رأس جيش في ألف فارس مرسلاً من قبل الملك الكامل الأيوبي لانتزاع مكة من نواب صاحب اليمن[5]. وكان أول اتصال بين السلطنة المملوكية وأمراء المدينة قد تم في ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م حينما قدم مصر أبو العباس أحمد ابن عبدالواحد بن مراء الحوراني القاضي الملقب بالتقي الشافعي رسولاً من أمير

(١) أبو شامة، الذيل، ص ٩٢، الفاسي، العقد، ٧/ ٤٤- ٤٥ حيث ذكر تسلم نواب الكامل ينبع من نواب قتادة حماية لها من قاسم بن جماز صاحب المدينة.

(٢) حكموا ما بين (٦٢٦- ٨٥٨ هـ/ ١٢٢٩/ ١٤٥٤م) ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ٢٠٣، وانظر عن الدولة الرسولية إلى الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق محمد بن علي الأكوع، (ط٢، دار الآداب، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

(٣) أبو المعالي محمد بن العادل حكم بين (٦١٥- ٦٣٥هـ/ ١٢١٨- ١٢٣٨م)، ابن خلكان، وفيات، ٥/ ٧٩- ٩٢، ستانلي لين بول، نفسه، ١/ ١٤٦.

(٤) المنصور نور الدين عمر أول ملوك بني رسول تولى ما بين (٦٢٦- ٦٤٧هـ/ ١٢٢٩/١٢٤٩م) الخزرجي، نفسه، ١/ ٥١- ٨١، ستانلي لين بول ، نفسه، ١/٢٠٣.

(٥) الفاسي، نفسه، ٥/ ٢٣، المقريزي، السلوك ١/ ٣١٢، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٢٦، يحيى بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة جـ ١ (د. ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨) ص ٤٢٤.

المدينة إلى السلطان المملوكي سيف الدين قطز (٦٥٧- ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩- ١٢٦٠م) الذي اتهم بأنه قبض أوقاف المدينة بالديار المصرية فوجده قد قتل وتولى الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مكانه: «فاجتمع به وقضى شغله وأطلق الوقف»[١].

وبعد إحياء الخلافة العباسية بالقاهرة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م قلد الخليفة العباسي المستنصر بالله[٢] الظاهر بيبرس[٣] البلاد الحجازية وتلقب بخادم الحرمين الشريفين[٤]، كما أقيمت الخطبة للسلطان المملوكي بمكة سنة ٦٦٢هـ ١٢٦٤م وسلم مفتاح الكعبة إلى الصدر جمال الدين بن الموصلي المُوقِّع الذي قدم إلى مكة ليكون نائب السلطان الظاهر بيبرس بها[٥].

وكان السلطان بيبرس قد بدأ نفوذه في الحجاز سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م بأن جهز الأموال لعمارة الحرم النبوي وأرسلها بصحبة الأمير علم الدين

(١) ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار جـ ٢ ، د. ط، دار البعث دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ١١١٩- ١١٢٠.

(٢) هو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد تولى الخلافة بين (٦٥٩- ٦٦٠ هـ/ ١٢٦٠- ١٢٦١م) المقريزي، السلوك، ١/ ٤٤٨، ٤٨٦، ابن تغري بردي النجوم، ٧/ ٢٠١، ٢٠٦ ستانلي لين بول، الدول الإسلامية ١/ ٤٥.

(٣) الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري حكم بين (٦٥٨- ٦٧٦هـ/ ١٢٥٩- ١٢٧٧م) المقريزي ، نفسه، ١/ ٤٣٦، ٦٣٦، ابن تغري بردي، نفسه، ٧/ ٩٤، ٢٥٩. ستانلي لين بول، نفسه، ١/ ١٧٢

(٤) عرف ذلك من خلال نقش موجود بقلعة دمشق تاريخه ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م ، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق (د. ط، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص ٢٦٨.

(٥) المقريزي، السلوك، ١/ ٥٠٤- ٥٠٥، المقريزي، أحمد بن علي، الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، (د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥م) ص ٨٤- ٨٥.

اليغموري[1]. كما قام السلطان المملوكي سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م بعمل كسوة للحجرة الشريفة وبعثها مع أحد رجاله مصحوبة بالشمع والبخور والزيت والطيب[2].

إلا أن النفوذ السياسي المباشر للمماليك في المدينة لم يبدأ إلا في سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م حينما سنحت الفرصة للظاهر بيبرس بالتدخل في شؤون أمرائها الحسينيين من بني مهنا بأن كتب تقليداً للشريف بدر الدين مالك بن منيف بن شيحة بالمشاركة في نصف إمارة المدينة وأوقافها مع عمه جماز بن شيحة[3]، وقد وافق جماز على هذا التقليد وهو بمنزلة اعتراف من أشراف المدينة بالسيادة السياسية والدينية للمماليك[4]. وكانت الزكاة والعشور من

(١) المقريزي ، السلوك، ١/ ٤٤٥، ٢، ٥٠٢، السخاوي ، التحفة، ١/ ٣٨٥، غير أنه ذكر أن ذلك تم سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م وذكر في ص ٣٨٦ أعمالاً أخرى للظاهر بيبرس في أعوام ٦٦٦هـ و ٦٦٧هـ/ ١٢٦٧م و١٢٦٨م، ولم أجد ترجمة لعلم الدين اليغموري فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٢) المقريزي، السلوك، ١/ ٥١٢، العيني ، بدر الدين محمود، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق محمد محمد أمين جـ ١ (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٧/ ١٩٨٧م) ص٣٧٦، ونرى بالمقابل أن الملك المظفر الرسولي يوسف ملك اليمن قد كسا الحجرة النبوية سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، ابن فهد، **إتحاف**، ٣/ ٩١.

(٣) هو جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم الحسيني (٦٥٧-٧٠٤هـ/ ١٢٥٩- ١٣٠٤م) ابن حجر، الدرر، ٢/ ٧٥، وانظر عن تدخل المماليك في شؤون المدينة السياسية إلى د أحمد محمد عدوان، المماليك وعلاقاتهم الخارجية (ط١، دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ص ١٤٧- ١٤٨.

(٤) ابن عبد الظاهر، محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر (ط١، نشر عبدالعزيز الخويطر الرياض ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ص ٢٨٤- ٢٨٥، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، (القسم التاريخي) تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة جـ ٣٠ (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ص ١٤٦ - ١٤٧، المقريزي ، السلوك، ١/ ٥٦٠، العيني، عقد، ٢/ ٩- ١٠.

الأمور التي تؤكد نفوذ المماليك في الحجاز؛ لهذا أرسل السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م مندوباً إلى أمير المدينة هو الأمير شكال ابن محمد لأخذ الزكاة، فامتنع أميرها عز الدين جماز بن شيحة الحسيني فما كان من مندوب السلطان إلا أن ذهب إلى قبيلة بني خالد[١] وطلب منهم المساعدة لمحاربة أمير المدينة، وعندما علم الشريف جماز خاف وأرسل للسلطان المملوكي مبدياً استعداده لأداء ما عليه من حقوق للسلطنة[٢].

وفي سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م أرسل السلطان المملوكي الأمير ناصر الدين بن محيي الدين الجزري الحاجب لاستخراج الزكاة من أهل المدينة، فعاد إلى مصر ومعه مئة وثمانون جملاً وعشرة آلاف درهم كما: «وصل بنو صخر، وبنو لام، وبنو عنزة وغيرهم من عربان الحجاز، والتزموا بزكاة الغنم والإبل وتوجه معهم مشدون لاستخراج ذلك»[٣].

لقد أدت الفتن الداخلية والصراع بين أمراء المدينة إلى تدخل سلاطين المماليك لحسم الأمور بين الأطراف المتصارعة من أشرافها، ففي سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م أفرجت السلطنة المملوكية عن الشريف منصور بن جماز أمير المدينة، وكان قد قبض عليه وحضر مع أمير الركب إلى القاهرة، فأعيد إلى ولايته بعد عزل أخيه ودّي بن جماز، وأرسل بصحبة منصور أحد قادة المماليك ويدعى

(١) بنو خالد ربما هم بطن من غزية من طيء من القحطانية، مساكنهم برية الحجاز، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص ٢٤٢، عمر كحالة، معجم قبائل العرب، ٣٢٨/١.

(٢) العيني، عقد، ٨/١ ٤٢- ٤٢٩، المقريزي ، السلوك، ٥٥٨/١.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض ، ص ٢٨٥ النويري، نهاية، ١٤٩/٣٠، المقريزي، السلوك، ١/ ٥٦٢- ٥٦٣.

عـز الدين أيدمر الكوندكي[1]، ويفهم من إرسال القائد المملوكي بصحبته دعم سلطة أمير المدينة وتوطيد النفوذ المملوكي بها.

لقد عـاد ودّي بن جماز لاحـتلال المدينة مسـتغلاً غيـاب أميرها كـبيش بن منصـور سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م ففـر منها نائـبه طفـيل بن منصور وتوجـه إلى القاهرة وقـدمها في صــفر ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م وأخبر السلـطان المملوكي الناصر محمد بن قـلاوون بما حدث، فقرر السلطان تجريد حملة لإعادة كـبيش غير أن أميرها استطاع العودة وطرد الشريف ودّي منها[2]. ويتضح من ذلك أن سياسة السلطنة المملوكيـة تجاه المدينة كان دعم الاستقـرار فيها من خـلال دعم أمرائها بالقوة العسكرية مما مكنها من قمع معارضيها.

وفي الفتــرة الواقعة بين (٧٢٨- ٧٥٠هـ - ١٣٢٨- ١٣٤٩م) شـهد الوضع السياسي في المدينة مـحاولات من قبل السلطنة المملوكيـة لتثبيت سلطتهـا فقد أصدر السلطان المملوكي مـحمد بن قلاوون سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م أمـراً بتقليد طفيل بن منصور[3] خلفاً لأخيه كبيش الذي قتل في تلك السنة، إلا أن السلطان ما لبث أن عـزله سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م وقلد الإمارة لودّي بن جـماز[4] وبعد وفاة ودّي سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م هاجم طفيل بن منصور المدينة واستولى عليها وبعث أخاه جـماراً إلى مصر، ممـا اضطر السلطنة المملوكية لإقـراره على إمارة المدينة وإرسال التقليد إليه، غير أنه مالبث أن عزل سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م وعين

(١) ابـن حجـر، الدرر، ٥/ ١٣٢، المقريزي ، نفسه، ٢/ ١٧٥، ولم أجد لأيدمر الكوندكي ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٢) تولى كبـيش بن منصور إمرة المدينة بين (٧٢٥- ٧٢٨هـ/ ١٢٢٤- ١٢٢٧م) ابن حـجر، نفسه، ٣/ ٣٤٨، السخاوي، التحفة ، ٣/ ٤٢٦- ٤٢٧.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٤٦ ل أ.

(٤) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٦٨ ل أ، ابن حجر ، الدرر، ٥/ ١٨٠- ١٨١.

مكانه ابن عمه سعد بن ثابت بن جماز، فانتقم طفيل بأن هاجم المدينة ونهب ما كان بها من بضائع وأمتعة للحجاج فأمر السلطان ناصر الدين حسن[١] بالقبض عليه سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م ونقل إلى القاهرة حيث سجن حتى وفاته سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م[٢].

استمر المماليك في التدخل في شؤون المدينة السياسية، ففي سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م تولى إمارة المدينة جماز بن هبة بن جماز بن منصور بمرسوم من السلطان المملوكي الصالح صلاح الدين[٣]. وقد دخل جماز في صراع مع أبناء عمومته وتولى الإمارة ثلاث مرات حتى مقتله سنة ٨١٢هـ/ ١٤١٠م،[٤] وكانت المرة الأخيرة لإمارته في عام مقتله حيث ولاه السلطان فرج بن برقوق[٥] وهو بدمشق إمرة المدينة بعد أن أشترط عليه إعادة ما أخذ من حاصل الحرم النبوي الشريف[٦].

كان النفوذ المملوكي يشمل إلى جانب النفوذ السياسي جانباً دينياً يتمثل في ذكر سلاطين المماليك والدعاء لهم على منابر مكة والمدينة، حيث كان المماليك

---

(١) الملك الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن محمد بن قلاوون الألفي تولى السلطنة لفترتين الأولى بين (٧٤٨- ٧٥٢هـ / ١٣٤٧- ١٣٥١م) والثانية بين (٧٥٥- ٧٦٢هـ/ ١٣٥٤- ١٣٦١م) المقريزي، السلوك، ٢/ ٧٤٥، ٣ ٨٤٣ /١، ٦٤، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ١٧٣.

(٢) ابن حجر، نفسه، ٢/ ٣٢٥، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٦، ٢٤٧ ل أ ، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٥٩.

(٣) الصالح صلاح الدين حاجي الثاني، تولى في المرة الأولى (٧٨٣- ٧٨٤هـ/ ١٣٨١- ١٣٨٢م) ثم تلقب بالمنصور ناصر الدين حاجي الثاني في ولايته الثانية (٧٩١- ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩- ١٣٩٠م) المقريزي، السلوك، ٣/ ٤٣٩، ٤٧٥ ، ٦٢٠، ٦٩٩، ستانلي لين بول الدول الإسلامية ،١/ ١٧٣ .

(٤) المقريزي، نفسه، ٤/ ١٢٩- ١٣٠، السخاوي ، التحفة، ١/ ٤٢٨.

(٥) امتد عهد السلطان فرج لفترات متقطعة فيما بين (٨٠١- ٨١٥هـ/ ١٣٩٨- ١٤١٢م) المقريزي ، نفسه، ٣/ ٩٥٩، ٤/ ١، ٧، ٨، ١٣ .

(٦) المقريزي ، نفسه، ٤/ ١٠٦، السخاوي، نفسه، ١/ ٤٢٨.

في حاجة إلى شرعيــة تسند حكمهم فكان التعبير الأقوى لتأكـيد تلك الشرعية والسلطة هو الدعاء لهم على منابـر الحرمين الشريفين. ومن ناحيــة أخرى فإن المماليك يدركون الأهمـية الإستراتيجيــة للحجاز لذلك أرسلوا إليها الحـاميات العسكرية لتضمـن السيطرة الفعلية عليها، وتنشـر الأمن والاستقرار هناك وتمنع منافسيهـا وبخاصة الرسوليين في اليمن ومغول فـارس والعراق من مدّ نفوذهم إليها، كما أنها بإرسال تلك الحاميات انتزعت جانباً من السلطة التي كان يتمتع بها أمراء مكة والمديـنة من الأشراف، فأرسلت حاميـات إلى مكة لدعم النفوذ المملوكي، وسلطة أمرائها في وجـه منافسيهم كما كـانت ترسل قوة من عسكر المماليك وقت الحج لحراسـة قوافل الحـجاج وتوطيـد الأمن وقت الموسم[1]. وفيـما يتعلق بالمدينة فـقد أرسلت إليها قـوة في عهد السلطان جـقمق[2] كما استعين ببعض القبـائل لحماية أهل السنة في المدينة من الرافضة[3]، كما أرسل السلطان جـقمق أيضـاً في سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م قـوة إلى الحجـاز مكونة من عسكر التـرك والعرب: «لدفع قـبيلة بلي المفسـدين في طريق الحجـاز فظفروا بطائفة منهم بسطح العقبة رجعـوا بعد أن امتـاروا فقبضوا عليهم واستمـروا إلى أن دخلوا بلاد بلي»[4].

---

(١) المقـريزي، السلوك، ١/ ٧٢٤ حـوادث سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م ، ٢/ ١١٩ حـوادث سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، ٢/ ١٤٥ حوادث سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م .

(٢) السلطان جقمق الملك الظاهر، أبو سعيد جقمق العلائي الجركسي الظاهري تولى السلطنة بين (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨- ١٤٥٣م)، المقريزي نفسه، ٤/ ١٠٨٦، ابن تغري بردي ، النجوم، ١٥/ ٢٥٦، ابن اياس، بدائع ، ٢/ ١٩٨، ٢٩٩، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ١٧٥ .

(٣) العيني ، بدر الدين مـحمود، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم) تحقـيق عبدالرزاق الطنطاوي القـرمـوط (ط١، الـزهراء للإعـلام، القـاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص ٥٨٣، أحـمـد عبدالحمـيد خفاجي، موقف مصـر من الحجاز في عهد المماليك الجـراكسة ، (٨٤٢-٩٢٣هـ/ ١٤٣٨-١٥١٧م) (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية ١٩٦٨م) ص ١٧ .

(٤) ابن حجر، إنباء، ٩/ ١٠٤ .

ويمكن القـول: إن القوات والحـاميـات المرسلة للحـجاز كـان من أهدافهـا الأساس تأمين طرق الحج والقوافل من مـصر والشام للحجاز، وحـماية قوافل الحج، وقمـع محاولات أشـراف الحجـاز الخروج عن سلطة الدولـة، وإحلال الأمن والاستقرار في البلاد كما كان قادة العسكر عيوناً للسلطنة المملوكية، وقد استخـدم المماليك أشراف الحجـاز بعضهم ضد بعض طمعـاً في تدعيم السلطة المركزية في الحجاز، ففي سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م بادر السلطان المملوكي المنصور قلاوون(١) بدعم أمير المدينة جـماز بن شيحة بقوة ضـد أمير مكة أبي نمي(٢)، الذي لم يكن على وفاق مع السلطنة المملوكية حيث كان يسلك سياسته الخاصة التي لا تتفق بالضرورة مع مصالح الدولة المملوكـية، وقد استطاعت تلك القوة المشتركة دخول مكة واسـتقر الأمر فيها لأمير المدينة جمـاز بعد خروج أميرها، إلا أن جمازاً مالبـث أن ترك مكة بعد عدة أشهر حين بلغه مـراسلة قائد العسكر المملوكي المرابط بمكة للشريف أبي نمي سراً فخشي على حياته وانسحب منها(٣). ويتضح من سير الأحداث وعـودة أبي نمي إلى السلطة في مكة أن المماليك كان هدفهم الأسـاس تأديب أبي نمي وإعادته إلى بيت الطاعة المملوكـية دون انتزاع السلطة منه، ومن ثم كان حمـاية مصالحهم هو هدفهم الأساس في سـياستهم تجاه أمراء مكة والمدينة.

---

(١) الملك المنصور سيف الدين قـلاوون الصالحي تولى السلطنة بين (٦٧٨- ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩- ١٢٩٠م) بنيت على أيامـه سنة ٦٧٨ هـ قـبـة على الحـجرة الـشريفـة المقـريزي، نفسـه، ١/ ٦٦٣- ٧٥٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤١٨، ستانلي لين بول، نفسه، ١/ ١٧٢.

(٢) أبو نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة صاحب مكة يلقب نجم الدين ولي مكة نحو خمسين سنة وكانت وفاته سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م الفاسي، العقد، ١/ ٤٥٦- ٤٧١، ابن فهد، غاية، ٢/ ٩.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٣٦ ل أ، الفاسي، نفسه، ١/ ٤٦١- ٤٦٢، المقريزي، السلوك، ١/ ٧٤٦، ابن حـجر، الدرر، ٢/ ٧٥، ابن فـهد، إتحـاف، ٣/ ١١٨- ١١٩، ابن تغـري بردي، النجوم، ٨/ ٢١٤، ابن العماد الحنبلي، شذرات، ٦/ ١٠.

ب - العلاقة مع مكة

١ - العلاقة مع مكة قبل العصر المملوكي:

قبل أن نتحدث عن طبيعة العلاقات التي ربطت المدينة بمكة في العصر المملوكي؛ يحسن بنا أن نمهد لذلك بإعطاء نبذة سريعة عن تلك العلاقة منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، حيث دخلت الحجاز تحت النفوذ الفاطمي، كما شهدت تلك الفترة قيام إمارتين هاشميتين إحداهما حسنية في مكة والأخرى حسينية في المدينة. فقد استولى فريق من الحسنيين يعرفون بالجعافرة نسبة لزعيمهم جعفر بن محمد[(١)] على مقاليد الأمور في مكة في أواخر عهد الدولة الإخشيدية[(٢)]، كما أقام الخطبة بمكة للمعز لدين الله الفاطمي بعد فتح الفاطميين مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م[(٣)]. أما المدينة فقد سيطرت عليها أسرة حسينية تنتسب لطاهر بن مسلم الحسيني سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م[(٤)].

تأرجحت العلاقات بين أشراف المدينة وأشراف مكة خلال العهدين الفاطمي والأيوبي أحياناً بالجفاء وأخرى بالعداء، فحينما نتتبع طبيعة وتطور تلك

---

(١) هو جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد، وينتهي نسبه للحسن بن علي بن أبي طالب أمير مكة في أيام الدولة الأخشيدية ويعتقد أنه تولى الإمارة في مكة بعد موت كافور الأخشيدي سنة ٣٥٦هـ/ ٩٥٧م، ابن حزم، جمهرة، ص ٤٧، الفاسي، العقد، ٣/ ٤٢٩- ٤٣٠.

(٢) ينسب الإخشيديون إلى محمد بن طغج الإخشيدي، وقد حكموا مصر بين (٣٢٣- ٣٥٨هـ/ ٩٣٥- ٩٦٩م) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة وكتاب القضاة (د. ط، مؤسسة قرطبة، القاهرة د. ت) ص ٢٨١- ٢٩٨.

(٣) ابن فهد، إتحاف، ٢/ ٤٠٦.

(٤) العتبى، تاريخ، ١٢/ ٥٩- ٦٠، ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ١٢، ولتفصيلات أكثر انظر إلى: الأحوال السياسية الداخلية من هذا الفصل.

العلاقات نجد أنه في سنة ٣٩٠ هـ/ ٩٩٩م قام الحسن بن جعفر المكني بأبي الفتوح[١] بالاستيلاء على المدينة وعزل أمرائها من بني مهنا، تنفيذاً لرغبة الخليفة الفاطمي[٢] بالاستيلاء على المدينة ونبش قبر النبي ﷺ وصاحبيه وحملهم إلى مصر، لكي تكون لمصر كما يرى البعض مكانة دينية[٣]، غير أن أبا الفتوح لم يحقق رغبة الخليفة الحاكم[٤]. وذكر الجزيري[٥] سبباً آخر في عزل أمراء بني مهنا وهو: «القدح في نسب الفاطميين» ثم خرجت المدينة عن سيطرته في إحدى فترات حكمه إلى أن استردها ابنه شكر بن أبي الفتوح[٦]. فبعد تولي المذكور إمارة مكة في أعقاب وفاة والده سنة ٤٣٠هـ ١٠٣٨م[٧] قرر استعادة السيطرة على المدينة فدخل في صراع مع أمرائها، وقد صاهر شكر

(١) هو الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن يصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولي إمرة مكة نحواً من ست وأربعين سنة، وليها بعد أخيه عيسى سنة ٣٨٤هـ/ ١٠٩١م، ابن حزم، جمهرة، ص ٤٧، ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ١٠١، الفاسي، العقد، ٤/ ٦٩.

(٢) الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز نزار تولى الخلافة سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م وتوفي قتيلاً سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م، ابن خلدون، تاريخ، ٤/ ٥٦- ٦١.

(٣) الفاسي، نفسه، ٤/ ٧٧- ٧٨، ابن فهد، إتحاف، ٢/ ٤٢٦- ٤٢٧، الجزيري، الدرر، ١/ ٥٣٢.

(٤) الفاسي، نفسه، ٤/ ٧٨، ويرى أحمد الزيلعي أن أبا الفتوح كان يرغب في الاستيلاء على المدينة وضمها إلى مكة وبقية الحجاز تحت زعامته، وقد وجد في أمر الحاكم فرصة لتحقيق هدفه غير أنه لم يستطع الاستجابة لمطلبه للمعارضة التي واجهها في المدينة من أهلها، كما وجد في هبوب الرياح عذراً لحفظ ماء وجهه أمام الحاكم، أحمد عمر الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٤٩.

(٥) نفسه، ١/ ٥٣٢

(٦) هو تاج المعالي شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر ولي إمرة مكة سنة ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨م، وتوفي سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م، وبه انقرضت دولة السليمانيين بمكة وجاءت دولة الهواشم، الفاسي، نفسه، ٥/ ١٤- ١٥، القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، جـ ١ (ط٢، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٠م) ص ٣٢٨.

(٧) ابن حزم، نفسه، ص ٤٧، ابن الأثير، الكامل، ٩/ ٤٦٦، الفاسي، نفسه، ٥/ ١٤.

قبيلة بني هلال بن عامر(1) مما كان له أثر في دعم موقفه تجاه أمراء المدينة من بني مهنا، وتمكن في نهاية الأمر من الاستيلاء عليها فجمع بذلك بين الحرمين حتى وفاته سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م(2). ويبدو أن المدينة خرجت عن سلطة شكر

(١) هم بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن من مضر، كانوا يقطنون الحجاز ونجداً وأقاموا بالشام وانتقل بعضهم إلى مصر والمغرب، ابن حزم، جمهرة، ص ٢٧٣- ٢٧٥، النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ ٢ (د. ط، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) ص٣٥٢- ٣٥٣، القلقشندي ، صبح ، ٣٤١/١، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص ١١٧، القلقشندي، نهاية، ص ٤٣٧، وذكر سليمان مالكي أنه وقع خلاف في سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م بين بني هلال وبني عامر - والمقصود بني هلال بن عامر - وبين بني مهنا أشراف المدينة، وقد حرضت تلك القبيلة الشريف شكر للاستيلاء على المدينة، انظر د. سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف، ص ٦٠ وبالعودة لمصادر الباحث في الجزيري، الدرر الفرائد، ٥٤٦/١، وأحمد السباعي، تاريخ مكة، جـا (ط٤، مطبوعات نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢٠٠- ٢٠١ لم أجد فيها ما يدل على تلك العلاقة بين القبيلة وشكر وربما يكون ذلك استنتاجاً من الباحث نتيجة ما ذكره بنو هلال من زواج الجازية أخت الحسن بن سرحان من أمراء الأثبج من بني هلال من شكر بن أبي الفتوح ويحتمل أنه استعان بهم في حروبه كما ذكر ذلك أحمد الزيلعي، مكة وعلاقاتها الخارجية، ص ٦١ ولتفصيلات أكثر، انظر إلى ابن خلدون، تاريخ، ١٠٢/٤، الفاسي، العقد، ١٤/٥، د. محمد عبد المنعم خفاجي، الخفاجيون في التاريخ، (د. ط، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص ١٦- ١٧ وعلى كل حال فلا بد من وجود دليل من المصادر التاريخية يسند الرأيين السابقين.

(٢) ابن خلدون، نفسه، ٤/ ١٠٢، الفاسي، العقد، ٥/ ١٤/ ١٥، شفاء، ٢/ ١٩٥م، ابن الأثير، الكامل، ١٩/١٠، ولشكر شعر حسن منه:

قوض خيامك عن أرض تضام بها ... وجانب الذل إن الذل مجتنب

وارحل إذا كان في الأوطان منقصة ... فالمندل الرطب في أوطانه حطب

انظر: ابن العماد الأصبهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام ، تحقيق شكري فيصل جـ٣ (د. ط، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤)ص١٩- ٢٠، ابن الأثير، الكامل، ١٠/ ٢١٩، الفاسي، العقد، ١٦/٥ أبو الفدا، المختصر، ٢ / ١٨١.

أثناء حكمه أو بعد وفاتـه، فعندما تولى إمارة مكة محمد بن جـعفر أول أمراء الهواشم سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م[1] سعى للاستيلاء على المديـنة وضمها لسلطته وهذا يدل على خروجها عن سلطة أمراء مكة قبل ذلك التاريخ.

حدثت تطورات سياسية في مجال العلاقة بين العباسيين والسلاجقة من جهة والفاطميين من جهة أخرى كان لهـا أثر في دعم موقف أمير مكة، فقد عرض السلطان السلجوقي ألب أرسلان[2] على أمير المدينة مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود الحسيني[3] عشـرين ألف دينار وخمسـة آلاف دينار كل سنة مقابل إقـامة الخطبة للخليفة العـباسي القائم بأمر الله[4] وللسلطان بالمدينة، وإسقاط الخطبة للفاطميين بمصر غير أنه رفض مما دفع السلطان السلجوقي ـ الذي كان قد أغدق على أمير مكة مـحمد بن جعفـر بإعطائه ثلاثين ألف دينار وأجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار[5] ـ لتحريضـه على مهاجمة المدينة وضـمها إليه، فهاجـمها بمساعدة العبـاسيين والسلاجقة واحتلها حـوالى سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م وضمها

(١) محمـد بن جعفر بن مـحمد المكني بأبي هاشم ويصل نسبـه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ولي إمرة مكة من قبل علي بن مـحمد الصليحي صاحب اليـمن سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م، وأعاد الخطبة لبني العباس في بغداد بعد قطعها من الحجاز من نحو مئة سنة، الفاسي، العقد، ١/ ٤٣٩- ٤٤٠، وانظر، ابن عنبه، عمدة، ص ١٣٧.

(٢) هو السلطان عضد الدولة ألب أرسـلان بن أبي شجاع محمد بـن داود بن ميكائيل بن سلجوق تولى السلطنة بعد وفـاة والده بيلغ سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م وتوفي سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، الأصفـهاني، الفتح ابـن علي بن محمـد البنداري، تاريخ دولة آل سلجـوق (ط٢، دار الآفاق الجـديدة ، بيروت ١٩٧٨م) ص ٣٠- ٤٧ .

(٣) ابن خلدون، تاريخ،٤/١٠٨، ابن عنبه، نفسه، ص ٣٣٧، ويعـتقـد أن أمراء المدينة من بني مـهنا ينسبون إليه.

(٤) القائم بـأمر الله ابو جعـفر عـبد الله بن أحـمد تولى الخلافـة بين سنة (٤٢٢- ٤٦٧ هـ/ ١٠٣١- ١٠٧٥م) ابن الأثير، الكامل، ٩/٤١٧، ١٠/ ٩٤، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ٣٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ١٠/ ٦١، ابن خلدون، تاريخ ، ٤/ ١٠٣.

إلى مكة وجمع بين الحرمين وخطب فيها للخليفة القائم العباسي فأطلق عليه منذ ذلك التاريخ أمير الحرمين[1]. ويتضح من طبيعة العلاقة بين المدينة ومكة خلال العصر الفاطمي أن زمام المبادرة كان بيد أمراء مكة وساعدت الظروف والتطورات السياسية سواء في بغداد أم القاهرة على تعزيز نفوذ أمراء مكة في مواجهة أمراء المدينة، واستمرت العلاقة بين الطرفين في صورتها العدائية خلال العصر الأيوبي، غير أن ميزان القوى قد مال لصالح أمراء المدينة في بداية تلك الفترة نتيجة دعم الخلافة العباسية والسلطنة الأيوبية لهم، وتوضح الحادثة التي وقعت بين أمير الركب العراقي طاشتكين المستنجدي المرسل من قبل الخلافة العباسية والأمير مكثر بن عيسى[2] أمير مكة سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م هذا التحول، فبعد محاولة أمير الركب العراقي إعادة الأمن إلى مكة، التجأ أميرها إلى حصن بناه أبوه فوق جبل أبي قبيس مما حدا بأمير الركب العراقي لتعيين قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة أميراً على مكة، غير أنه عجز عن إدارتها مما اضطره أن يطلب بعد ثلاثة أيام من توليه منصبه إعفاءه من تلك المهمة، فقام أمير الركب بتعيين داود بن عيسى أخي أمير مكة السابق مكانه بعد أن اشترط عليه إسقاط المكوس[3].

(١) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، جـ٢٤ (مخطوطة مصورة برقم ٢٧٩٧/٢ أحمد الثالث طوبقابوسراي إستانبول أصدرها فؤاد سزكين معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، فرانكفورت ألمانيا ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص ١٧، ابن خلدون، **تاريخ**، ٤/ ١٠٣، القلقشندي، **صبح**، ٤/ ٢٧٠.

(٢) مكثر بن عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني المكي تداول إمرة مكة مع أخيه داود مدة ثلاثين سنة وانقضت بولايته إمارة الهواشم في مكة، الفاسي، **العقد**، ٧/ ٢٧٤.

(٣) ابن الجوزي **المنتظم**، ١٨/ ٢٢٢، ٢٢٤ الفاسي، **العقد**، ٤/ ٣٥٥، ابن فهد، **إتحاف**، ٢/ ٥٣٧-٥٣٨، الطبري محمد بن علي بن فضل، **إتحاف الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن** (مخطوط مصور رقم ٣١٤٣، معهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة) ورقة ١٨.

في أواخر القرن السادس الهجري حدث تطور كبير في مكة حين استولى أحد أشراف ينبع وهو الشريف قتادة[1] عليها، غير أن الأمر لم يستتب له تماماً إلا بعد وفاة مكثر بن عيسى سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م[2].

وبعد أن استقرت له الأوضاع بادر بمهاجمة المدينة سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م[3] فخرج له أميرها سالم بن قاسم الحسيني وتصدى له، غير أن شريف مكة تمكن من هزيمته ومحاصرة المدينة لعدة أيام إلا أن ميزان القوى مال لصالح أمير المدينة بعد أن تمكن من استمالة بعض قادة جيش قتادة كما تلقى مدداً من قبيلة بني لام[4]، فاضطر قتادة للتراجع نحو مكة فتعقبه سالم وحاصره فيها إلا أن قتادة تمكن من تغيير المواجهة لصالحه مما أدى لعودة الشريف سالم للمدينة[5].

يتضح أن المواجهة السابقة بين أمير المدينة ومكة لم تحسم لصالح أي من الطرفين، كما اتسمت عشر السنوات التالية بالهدوء والاستقرار النسبي في العلاقة بين الطرفين رغم ما شاب فترتها الأخيرة من توتر، فقد أوضحت أحداث حج سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م مدى توتر العلاقات بين الطرفين، فحينما رافق أمير المدينة الملك المعظم عيسى بن العادل الأيوبي أمير دمشق[6] إلى مكة

(١) قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني صاحب مكة وينبع، ولي إمرة مكة عشرين سنة ابتداء من ٥٩٧هـ أو ٥٩٨هـ أو ٥٩٩هـ، الذهبي، العبر، ٣/ ١٧٤، الفاسي، نفسه، ٧/ ٣٩- ٤٠.

(٢) الفاسي، نفسه، ٧/ ٤٠.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٢٠٥، أبو الفداء، المختصر، ٣/ ١٠٦، Urainan, Mohammed, Abdel - Qadir al-Taberi- **Nasha'at al-Sulafah bi Munsheat al-Kwlafah** (un Pablished Thesis, Submitted for the degree of Doctor of Philosophy, University of St. andrews, Department of Arabic Studies, England 1972). P.492.

(٤) الفاسي، العقد، ٧/ ٤١، شفاء، ٢/ ١٩٩.

(٥) ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٤، ابن فهد، غاية، ١/ ٥٥٣.

(٦) الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب صاحب دمشق ولد سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م وتوفي سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، ابن خلكان، وفيات، ٣/ ٤٩٤- ٤٩٥.

في ذلك العام عومل سالم بن قاسم معاملة سيئة من قبل قتادة، كما حاول أمير مكة القبض عليه فلم يفلح لوجوده مع المعظم عيسى الذي صحبه معه إلى دمشق[١]. وفي السنة التالية ٦١٢هـ/ ١٢١٥م انتهز قتادة فرصة وجود سالم في دمشق فهاجم المدينة غير أن أهلها دافعوا عنها مما اضطره لفك الحصار والعودة لمكة[٢]، وحينما علم سالم بأمر الهجوم بادر بطلب الدعم من الملك المعظم عيسى الذي أمده بقوة زحفت على مكة ودخلتها مما اضطر قتادة للانسحاب إلى البادية[٣]. غير أن بعض المصادر تذكر أن سالماً توفي وهو في طريقه من الشام إلى الحجاز على رأس قوة من التركمان فتولى الإمارة وقيادة الجيش ابن أخيه قاسم بن جماز[٤]، الذي هزم جيش قتادة بوادي الصفراء[٥] قرب ينبع في شهر ذي القعدة سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م[٦]. وفي

(١) سبط ابن الجوزي ، مرآة، ٨/ ٥٧٠، ابن كثير، البداية ، ١٣/ ٦٧، ابن تغري بردي، النجوم، ٦/ ٢١١.

(٢) أبو شامة، الذيل، ص ٨٩- ٩٠.

(٣) الفاسي، العقد، ٧/ ٤٢، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٢٠.

(٤) قاسم بن جماز بن قاسم بن مهنا أمير المدينة تولى الإمارة بعد وفاة عمه سالم، أبو شامة الذيل على الروضتين ص ٩٠، الفاسي، نفسه، ٧/ ٤٣، أما السخاوي فيذكر أنه تولى الإمارة بعد أبيه جماز، التحفة ٣/ ٣٩٩، ويلحظ الاختلاف في الروايتين والأرجح ما ذكره كل من أبي شامة والفاسي لكونهما الأقدم.

(٥) وادٍ بمنطقة المدينة ذو قرى كثيرة اشتهرت بالزراعة. عرام بن الأصبغ السلمي، أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، المجموعة الثامنة، جـ ٢ (ط١ ، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص ٤٢٨، ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٤١٢ ، الفيروزآبادي (ط) ص ٢١٩ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ق١ (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٧هـ/ ٩٧٧م) ص٦٩٨.

(٦) أبو شامة، الذيل، ص ٩٠، الفاسي، العقد، ٧/ ٤٣، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٢١.

تلك الفترة من تاريخ العلاقات بين المدينة ومكة نجد أن صراعاً قد حدث بين جناحي البيت الأيوبي في كل من الشام ومصر بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وانعكس هذا الصراع على نفوذ الأيوبيين في الحجاز فدعم بعض أمرائهم في الشام أمير المدينة فيما دعم جناح البيت الأيوبي بمصر الشريف قتادة أمير مكة[1].

بعد هزيمة قتادة انسحب إلى مكة، وحاول أمير المدينة في العام التالي الاستيلاء على جدة باعتبارها بوابة مكة غير أنه فشل في مهمته بعد أن لحقت به الهزيمة في الحميمة[2] في ذي الحجة سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م[3]، وفي الأعوام التالية بين ٦١٥- ٦١٧هـ ١٢١٨- ١٢٢٠م[4] أصبح زمام المبادرة بيد الشريف قتادة الذي حاول الاستيلاء على المدينة غير أنه فشل في تلك المحاولات، ثم اغتيل على يد ابنه الحسن سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[5] فخلفه في منصب الإمارة،

(١) نرى ذلك واضحاً حينما جهز صاحب دمشق الملك المعظم عيسى بن العادل جيشاً مع الناهض ابن الجرخي لنجدة أمير المدينة ضد شريف مكة سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥م، سبط ابن الجوزي، مرآة، ٨/ ٥٧٠، أبو شامة، نفسه، ص ٩٠، فيما دعم الكامل الأيوبي قتادة سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م بتسلم نواب الكامل قلعة ينبع من قتادة حماية لها من قاسم بن جماز أمير المدينة، الفاسي، نفسه، ٧/ ٤٤- ٤٥.

(٢) الحميمة، قرية ببطن مر من نواحي مكة فيها عين ونخل، ياقوت، معجم، ٢/ ٣٠٧.

(٣) الفاسي، نفسه، ٧/ ٤٥، المقريزي ، السلوك، ١/ ١٨٥.

(٤) ابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب ، تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكر لوفجرين جـ ١ (د. ط، مطبعة بريل، ليدن ١٩٥١م) ص١٦.

(٥) المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، جـ٣ (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م) ص١٧، أبو شامة، نفسه، ص ١٢٣، ابن كثير، البداية، ١٣/ ٩٢، الفاسي، نفسه، ٧/ ٥٩ ، ابن فهد، نفسه، ٣/ ٢٧، وذكر ابن الأثير، الكامل، ١٢/ ٤٠١ أن وفاته كانت في سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١م.

غير أن مكة دخلت مرحلة جديدة من تاريخـها تمثلت في الصراع السياسي بين أبناء قـتادة، كـمـا كانت مكة أيضـاً مـجالاً للتنافس الـسيـاسي بين الأيوبيين والرسـوليين، ودخل أمـراء المدينة طـرفاً في ذلـك التنافس بانضـمـامـهم إلى الأيوبيين، ففي سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م تدخل أمراء المدينة في الـصراع السياسي لصالح الأيوبيين ضد أحد أبناء قتـادة المدعوم من الرسوليين حكام اليمن، وهو راجح الذي قاد حملة للاستيـلاء على مكة فاستنجد الوالي الأيوبي طغتكين[(١)] بالملك الكامل صاحب مصر الذي بادر بإرسال حملة مـن مصر مدعومة بقوات من الشريف أبي سعد الحسن بن قتـادة صاحب ينبع والشريف شيحة بن هاشم ابن قـاسم بن مهنا الحـسيني أمـير المدينـة، فـتمكنوا من إعادة السـيطرة على مكة[(٢)]. ويظهر أن التنسـيق والدعم الذي تلقاه أمراء المـدينة من بني أيوب قد شـجعـهم على مهـاجـمة مكة في الأعـوام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م[(٣)] ، ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠[(٤)]، ٦٣٩هـ/ ١٢٤١هـ.[(٥)]، فـقد أرسل الملك الصـالح أيوب بن الملك الكامل الشـريف شيـحة بن هاشم أمـير المدينة إلى مكة على رأس جـيش سنة ٦٣٨هـ ١٢٤٠م فاشـتبك مع عـسكر الملك المنصـور عمر بن علـي بن رسول

(١) شجاع الدين أبو بـكر بن عمر بن محمـد الطغتكيني الملكي الكاملي أمـير مكة من قبل الأيوبيين بين سنة (٦٢٦هـ و ٦٢٩ هـ/ ١٢٢٨- ١٢٣٢م) الفـاسي، العـقـد، ٥/ ٦٤- ٦٦، ابن فـهد، إتحـاف، ٤٨/٣، ابن فهد، غاية، ٦١٢/١- ٦١٤.

(٢) الفاسي، نفسه، ٢/ ٢٨٤، ابن فهد، إتحاف، ٤٩/٣- ٥٠.

(٣) الفاسي، نفسه، ٢٣/٥، ٣٤٦/٦، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٥٦ ، الخزرجي، العقود، ٦٦/١.

(٤) ابن فهد، إتحاف، ٥٦/٣- ٥٧، الخزرجي ، نفسه، ١٧/١.

(٥) ابـن فهـد، إتحاف، ٥٧/٣- ٥٨، الخزرجي، نفسه، ١/ ٧٠، ابن حاتم، بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني، السمط الغالي الثمن في أخـبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سميث (د. ط، د. ن، كمبردج ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ص ٢٢٠- ٢٢١.

صاحب اليمن، فخرج عسكر المنصور واستولى شيحة على مكة غير أن ملك اليمن ما لبث أن أرسل جنده إلى مكة وعليهم الشريف راجح بن قتادة فأخرجوا العسكر الأيوبي منها[١].

في أعقاب حوادث سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م تتوقف المصادر عن ذكر طبيعة العلاقات بين الطرفين، فقد شغل كلاهما بنزاعاتهم الداخلية كما اصطدم أشراف مكة مع الرسوليين حكام اليمن الذين كانوا يحاولون مد نفوذهم إليها مستغلين ضعف الدولة الأيوبية ثم انهيارها سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م .

٢- العلاقة مع مكة في العصر المملوكي:

مع قيام دولة المماليك في مصر والشام سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م شغل قادتها في بداية حكمهم بالصراعات على السلطة، وبتوطيد سلطانهم في مصر والشام، على أنه في ظل الصراع بين أشراف مكة على السلطة جرت محاولة من جانب الرسوليين للقضاء على تلك الاضطرابات ضماناً لنفوذهم فيها، فأرسل السلطان الرسولي الملك المظفر يوسف[٢] جيشاً إليها سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م وكان يحكمها أميران هما: أبو نمي وعمه إدريس بن علي[٣]، اللذان

---

(١) محمد صالح الطاسان، تحقيق ودراسة لكتاب الأرج المسكي في التاريخ المكي لمؤلفه علي بن عبد القادر الطبري (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م) ـ (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أدنبرة، بريطانيا ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م) ص ١٢٧- ١٢٨، ٤٣١.

(٢) ولي المظفر يوسف بلاد اليمن من ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩م حتى وفاته ٦٩٤هـ/ ١٢٩٧، الفاسي، العقد، ٦/١٥٣، الخزرجي، العقود، ١/ ٨٨- ٢٣٢.

(٣) إدريس بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني أمير مكة وولي إمرتها شريكاً لابن أخيه أبي نمي سبع عشرة سنة، وانفرد بالإمارة وقتاً يسيراً، وقد ورد نسبه بهذا اللفظ في المقريزي، السلوك، ١/٣٩٦، وسقط اسم والده من الفاسي، نفسه، ٣/٢٧٨، ابن فهد ، غاية، ١/ ٦٤٠.

انتزعا السلطة من غانم بن راجح بن قتادة[1]، ولعجز الأميرين عن صد الجيش الزاحف فقد طلبا المساعدة من أمير المدينة الشريف جماز بن شيحة[2]، الذي قاد جيشاً لدعم أشراف مكة غير أنه لحقت به الهزيمة على يد ابن برطاس[3] قائد الجيش الرسولي أواخر سنة ٦٥٢/ ١٢٥٤م، وفي أوائل ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م تمكن الأميران من استعادة سلطتهم وطرد الجيش الرسولي[4].

مهما يكن من أمر فإنه يبدو أن العلاقات بين أمراء المدينة ومكة خلال تلك الفترة كانت سلمية، حتى إن كلا الطرفين كان يدعم كل منهما سلطة الآخر ضد مناوئيه وقد ظهر ذلك واضحاً في المساندة السابقة التي قدمها أمير المدينة لأمراء مكة[5]. وقد رد أبو نمي هذا الجميل لأمير المدينة جماز حين تدخل في الخلافات الداخلية بين أفراد البيت الحاكم من بني مهنا بدعم جماز ضد ابن أخيه مالك بن منيف بن شيحة الذي انتزع الإمارة من عمه سنة ٦٦٦هـ /

(١) غانم بن راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني تسلم مكة من أبيه بغير قتال وأخرجه منها واستأثر بالسلطة، التجيبي ، القاسم بن يوسف السبتي، مستفاد الرحلة والاغتراب (د. ط، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٥م) ص ٣٠٥- ٣٠٦، الفاسي، نفسه، ٣٧٨/٤، ٧/ ٤-٥، المقريزي نفسه، ٣٩٦/١، ابن فهد، نفسه، ١/ ٦٣٩- ٦٤٠.

(٢) تولى جماز بن شيحة السلطة مشاركة مع أخيه أبي الحسين منيف بن شيحة ثم انفرد بالإمارة بين (٦٤٩- ٦٥٩هـ / ١٢٥١- ١٢٦٠م)، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ل أ ، الفيروزآبادي، المغانم، (خ)، ورقة ٢٤٣ ل ب.

(٣) علي بن الحسين بن برطاس الأمير مبارز الدين أمير مكة وليها للملك المظفر صاحب اليمن ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م، ابن حاتم ، السمط، ص ٣١٦- ٣٢١، ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي بن عبدالمجيد اليماني، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي (د. ط، مطبعة مخيمر، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م) ص ٩٢، الفاسي، العقد، ٦/ ١٥٢- ١٥٣.

(٤) ابن حاتم، نفسه، ص ٣١٨- ٣٢١، الفاسي، نفسه، ٤٨٨/٧- ٤٨٩، وساندهم في ذلك جماز بن شيحة أمير المدينة، ابن فهد، إتحاف، ٧٧/٣ .

(٥) ابن حاتم ، نفسه، ص ٣١٧، الخزرجي ، العقود، ١١٥/١.

١٢٦٧م، ورغم الدعم الذي قدمه أمير مكة لجماز إلا أنه لم يتمكن من استعادة السلطة غير أن مالكاً مالبث أن سلم الإمارة طوعاً لعمه بعد انسحاب جيش مكة(١). وابتداءً من سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م بدأت العلاقات بين الطرفين في التدهور فقد طمع أمير المدينة جماز بن شيحة في السيطرة على مكة وضمها لنفوذه؛ فاستعان لهذا الغرض بأحد الأشراف المناوئين لأبي نمي وهو غانم بن ادريس بن حسن بن قتادة(٢) فتمكنا من الاستيلاء على مكة وطرد أبي نمي منها غير أنه مالبث أن عاد بعد أربعين يوماً واستعاد سلطته(٣). استمرت العلاقات بين الطرفين في صورتها العدائية في السنوات التالية، ففي سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م حاول جماز بن شيحة الاستيلاء على مكة مرة أخرى متحالفاً هذه المرة مع أمير ينبع إدريس بن الحسن بن قتادة الحسيني، ودار قتال بين جماز وحليفه من جهة وأبي نمي من جهة أخرى بمرّ الظهران(٤)، انهزم فيها عسكر المدينة وينبع وأسر إدريس فيما انسحب جماز إلى المدينة(٥). وبعد تلك المعركة خيّم الهدوء على

(١) الفاسي، نفسه، ٣/٤٣٦- ٤٣٧، السخاوي، التحفة، ١/٤٢٣.

(٢) غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة ، شارك الأمير جماز بن شيحة في الاستيلاء على مكة ٥٧٠ هـ/ ١١٧١م ، الفاسي، العقد، ١/ ٤٦، ٧/٣-٤، ابن فهد، إتحاف، ٣/١٠١، ابن فهد، غاية، ٢/٧-٤٨، الطبري، إتحاف ص ٢٧، URAINAN Nasha'at P. 513

(٣) الفاسي، نفسه، ١/ ٤٦٠ - ٤٦١، ابن فهد، إتحاف، ٣/١٠١، القرماني ، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد جـ ٢ (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص ٣٤٣.

(٤) مر الظهران قرية تقع في واد قرب مكة يدعى الظهران تضاف إليه فيقال مرّ الظهران، ياقوت، معجم البلدان، ٤/٦٣.

(٥) الفاسي، نفسه، ١/٣٦١، ٧/٤ وفيه يرى وينقل عنه ابن فهد أن الذي انضم لجماز سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م هو غانم بن إدريس بن الحسن وليس إدريس انظر: غاية، ٢/٤٨ أما ابن فهد فيشير إلى صاحب ينبع بإدريس بن الحسن، إتحاف، ٣/١٠٥ .

العلاقات بين الجانبين وأحجم كل منهما عن مـهاجمة الآخر، وقد أدى انشغال الظاهر بيبرس بمحاربة المغول[1] وحلفائهم من سلاجقة الروم[2] إلى اضطراب الأوضاع في الحـجاز وحـدوث صراعـات بين أشرافـها[3]. غيـر أن السلطنة المملوكية حاولت توطيد نفوذها في الحجاز بمحاولة ضرب الأشراف أمراء المدينة ومكة بعضهـم ببعض، فقد أغضب السلطان المملوكي المنصور قلاوون الصالحي عدم وفـاء أبي نمي باليمين الذي قطعه على نفـسه سنة ٦٨١هـ ١٢٨٢م بالولاء والطاعة والإخـلاص للسلطنة المملوكية، كـما أحس أن أبا نمي يطمح لتحـقيق الاستـقلال عن السلطنة، لهذا وافـق على طلب أمير المدينة جـماز بن شيـحة بمحاربة أمير مكة فسير معه سنة ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م جيشاً إليها حيث انتزعها منه فحقق بذلك أمير المدينة مـا يطمح إليه من السيادة على مكة، وخطب للسلطان فيها، وضربت السكة باسمه غير أنه مالبث أن تركها بعد ما بلغه من المراسلات السرية بين قائد العسكر المملوكي وأبي نمي[4].

(١) المقصود بالمغول هنا التتار بزعامة أبغا بن هولاكو، المقريزي ، نفسه، ١/ ٦٣٣.

(٢) سلاجقة الروم هم من نسل قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق وهم من العناصر التركية التي قدمت من بلاد ما وراء النهـر، انظر: أحمد كـمال الدين حلمي، **السلاجـقة في التاريخ والحـضارة** (ط٢، ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص ٢١، ٨٧.

(٣) المقريزي، السلوك، ١/ ٥٨٣- ٦٣٣ ريتشارد مورتيل، **الأحوال السـياسية والاقـتصادية بمكة في العـصر المملوكي** (د. ط، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ص ٥٨.

(٤) ابن حجر، الدرر، ٢/ ٧٥، الفاسي، العقد، ١/ ٤٦٢، ابن تغري بردي، جمـال الدين أبو المحاسن يوسف، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقـيق فهيم محـمد شلتوت جـ ١ (د. ط، جامـعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢٥٠، ابن فهد، **إتحاف**، ٣/ ١١٨- ١١٩ السخاوي، **التحفة**، ١/ ٤٢٤، ابن فهد، غاية، ٢/ ١٧، وذكر الفـاسي أنه خطب لجماز بمـكة وضربت السكة باسـمه، نفـسه، ١/ ٤٦٢ وهذا وهم منه حـيث إن ابن حجـر ذكر أن الخـطبة والسكة كـانت باسم السلطان المملوكي، نفسه، ١/ ٧٥، محـمد صالح الطاسـان، تحقـيق ودراسة كتـاب الطبري **الأرج المسكي**، ص ١٣٠، ٤٢٣.

يتضح من تطور الأحداث بعد استيلاء جماز والعسكر المملوكي على مكة أن السلطان المملوكي كان يهدف من تلك الحملة إلى تدعيم نفوذ السلطنة المملوكية بالحجاز دون المساس بسلطة أبي نمي، فقد أشار الفاسي[1] إلى هذه النقطة بقوله: «ويبعد جداً أن يعيّن أحداً على أبي نمي مع وفاء أبي نمي باليمين المذكورة، لأن الملوك تقنع من نوابهم بالطاعة، وإظهار الحرمة، سيما نواب الحجاز» أما أمير المدينة فقد حقق بعض أهدافه المتمثلة في مد نفوذه إلى مكة ولو إلى حين.

ظلت العلاقات بعد ذلك بين الطرفين هادئة ومستقرة حتى وفاة كل من أمير مكة أبي نمي سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م[2] وأمير المدينة جماز سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م[3].

وفي خلال الصراع بين أبناء أبي نمي حميضة[4] ورميثة[5] من جهة، وأبي الغيث[6] وعطيفة[7] من جهة أخرى[8]، وما ذكر عن سوء معاملة الحجاج والمجاورين من جانب أمراء مكة؛ أرسل السلطان المملوكي الملك الناصر

(١) الفاسي، نفسه، ١/ ٢١٢.

(٢) الفاسي، نفسه، ١/ ٤٧٠- ٤٧١.

(٣) الفاسي، نفسه، ٣/ ٤٣٧، السخاوي، نفسه، ١/ ٤٢٦ .

(٤) حميضة بن أبي نمي قام مشاركاً لأخيه رميثة في منصب الإمارة بعد أبيهما، ولي إمرتها إحدى عشرة سنة ونصف متفرقة، الفاسي، العقد، ٤/ ٢٣٢.

(٥) رميثة بن أبي نمي شارك أخاه حميضة في الإمرة لفترة ويكنى أبا عرادة، ويلقب أسد الدين، ولي إمرة مكة ثلاثين سنة، الفاسي، نفسه، ٤/ ٤٠٣- ٤٠٤.

(٦) أبو الغيث بن أبي نمي، الأمير عماد الدين أمير مكة ولي إمرتها في موسم سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م شريكاً لأخيه عطيفة توفي سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م، الفاسي، نفسه، ٨/ ٧٩- ٨٠، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٥١- ١٥٣، ابن فهد، غاية، ٢/ ١١١- ١١٣.

(٧) عطيفة بن أبي نمي، يلقب سيف الدين أمير مكة ولي إمرتها نحو خمس عشرة سنة مستقلاً بها في بعضها وشريكاً لأخيه رميثة في بعضها الآخر ابتداء من سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م، الفاسي، نفسه، ٦/ ٩٥- ٩٦.

(٨) الفاسي، نفسه، ٤/ ٢٣٢- ٢٣٣، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٣٨- ١٤٣.

محمـد بن قلاوون سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣ جيشاً لعـزل حميضة ورميـثة وإحلال أخيهما أبي الغيث مكانهما، واستعان خلال حملته بخمسمئة فارس أرسلهم أمير المدينة منصور بن جمار بن شيحة[1]، واستطاع الجيش المملوكي الاستيلاء على مكة بعد خروج أميـريها إلى حلي بن يعقوب[2] ثم عاد حمـيضة إلى مكة سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م فيما هرب أبو الغيث إلى أخواله من هذيل بوادي نخلة[3].

في خضم الصراع بين أشراف مكة أبناء أبي نمي على السلطة وقف السلطان المملوكي إلى جـانب أبي الغيث الذي توجـه بطلب المساعـدة من أميـر المدينة منصور بن جمار ضـد أخيه حميضـة فجهز له عسكراً من قبيلـتي بني عقبة[4]

---

(١) الخزرجي، العقود، ١/ ٤٠٧، الفاسي، نفسه، ٤/ ٤٠٦، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٥٠- ١٥١.

(٢) حلي بن يعقوب مدينة ساحلية تقع في تهامة وهي عاصمة وادي حلي تقع حالياً إلى الشمال الشرقي من مدينة مخشوش وإلى الجنوب من منطقـة الصلب، وهي تتوسط قرى وادي حلي، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد مخزوم (د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ص ٨٥، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٩٧، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه ريفود وماك كوكين ديسلان (د. ط، دار الطباعة السلطانيـة، باريس ١٨٤٠م) ص ٩٣. أحمد عمر الزيلعي، المواقع الإسـلامية المندثرة في وادي حلي، حوليـات كلية الآداب الحولية الـسابعة، الرسالة التـاسعة والثلاثون (جـامعة الكويت، الكويت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص ١٩- ٢٣، أحمد عـمر الزيلعي بنو حرام حكام حلي، وعلاقاتهم الخـارجية، مجلة كليـة الآداب المجـلد الخامـس عـشـر العـدد الأول (جامـعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ١٠١- ١٠٢.

(٣) الفاسي، العقد، ٤/ ٢٣٢، ٢٣٥، ٨/ ٨٠ ، وهذيل قبيلة عدنانية بلادها حول مكة والطائف، حمد الجاسر، معـجم قبـائل المملكة العـربية الـسعودية ، جـ ٢ (ط١، النادي الأدبي، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص٨٧٨ - ٨٧٩. ووادي نخلة أحـد أودية هذيل على ليلتين من مكة، ياقـوت، مـعجم البلدان، ٥/ ٢٧٧.

(٤) بنوعـقبـة قبـيلة من جـذام كانـت تسكن شمـال الحجـاز من الأزلم إلى الكرك، الجـزيري، الدرر، ١/ ٢٣٠، ٢/ ٣١٨- ٣٢٠، حمد الجاسر، نفسه، ٢/ ٥٤١، عاتق البلادي، معجم قبائل الحجاز، جـ ٢ (د. ط، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٣١٨.

وبني مهدي[1] وذلك في سنة ٧١٤هـ/ ١٣١٤م[2].

ابتـداء من سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م دخلت العـلاقـات بين المدينة ومكة طوراً جديداً طابعها العـام سلمي، فقد ورد أن ثقبه وعجـلان ابني رميثة بن أبي نمي أميري مكة زارا المدينة وهما في طريقهما إلى مصر سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م تلبية لدعوة السلطان المملوكي الملك الناصـر حسن وكان أمير المديـنة في تلك الفترة يدعى سعد بن ثابت بن جماز[3].

ومنذ تلك الفـترة حتى أواخـر القرن الثامن الهـجري لم تشـر المصادر إلى علاقات بين الطرفين ، فقد شغل كلاهما بالنزاعات الداخلية على السلطة، غير أنه في سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م تشيـر بعض المصادر إلى مجيئ علي بـن عجلان ابن رميثة[4] أمير مكة لزيارة المدينة[5].

في أوائل القرن التاسع الهجري حدث تطور مهم له أبعاده في طبيعة العلاقة بين المدينة ومكة؛ ففـي شهر ربيع الأول سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م عـمد السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق، إلى توسيع سلطة الشريـف حسن بن عجلان[6]

(١) بنو مهدي بطن من عروة من مالك من جهينة كانت تسكن العيص في شمال الحجاز، البلادي نفسه، ٣/ ٣٨٥.

(٢) ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٥٢- ١٥٣ ، ريتشارد مورتيل، الأحوال، ص ٧٤ .

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٩ ل أ، الفاسي، نفسه، ٦/ ٦٢- ٦٣ ابن فهد، نفسه، ٣/ ٢٥٤- ٢٥٥.

(٤) علي بن عجـلان بن رميثة ولـي أمر مكة منفرداً دون شريك ثـماني سنين من سنة ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م بعد عزل عنان بن مغامس، الفاسي، العقد، ٦/ ٢٠٦.

(٥) الفاسي، نفسه، ٦/ ٢٠٩- ٢١٠.

(٦) تولى حسن بن عجلان بن رميثة إمارة مكة ونيابة السلطنة لفترات متفرقة ابتداء من (٧٩٧- ٨٢٩هـ/ ١٣٩٤- ١٤٢٦م) وكانت مدة إمارته اثنتين وثلاثـين سنة تقريباً، الفاسي، نفسه، ٤/ ٨٦- ٨٧ ابن حجر، إنباء، ٨/ ١١٢ ، وذكر السخاوي أن ولايته بدأت سنة ٧٩٨ الضوء، ٣/ ١٠٤.

أمير مكة فضم إلى حكمه المدينة وخليص[1] والصفراء وأعمالها، فيما ظل ابناه بركات وأحمد يليـان إمارة مكة بصفتهما نائبين عن أبيـهما بها[2]. ويتضح من ذلك أن السلطان المملوكي أراد حصر السلطة في الحـجاز في يد أمير واحد من الأشراف يسهل التعامل معـه ويوطد في ذات الوقت نفوذ السلطة المملوكية في الحجاز[3]، كما أضـاف هذا القرار نفوذاً وهيبةً لسلطـة شريف مكة أصبح من خلالها يمارس سـلطةً وتأثيراً على بقية الحـجاز، وقد أتيحت له فـرصة ممارسة نفوذه في المدينة حين أصدر السلطان المملوكي فرج بن برقـوق أمراً بعزل جماز ابن هبة أوائل ٨١١هـ/١٤٠٨م وتولية ثابت بن نعير[4]، غير أن ثابتاً توفي قبل أن يصله التقليد السلطاني مما أتاح الفرصة للحـسن بن عجلان أمير مكة لفرض نفوذه السياسي على المدينة فاسـتدعى عجلان بن نعير[5] أخا ثابتٍ وفوض إليه

(١) خليص، حصن بين مكة والمدينة، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٣٨٧.

(٢) الفاسـي، نفسه، ٤/ ١٠٥، المقـريـزي، السلوك، ٤/ ٧٦، ابن تغري بردي، النجوم، ١٥/ ١٣٥ ومن الجدير بالذكر أن ينـبع لم تذكر ضمن المناطق الداخلة تحت سلطته، أمـا الطائف فيعتـقد أنها داخلة تحت سلطة أمير مكة أساساً.

(3) Mortel Richard T. **The Husaynid Amirate,** P. 113.

(٤) حدث نزاع بين أشـراف المدينة أواخر القرن الثـامن وأوائل القرن التاسع الهـجريين، فقد تولى مـثلاً جماز ابن هبة الإمارة فـي المدينة عدة مرات في خضم صراعه مع أبناء عمومـته ومن بينهم نعير بن منصور ومحمد بن عطية بن منصور بن جمـاز وثابت بن نعير، مما جعل السلطنة المملوكية تسند أمر المدينة للشريف حسن بن عجلان، ابن حجر، إنباء، ٢/ ٧٣، ابن تغري بردي، النجوم، ١٣/ ١٧٣، الفاسي، العـقد، ٤/ ١٠٥، المقريزي، السلوك، ٤/ ٧٥، السخاوي، التحـفة، ١/ ٤٢٧- ٤٢٨، أما ثابت بن نعير بن منصور بن جماز فقد تولى إمرة المدينة للمرة الأولى ٧٨٩ هـ/ ١٣٨٧م انظر: ابن تغري بردي، نفسه، ١٣/ ١٧٣، السخاوي، الضوء، ٣/ ٥٠.

(٥) عجلان بن نعيـر بن منصور بن جماز ولي إمرة المدينة غير مرة ومـات مقتولاً سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م ابن تغري بردي، نفسه، ١٥/ ١٥٣، السخاوي، الضوء، ٥/ ١٤٥، السخاوي، التحـفة، ٣/ ١٧٦- ١٧٧.

إمرة المدينة، وكان جماز بن هبة الأمير السابق في المدينة حين صدر القرار فثار وقام بالاستيلاء على محتويات خزانة المسجد النبوي[١].

لقد أثبت الحسن بن عجلان قدرته على مواجهة هذا الموقف بإرسال قوتين عسكريتين إلى المدينة إحداهما بقيادة ابنه أحمد والأخرى بقيادة الأمير الجديد عجلان بن نعير، الذي سلك طريقاً إلى الشرق من المدينة حتى يقوم بحركة التفاف دون أن يشعر به جماز، وحينما وصل الجيشان إلى المدينة في جمادى الأولى ٨١١هـ/ ١٤٠٨م وجدا أن جمازاً قد خرج منها هارباً فاستقر عجلان ابن نعير في منصب الإمارة وخُطب فيها للسلطان المملوكي فرج بن برقوق ثم لنائب السلطنة حسن بن عجلان ولأمير المدينة عجلان بن نعير[٢]. أكسب هذا التصرف الذي قام به نائب السلطنة احترام السلطان المملوكي له، فالسلطنة المملوكية يهمها في المقام الأول استقرار الأوضاع في الحجاز والولاء والطاعة للسلطنة، وقد لقي تعيين عجلان بن نعير موافقة السلطان المملوكي الذي أصدر تقليداً بإمرة المدينة له واشترط أن يلقى تعيينه موافقة نائب السلطنة[٣]، وهذا الشرط يدل على مدى الثقة التي أولاها السلطان المملوكي لشريف مكة. ورغم ما ساد مكة من اضطراب نتيجة عزل السلطنة المملوكية للشريف حسن عن نيابة السلطنة أكثر من مرة أعوام ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م ثم عودته ثم عزله ٨١٨هـ/ ١٤١٥م وعودته ٨١٩هـ/ ١٤١٦م فقد ظلت العلاقات بين المدينة ومكة ودية وارتبط أمير المدينة عجلان بن نعير بعلاقة تحالف مع أمير مكة[٤]. وقد أكسب

(١) الفاسي ، نفسه، ٤/ ١٠٦، المقريزي، نفسه، ٤/ ٧٦، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٤٦٣- ٤٦٥.

(٢) الفاسي، نفسه، ٤/ ١٠٦، المقريزي، نفسه، ٤/ ٧٦، ابن فهد، نفسه، ٣/ ٤٦٣.

(٣) ابن تغري بردي، النجوم، ٣/ ١٧٢، السخاوي ، التحفة، ١/ ٣٩٦، السخاوي، الضوء، ٣/ ٥٠.

(٤) الفاسي، العقد، ٤/ ١٠٧- ١٠٨، ١٢٢، الفاسي، شفاء، ٢/ ٢٥٣، المقريزي ، السلوك، ٤/ ٣٤١- ٣٤٢، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٤٧١، السخاوي، التحفة، ٣/ ١٧٦- ١٧٧.

هذا التحالف الشريف عجلان بن نعير مكانة لدى أشراف مكة حيث استطاع حل الخلاف بين أمير مكة حسن بن عجلان وابن أخيه رميثة بن محمد[١] الذي كان قد هرب للمدينة وطلب من أميرها التوسط لدى عمه حتى يعفو عنه، وقد نجحت وساطته في عودته لمكة[٢]. ويبدو أن العلاقات قد ظلت طيبة بين المدينة ومكة حتى عزل الشريف عجلان بن نعير عن إمارة المدينة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م[٣]، ووفاة الشريف حسن بن عجلان في نفس العام[٤].

وفي سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م في عهد إمارة إميان بن مانع[٥] على المدينة كانت العلاقات بين الطرفين ودية حيث قام الشريف بركات[٦] بزيارة للمدينة لزيارة المسجد النبوي والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم[٧]. غير أن هذه العلاقات تدهورت أواخر القرن التاسع الهجري حين تدخل شريف مكة محمد بن بركات[٨] في شؤون المدينة سنة ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م فقام بأمر من

(١) رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الحسني المكي ولي إمرة مكة مدة فلم تحمد سيرته فعزل، قتل سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٣٠.

(٢) الفاسي، نفسه، ٤/ ١٤٥، ابن حجر، إنباء، ٨/ ١١٢- ١١٣، ابن فهد، نفسه، ٣/ ٤٧١

(٣) الفاسي، العقد، ٤/ ١٥٢، المقريزي، السلوك، ٤/ ٧٠٦.

(٤) في يوم الخميس ١١ شوال ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م سافر الشريف بركات من القاهرة إلى مكة اميراً عليها مكان والده الشريف حسن بن عجلان، ابن تغري بردي، النجوم، ١٤/ ٣٠٤.

(٥) وهو إميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز تولى بين (٨٣٩- ٨٤٢هـ/ ١٤٣٥- ١٤٣٨م) السخاوي، التحفة، ١/ ٣٣٨

(٦) بركات بن حسن بن عجلان، ولي إمرة مكة سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م وتوفي سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م، ابن فهد، النجم عمر بن محمد، معجم الشيوخ، تحقيق حمد الجاسر (د.ط، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م) ص ٣٥٢- ٣٥٣، السخاوي، الضوء، ٣/ ١٣- ١٤، ابن فهد، غاية، ٢/ ٣٩٢، ٤٥١.

(٧) ابن فهد، إتحاف، ٤/ ١٢٦- ١٢٧.

(٨) محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، ولي إمرة مكة سنة ٨٥٩ هـ/ ١٤٥٤م وتوفي سنة ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م، ابن فهد، غاية، ٢/ ٥٠٨، ٥٩٦.

السلطان المملوكي قايتباي[1] بعزل ضيغم بن خشرم عن الإمارة وعين بدلاً منه قسيطل بن زهير بن سليمان بن هبة[2].

وقد ازداد نفوذ أمير مكة قوة بعد أن منحه السلطان المملوكي قايتباي ٨٨٧هـ/١٤٨٢م سلطات في حكم الحجاز كلها فأصبح من حقه تولية جميع المناصب في الحجاز [3].

وقد مارس الشريف محمد بن بركات هذا التفويض في ذلك العام بعزل قسيطل وإنابة زبيري في إمرة المدينة: «بعد عقود مجالس ومشاورة أهل المدينة في ولايته أو ولاية قسيطل ثم وقع الاختيار على زبيري»[4]. وقد منح الشريف محمد بن بركات عدة ألقاب لم يمنحها أحد من أشراف مكة منذ سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م فهو سلطان مكة وسلطان الحجار ثم لقب نائب السلطنة بالأقطار الحجازية[5]، وقد دعي له على منبر المدينة[6].

وفي أواخر العصر المملوكي صدر تفويض من جانب السلطان المملوكي محمد بن قايتباي[7] للشريف بركات بن محمد بن بركات بولاية مكة وأعمالها

---

(١) الأشرف سيف الدين قايتباي الجركسي الظاهري تولى السلطنة بين (٨٧٢- ٩٠١هـ/ ١٤٦٨- ١٤٩٦م) السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٠١- ٢٠٢، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ١٧٦.

(٢) السخاوي، الضوء، ٤/ ٢، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٥٢- ٢٥٣، ابن فهد، إتحاف، ٤/ ٦٣٥- ٦٣٦ ابن فهد، غاية، ٢/ ٥٣٠- ٥٣١.

(٣) ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر، بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى، (مخطوطة مصورة برقم ف ١/٧٣، جامعة الملك سعود، الرياض) ورقة ١٠ ل ب.

(٤) ابن فهد، بلوغ، ورقة ١٠ ل ب ، ابن فهد، غاية، ٢/٥٣٧- ٥٣٨.

(٥) ابن فهد، بلوغ، ورقة ٢٢ ل ب ، ٢٤ ل ب، ٢٧ل ب .

(٦) السخاوي ، الضوء، ٣/ ٢٣٢- ٢٣٣، ٧/ ١٥٢، السخاوي، التحفة، ٢/ ٨٠- ٨١.

(٧) محمد بن قيتباي تولى السلطنة بين (٩٠١ - ٩٠٤ هـ/ ١٤٩٦ - ١٤٩٨م)، ابن اياس، بدائع، ٣/ ٣٣٣- ٤٠٢.

وجميع الحجاز بمرسوم صدر ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م مقابل مبلغ من المال يدفعه للسلطان[١]. وفي سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م أصدر السلطان الغوري مرسوماً كلفه بالنظر في أمر تعيين أمير جديد للمدينة بالتعاون مع قضاة المدينة وشيخ الحرم النبوي، فأرسل أمير مكة في رجب من ذلك العام ابنه السيد أبا نمي والشريف عراراً وقاضي القضاة الشافعي الصلاحي بن ظهيرة للمدينة فاجتمعوا بشيخ الحرم شاهين والقضاة واتفقوا على تولية ثابت بن ضيغم ثم عادوا إلى مكة[٢]، كما قام الشريف محمد بن بركات بزيارة المدينة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م وفرق تسعمئة دينار ذهب على أهلها[٣].

(١) ابن فهد، غاية، ٣/ ٧٣، ابن فهد، بلوغ، ورقة ١٠٣ ل ب ، ورقة ١٠٤، ل أ

(٢) ابن فهد، بلوغ ، ورقة ٢١٣ ل ب ، ابن فهد، غاية ، ٣/ ٢٨١.

(٣) ابن فهد، غاية ، ٣/ ٣١٨، ابن فهد، بلوغ ، ورقة ٢٢٦ ل أ وفيها فرق سبعمئة دينار.

(جـ) العلاقة مع القبائل المجاورة:

لقد قامت القبائل العربية المحيطة بالمدينة والقريبة منها بدور مهم في الأوضاع السياسية فيها، فقد تدخل بعضها لدعم الفئات المتنازعة على السلطة، كما انضم بعضها لأشراف مكة في مهاجمة المدينة، وقام بعضها الآخر بمهاجمة المدينة طمعاً في الحصول على المغانم.

وحين نتتبع نمط العلاقات القبلية مع المدينة منذ العهد الفاطمي نرى أنه من أبرز المشكلات التي واجهت أمراء المدينة ومكة كانت غارات القبائل وقطعهم طرق الحاج طمعاً في النهب والسلب. ومن أبرز الطرق التي تعرضت لتلك الغارات: طرق الحج المصري والشامي والعراقي، كما تعرض الطريق بين مكة والمدينة لغارات القبائل؛ ففي عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م خرجت قبيلة: «زعب [١] ومن انضم إليها على الحجاج بالغرابي بين مكة والمدينة فأخذوهم ولم يسلم إلا القليل»[٢].

وفي العصر الأيوبي تعرضت المدينة لهجوم قبلي كبير عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م تحت قيادة قبيلة زعب أيضاً، منتهزين فرصة وجود أميرها جماز بن قاسم بن مهنا الحسيني في الشام فهاجموها في جمادى الآخرة من ذلك العام بقصد السلب والنهب، فخرج إليهم أخوه هاشم ـ الذي كان نائبه على المدينة ـ وقاتلهم فقتل في تلك المعركة، غير أن ابن الأثير[٣] لم يحدد نتيجة المعركة وهل دخلت الأعراب المدينة.

---

(١) زعب بطن من قبيلة سليم وأحدهم زعبي ، حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة، ق ١ ص ٣١٠، حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، المنطقة الشرقية (البحرين قديما)، جـ ١ (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص٥٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ١١/ ١٤٨- ١٤٩ ولم أجد ذكراً لهذه الحادثة في المصادر الأخرى.

(٣) الكامل، ١٢/ ١١٠.

وفي ظل الصراع بين بعض أمراء المدينة والقبائل اغتيل أحد أمرائهم وهو قاسم بن جماز على يد قبيلة بني لام سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٧م[١].

كما اغتال بنو لام أيضاً أمير المدينة شيحة بن هاشم بن قاسم سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[٢].

في أوائل العصر المملوكي حاول السلطان المملوكي الظاهر بيبرس استخراج الزكاة من سائر الجهات، فأرسل إلى الحجاز سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م الأمير شكال بن محمد الذي طلب الدعم والمساندة من أمير المدينة جماز بن شيحة فلم يستجب له، فاتجه إلى بني خالد لدعمه في استخراجها من قبائل الحجاز فلم يستجيبوا له مما حدا به إلى أن يطلب من السلطان إعفاءه من منصبه[٣].

وفي سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م حاول أمير المدينة جماز بن شيحة استعادة سلطته التي فقدها على يد ابن اخيه مالك بن منيف بن شيحة؛ فاستعان لذلك بصاحب مكة محمد أبي نمي وببعض القبائل غير أن تلك المساندة لم تفلح في إعادته، وبعد انسحاب حلفائه تنازل مالك لعمه عن الإمارة طواعية كما أسلفنا[٤].

(١) ابن فرحون ، نصيحة، ورقة ١٠٣ ل ب ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٩٩.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٠٤ ل أ، ابن شاكر الكتبي، عيون، ٢٠/ ٢٧- ٢٨، السخاوي، التحفة ، ٢/ ٢٢٧، ذكر عبد الباسط بدر أن الأمير شيحة كان في طريقه إلى العراق مع عدد قليل من رجاله لزيارة الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، غير أني لم أجد لزيارته للخليفة العباسي ما يسنده من المصادر التاريخية، التاريخ الشامل للمدينة المنورة جـ ٢ (ط١، د. ن، المدينة المنورة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ص ٢٢٠

(٣) المقريزي، السلوك، ١/ ٥٥٨، وفي العيني، عقد، ١/ ٤٢٨ - ٤٢٩، يذكر الرواية بطريقة مختلفة فيتحدث عن وقوعها سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م وأن مندوب السلطان: «ذهب لبني خالد ليستعين بهم على محاربة أمير المدينة، وأن جماراً بعد ان علم بذلك رضخ وأذعن، للقيام بحقوق الله واستخراجها من قومه».

(٤) الفاسي، العقد، ٣/ ٤٣٦- ٤٣٧، السخاوي، التحفة، ١/ ٤٢٣، ابن فهد، غاية، ٢/ ٤٩- ٥٠.

وقد تعرضت المدينة لهجمات بعض القبائل التي ساندت بعض الأشراف، ففي عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م ساندت القبائل طفيل بن منصور الذي عزل بابن عمه سعد بن ثابت بن جماز، فانتقم طفيل بأن هاجم المدينة بمساندة تلك القبائل ونهبها كما نهب ما كان بها للحجاج[١]. في سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م تعرضت القبائل القاطنة شمال المدينة للحجاج وقطعت عليهم الطريق ونهبتهم كما قتلت أعداداً منهم[٢]. وفي ظل الصراع على الإمارة بالمدينة عُزل جماز بن هبة بن جماز بن منصور من منصبه سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م بعد أن تولى الإمارة عدة مرات فانتقم بأن أخذ حاصل المدينة وخرج إلى البرية فتعرضت له قبيلة مطير[٣] واغتالته سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م[٤].

وقد استعانت السلطنة المملوكية ببعض القبائل التي لم تُذكر أسماؤها ضد أمراء مكة والمدينة، فقد أرسل السلطان المملوكي جقمق عام ٨٤٦هـ/ ١٤٤٣م إلى جماعة من عرب نجد يطلبهم إلى القاهرة: «ليولي كبيرهم إمرة المدينة

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٥٦ ل أ، ب ، حيث وصف تلك الحادثة وصفاً تفصيلياً لأنه معاصر لها وشاهد عيان، غير أنه لم يشر إلى أسماء تلك القبائل بل ذكر الصعاليك من أهل المدينة والخيابرة التي تبعت القبائل في نهب المدينة، وانظر الفيروزآبادي، المغانم، (خ)، ورقة ٢٤٦ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٣٢٤- ٣٢٥، السخاوي، التحفة، ٢/٢٥٨- ٢٥٩.

(٢) المقريزي، السلوك، ٢٥٧/٣، وكان التعرض للحجاج على طريق الحج الشامي، ابن إياس، بدائع، ١/ق٢ ص ١٦١.

(٣) تقع الديار الأصلية لقبيلة مطير بالقرب من المدينة وبلادهم حالياً منتشرة في عالية نجد ووسطها وشرق الدهناء ، الجزيري، الدرر، ١/ ٢٣٠، حمد الجاسر، معجم ، ٢/ ٧٨٠، عبد الباسط بدر، التاريخ الشامل، ٢/ ٢٨٤.

(٤) المقريزي، نفسه، ١٢٩/٤، السخاوي، الضوء، ٧٨/٣، السخاوي، التحفة، ١/ ٤٢٧- ٤٢٨، السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد جـ ٢ (د. ط، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) ص٥٨٧.

لكونهم من أهل السنة قمعاً للرافضة وأن يمشوا إلى مكة والمدينة ليخلصوا أهلها من الشيعـة والرافضة»[1]، ويتضح من النص الســابق أن السلطان المملوكي قد بدأ عهـده بمحاولة التـخلص من أمراء المدينة من الإمــامية وأمـراء مكة الزيدية المخالفين له فـي المذهب، عن طريق بعض قبـائل نجد المناهضين لهم، غـير أن محاولتـه لم يكتب لها النجاح نظراً لتدخل بعض أهل النفـوذ في دولته لصالح أمراء مكة والمدينة، فـقد أشار الســخاوي[2] إلى ذلك بقوله: «لكن لم يتم له مارامه لغرض بـعض أهل الدولة» وربما يشير بذلك إلى مصالح بعض حـاشيته في عدم عزلهم أو مناهضتهم.

في عام ٨٩٠ هـ/ ١٤٨٥م تعرضت قبيلة بلي[3] لقافلة يتقدمها أحد الأشراف كانت متجهة من المدينة إلى جدة، فأخذت ثيابهم وأمتعتهم وأحمالهم[4].

ورغم ذلك فإنه بالنسبة للقبائل المجاورة تعد المدينة سوقاً لهذه القبائل ترتاده للبيع والشراء وبخاصة شراء المواد الغذائية والملابس والأسلحة .

مهما يكن من أمر، فيمكن أن نوضح أثر الأوضاع السياسية وانعكاساتها في الأوضاع العامة للمدينة المنورة (الاقتصادية الاجتماعية، الدينية، العلمية).

---

(١) العيني، عقد (حوادث وتراجم) ص ٥٨٣ ، ابن تغري بردي، حوادث، ١/ ٧٥، السخاوي، محمد ابن عبد الرحمن، التبر المسبوك في ذيل السلوك (د. ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة د. ت) ص ٤٤، ابن تغري بردي .

(٢) نفسه، ص ٤٤.

(٣) بلي النسبة إليها بلوي تنتشر بلادها في شمال الحجاز حول الوجه ممتدة شرقاً إلى العلا ونواحيها حمد الجاسر، معجم قبائل المملكة، ١/ ٥٣.

(٤) ابن فهد، بلوغ، ورقة ٢٨ ل أ حوادث ٨٩٠ هـ/ ١٤٨٥م وكانت القـافلة قد خرجت من المدينة في شهر رجب مقدمها محمد قاوان الشريف إسـحاق العجمي الذي كان قدم من القاهرة عبر البحر إلى جدة في شهر جمادى الثانية ثم اتجه من هناك إلى المدينة.

الفصل الثاني

الأحوال الاقتصادية

أولاً: النشاط الزراعي.

ثانياً: النشاط الصناعي والحرفي.

ثالثاً: النشاط التجاري.

حينما نحاول التحدث عن الأحوال الاقتصادية في المدينة في العصر المملوكي، نجد ندرة في المادة العلمية في مصادر تلك الفترة مقارنة بأحوال مكة الاقتصادية.

ومهما يكن من أمر، فإنه يمكن دراسة أحوال المدينة الاقتصادية من خلال الأنشطة التالية.

أولاً: النشاط الزراعي.

ثانياً: النشاط الصناعي والحرفي.

ثالثاً: النشاط التجاري.

أولاً: النشاط الزراعي

أ - ملكية الأرض

تعد الزراعة من أهم مجالات النشاط الاقتصادي في المدينة منذ صدر الإسلام؛ ففي عهد الرسول ﷺ وخلفائه كانت بساتين أهل المدينة تعرف بالحوائط ومفردها حائط، ويقال للأرض المحاط عليها، حائط وحديقة[1]. ولم تكن بساتين أهل المدينة في أغلب الأحيان كبيرة المساحة، فقد كان متوسط مساحتها مائة ذراع في مثلها، ويشتمل الحائط غالباً على بئر خاصة به، إلى جانب أُطُم يكون جواره لتوفير الحماية[2].

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف يوسف، خياط، جـ ١ (د. ط، دار لسان العرب، بيروت د. ت) ص ٧٥٧.

(٢) المطري، جمال الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، تحقيق محمد بن عبدالمحسن الخيال (د. ط، منشورات أسعد طرابزوني الحسيني، المدينة المنورة ١٣٧٢هـ) ص ٥٨، عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، **مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم** (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) ص ٢٠٣- ٢٠٤.

أما في العصر المملوكي، فقد عرفت مزارع المدينة في الغالب بالحدائق[١].

ومن الجدير بالذكر أن الأراضي كانت في الغالب مقسمة على ملكيات صغيرة، ومنها ملكيات كبيرة خاصة بالأشراف[٢]. غير أننا لا نعلم شيئاً عن طبيعة الملكيات في تلك الفترة .

ب - مصادر المياه :

نظراً لأن المدينة بلد زراعي، فقد وجد فيها عدد من مصادر المياه، هي: الآبار ـ العيون ـ الأمطار.

ونظراً لأهمية الآبار، كمرافق أساسية لخدمة مجتمع المدينة في الشرب والزراعة، فقد كثر استخدامها منذ العهد النبوي[٣]، واستمر استخدام بعضها خلال العصر المملوكي ومنها:ـ

بئر رومة : تقع أسفل وادي العقيق قريبة من مجتمع الأسيال، استمر

---

(١) الفيروزآبادي، المغانم (ط) ص ٢٥، ٣٠، ٣٦.

(٢) الفيروزآبادي، نفسه ص ٣١، ٢٩٩ .

(٣) لتفصيلات أكثر انظر ابن شبه، أبازيد عمر بن شبه النميري البصري، أخبار المدينة النبوية المعروف بتاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جـ ١ (ط٢، دار الأصفهاني للطباعة، جده ١٤٠٢ هـ) ص ١٥٦- ١٦٢، ابن النجار، محمد بن محمود، الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، الملحق الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، جـ ٢ (د. ط، مكتبة النهضة الحديثة، مكة د. ت) ص ٣٤٠- ٣٤٥، المطري، التعريف، ص ٥٦- ٦٠، المراغي، زين الدين أبي بكر بن الحسين، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي (ط ٢، المكتبة العلمية، المدينة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ١٦٨- ١٧٦، الفيروز آبادي، المغانم (ط)، ص ٢٥ - ٤٩، السمهودي، وفاء، ٣/ ٩٤٢، العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق محمد الطيب الأنصاري (د. ط، نشره أسعد درابزوني، القاهرة د. ت) ص ٢٤٢- ٢٦٨.

استخدامها منذ عصر الرسول ﷺ(١) حتى القرن السابع الهجري ثم خربت(٢)، وأعيد إصلاحها وتجديدها ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م على يد قاضي مكة شهاب الدين أحمد بن محمد الطبري الذي «قام برفع بنيانها عن الأرض نحو قامة ونزحت فكثر ماؤها»(٣).

بئر أريس: تقع بقباء غربي المدينة(٤). وذكر ابن النجار(٥) أنها مقابلة لمسجد قباء، وعندها مزارع، ويستقى منها وماؤها عذب» وفي عام ٧١٤هـ/ ١٣١٤م قام الشيخ صفي الدين أبو بكر بن أحمد السلامي بتجديدها «فبنى لها درجاً ينزل إليها من يريد الشرب والوضوء من الزوار وعلى الدرج قبو»(٦)، غير أن ابن فرحون(٧) يذكر أن نجم الدين يوسف الرومي هو الذي انشأ الدرج، وقد عقب الفيروزآبادي(٨) على تلك الرواية بقوله «والظاهر أن نجم الدين المذكور أنشأ الدرج وتشعثت فأصلحها صفي الدين وجددها».

بئر حا: تقع شمال سور المدينة، وقد آلت في القرن السابع الهجري إلى

---

(١) ابن شبه، نفسه ، ١/ ١٥٢- ١٥٣.

(٢) ابن النجار، نفسه، ٢/ ٣٤٤.

(٣) المراغي، نفسه، ص ١٧٦، الفيروزآبادي، نفسه ، ص ٤٢، والسمهودي، نفسه، ٣/ ٩٧١، على أن الفاسي في العقد، ٣/ ١٦٣، ذكر أن القاضي المذكور زار المدينة سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م.

(٤) مجهول، الاستبصار في عجائب الأنصار، تحقيق سعد رغلول عبد الحميد (د. ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد د. ت) ص٤٣ ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير (د. ط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ١٧٥، المطري، التعريف، ص ٥٧.

(٥) الدرة ، ٢/ ٣٤٢.

(٦) المطري، نفسه، ص ٥٧، المراغي، تحقيق ، ص ١٧٠.

(٧) نصيحة، ورقة ٨٤ ل ب.

(٨) المغانم (ط)، ص ٢٨.

بعض أهل المدينة وأصبحت وسط حديقة صغيرة تقع بالقرب منها نخيل ومزارع[1]، ثم آلت في القرن الثامن إلى نساء من النويريين من مكة نسبة لأسرة النويري خطباء مكة فأصبحت تعرف ببئر النويرية «وأوقفت على الفقراء والمساكين والواردين والصادرين لزيارة سيد المرسلين ﷺ»[2] وظلت البئر مفتوحة للناس إلى أوائل القرن التاسع الهجري»[3]. وفي النصف الثاني من القرن التاسع لم ير السمهودي[4] للفقراء أثراً حول البئر.

بئر بضاعة: كانت البئر خلال القرنين السابع والثامن الهجريين عامرة[5]، وقد دخلت ضمن حديقة أو بستان[6]، ثم أصبحت في القرن التاسع في منطقة تنتشر فيها المزارع والحقول التي يملكها أهل المدينة وبالقرب منها حديقة لأمير المدينة[7].

بئر البصة: كان أهل المدينة يستقون منها قبل أن يطمها السيل[8]. ثم أعيد حفرها وتجديدها، أواخر القرن السابع لخدمة الفقراء والزائرين والواردين إلى المدينة، وقد أوقفها الشيخ عزيز الدولة، ريحان البدري شيخ خدام الحرم الشريف ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م[9].

(١) ابن النجار، نفسه، ٢/ ٣٤١.

(٢) المطري، نفسه ص ٥٩.

(٣) الفيروزآبادي، نفسه، ص ٣٨.

(٤) وفاء ، ٣/ ٩٦٤.

(٥) ابن النجار، الدرة، ٢/ ٣٤٣، المطري، التعريف، ص ٥٩.

(٦) المراغي، تحقيق ، ص ١٧٣.

(٧) الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ٣١.

(٨) ابن النجار، نفسه، ٢/ ٣٤٤.

(٩) المطري، نفسه، ص ٥٨، المراغي، نفسه، ص ١٧١، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٣١، وقد عمر البئر خلال القرن التاسع الهجري قاضي المدينة زكي الدين بن أبي الفتح بن صالح، السمهودي، نفسه، ٣/ ٩٥٥.

بئر غرس: تقع شرقي مسجد قباء بين النخيل[1]، وكانت أوائل القرن الثامن ملكاً لبعض أهل المدينة ثم خربت، فجددت فأصبحت كثيرة الماء[2]، ثم خربت للمرة الثانية فابتاعها خواجا حسين بن أحمد الكيلاني[3] فعمرها وأحاطها بحديقة، وجعل لها درجة ينزل إليها من داخل الحديقة وخارجها وأوقفها عام ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م[4] فأصبحت تخدم أهل المدينة والقادمين إليها.

العيون :

تشكل مصدراً هاماً وأساسياً للمياه في المدينة، ورغم قلة عددها فقد أدت دوراً هاماً لسكانها باستخدامها في الري والشرب ومن تلك العيون.

- عين النبي ﷺ :

تقع خارج المدينة، وتدعى أيضاً عين كهف بني حرام[5] وذكر ابن جبير[6] في رحلته أن «عليها حلقاً عظيماً مستطيلاً، ومنبع العين وسط ذلك الحلق، كأنه الحوض المستطيل، وتحته سقايتان مستطيلتان باستطالة الحلق» ويتضح من ذلك أن العين كانت عامرة خلال القرن السابع، غير أنها اندثرت خلال القرن التاسع ولم يبق لها أثر[5].

(١) المطري، نفسه، ص ٥٧، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٤٦.

(٢) المراغي، تحقيق ، ص ١٧٠- ١٧١، حيث ذكر أنها جددت بعد السبعمائة من الهجرة.

(٣) هو الحسين بن أحمد بن محمد بن أحمد، البدر بن الخواجا الشهاب الكيلاني، ثم المكي، الشافعي، يعرف بابن قاوان ولد سنة ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨م بكيلان تردد إلى المدينة وجاور بها، وعمر بئر غرس وحوط عليها حديقة وبنى بجانبها مسجداً سنة ٨٨٢ هـ/ ١٤٧٧م توفي سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م بمكة، السخاوي، الضوء ، ٣/ ١٣٥- ١٣٦ السخاوي، التحفة ، ١/ ٥٠٣- ٥٠٤.

(٤) السمهودي، وفاء ، ٣/ ٩٨١.

(٥) المراغي، تحقيق، ص ١٧٦.

(٦) ابن جبير، رحلة ، ص ١٧٥- ١٧٦.

(٧) الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ٢٩٥، السمهودي، نفسه ٣/ ٩٨٦.

- عين الأزرق أو العين الزرقاء:

هي أشهر عيون المدينة على الإطلاق، فقد قدمت للمدينة خدمات كبيرة منذ أن أجراها مروان بن الحكم والي المدينة بأمر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان[1]، واستمر الاهتمام بها خلال القرون التالية[2] وتقع العين في قباء، وأصلها بئر في حديقة نخل غربي مسجد قباء[3].

- عين الخيف :

تقع في حديقة نخل، يعرف بالغنيمية ثم عرف بعد ذلك بالنقيبية، في بطن وادي بطحان غربي جبل سلع، تأتي من عوالي المدينة وتسقي المزارع والنخيل التي حولها[4].

- عين الشهداء :

قام بحفرها مروان بن الحكم بأمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان[5]، ويظهر أن العين اندثرت فقام نور الدين زنكي[6] بإجراء عين أخرى تحت جبل أحد عرفت أيضاً بعين الشهداء، ظلت قائمة حتى أوائل القرن العاشر الهجري[7].

(١) المطري، التعريف، ص ٦١، المراغي، تحقيق ، ص ١٧٧.

(٢) منها ما قام به الأمير سيف الدين الحسين بن أبي الهيجاء وزير الفاطميين سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م ببناء قناة رئيسية من العين إلى المدينة، المطري، نفسه، ص ٦١، المراغي، نفسه، ص ١٧٧- ١٧٨ الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ٢٩٥- ٢٩٦.

(٣) المراغي، نفسه، ص ١٧٧.

(٤) المطري، نفسه، ص ٦١، المراغي، نفسه، ص ١٧٧.

(٥) المراغي، نفسه، ص ١٧٧.

(٦) أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آمر سنقر، الملقب الملك العادل نور الدين ولد سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م وتوفي ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م ملك الشام والموصل وسير جيشاً إلى مصر وملكها صلاح الدين الأيوبي نيابة عنه، ابن خلكان، وفيات، ٥/ ١٨٤- ١٨٩.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩٨ ل أ، المراغي، نفسه، ص ١٧٧ السمهودي، وفاء ٣/ ٩٨٧.

الأمطار:

تعتمد الزراعة في الأودية بشكل أساسي على مياه الأمطار. ومن الأودية الزراعية التي تعد من أعمال المدينة، وادي ساية، وُصِف بأنه وادٍ عظيم به أكثر من سبعين عيناً تجري، وتنزله مزينة وسليم، وكان واليه يعين من قبل صاحب المدينة[1]. وإن استقل الوادي في فترات قصيرة عن حكم المدينة[2]. ومن الأودية الزراعية، وادي ذي الهدى بحورة اليمانية، ويقع إلى الغرب من المدينة، على طريق ينبع بناحية الفقرة.[3] ومن الأودية الهامة من أعمال المدينة وادي الصفراء[4]، ووادي يليل بناحية ينبع والصفراء، يصب في البحر[5].

السيول والكوارث

رغم أن للأمطار أثرها الهام في تنمية الثروتين الزراعية والحيوانية، فإن الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة، لها آثارها السلبية والمدمرة على المزارع، والمساكن والناس. فقد يؤدي هطول الأمطار بغزارة إلى قطع الطرقات، ومنع وصول البضائع والسلع، وجرف المزارع، وتخريب التربة وتدمير المحاصيل الزراعية. مما يؤدي إلى ارتفاع أسعارها، كما تؤدي السيول الجارفة إلى الإضرار بالمرافق والمنشآت العامة. ففي أوائل سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م أدت الأمطار الغزيرة والسيول الجارفة إلى إلحاق الضرر بالمسجد النبوي الشريف، وبالكثير

(١) عرام، أسماء، ص ٤٤٤.

(٢) الفيروزآبادي، المغانم، (ط)، ص ١٧٥، وربما يكون ذلك أواخر القرن الثامن أو أوائل القرن التاسع الهجريين.

(٣) الهجري، أبو علي هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، دراسة حمد الجاسر، جـ ٣ (ط٣، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص ١٦٣١، السمهودي، وفاء، ٤/ ١١٩٧

(٤) الفيروزآبادي، نفسه، ص ٢١٩، السمهودي، نفسه، ٣/ ١٢٥٢- ١٢٥٣.

(٥) السمهودي، نفسه، ٤/ ١٣٣٣.

من المساكن وتدمير أعداد كبيرة من النخيل والمحاصيل الزراعية. كما دمرت السيول العيون الجارية بالمدينة، ومنها عين الأزرق التي يستقي منها أهل المدينة وأعقب ذلك وصول جراد كثيف، دمر المزروعات والمحاصيل[(١)].

ويبدو أن هذه الكارثة، التي حلت بالمدينة قد أثرت في الأوضاع الاقتصادية بشكل عام، وعلى النشاط الزراعي بشكل خاص، فقلت الكميات المعروضة من المحاصيل الزراعية مما أدى إلى ارتفاع أسعارها.

كما حل بالمدينة سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م سيل عظيم، أخذ كما ذكر «الجمال وعشرين فرساً وخرب أماكن».[(٢)] وكان للجراد تأثير في الأوضاع السكانية والنشاط الزراعي في المدينة وما حولها ففي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م أدى وصول أعداد كبيرة من الجراد إلى المدينة إلى إتلاف أشجارها ومحاصيلها الزراعية، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من أهلها، ووفاة الكثيرين وخاصة الفقراء منهم جوعاً وعطشاً[(٣)]، فانخفض عدد سكان المدينة في تلك الفترة نتيجة لذلك.

أما البراكين التي أصابت المدينة في بعض أعوامها[(٤)]، فكان لها تأثير سلبي في أوضاعها السكانية والاقتصادية غير أن لتلك البراكين أثرها الايجابي أيضاً في التربة الزراعية، حيث أسهمت في زيادة خصوبتها. ومن أبرز تلك البراكين، البركان الذي ظهر بالمدينة سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ، وقد أسهب المؤرخون في

(١) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، تحقيق قسطنطين زريق جـ ٨ (د. ط، الجامعة الأمريكية، بيروت ١٩٣٩م) ص ٥٢، المقريزي، السلوك، ١/ ٧٣٧.

(٢) اليافعي، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليمني، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان جـ ٤، (د. ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٣٧هـ) ص ٢٩١.

(٣) المقريزي، السلوك، ٤/ ٦٣٣.

(٤) السمهودي، وفاء، ١/ ١٤٢- ١٥٠.

الحديث عن هذا البركان وآثاره الاقتصادية والاجتماعية. وينقل أبو شامة عن قاضي المدينة، شمس الدين سنان بن عبدالوهاب، أنه «ظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين في شرقي المدينة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم، انفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نار حتى حاذى جبل أحد، ويذكر من آثارها «. . . والمدينة قد تاب جميع أهلها ولا بقي تسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب . .».

«. . .وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه فطرح المكس، وأعتق مماليكه كلهم وعبيده، ورد علينا كل ما لنا تحت يده وعلى غيرنا . . .»[1].

كما أشار إلى تلك النار أيضاً المطري[2]، وذكر السمهودي[3] بعض آثارها الاقتصادية والاجتماعية وفوائدها .

جـ - المناطق الزراعية :

اشتهرت المدينة منذ أمد طويل بأنها منطقة زراعية؛ حيث تتوفر فيها المياه الوفيرة، وإلى حد ما التربة البركانية الخصبة، فنجد الزراعة في المناطق المحيطة بالمدينة في بطون الأودية والقرى الزراعية مثل قبا، كما تنتشر الزراعة في الوديان والواحات الداخلة في منطقة المدينة إدارياً؛ وإن كان بعضها بعيداً نسبياً عن البلد نفسها، مثل خيبر، وادي القرى، السيالة، رهاط[4]. ومن أبرز

(١) الذيل ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٢) التعريف ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٣) وفاء الوفاء ١/ ١٤٢ - ١٥١ .

(٤) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني، مختصر كتاب البلدان (ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ٢٨، شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (ط١، دار احياء التراث، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ٢٨٤.

المناطق الزراعيـة في المدينة العوالي التي وصـفها الفـيروزآبادي[١] بقوله: إنها «ضيعة عامرة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال وذلك أدناها. وقيل: أبعدها. وحدد كل من الفيروزآبادي[٢] والسمهودي[٣] العوالي، بأنه ما كان جنوب المدينة باتجاه مكة. ويقابل العـوالي في الجهة الأخرى من المدينـة السافلة. وتقع على طريق الشام[٤]، حيث يوجد بها كـثير من الحدائق[٥]. ويحدد الفيروزآبادي[٦] أبرز محاصيل العوالي بقوله: «إن جليل شجرها النخيل وتحف بها محاصيل زراعية أخرى، كـالقرع واللفت والجزر» وهناك كـثير من المزارع المحـيطة بالمدينة يطلق عليهـا حدائق وتشتـمل، كل حديقة أو عـدة حدائق على بئر خـاصة، بل إن بعضها يُسَمَّى باسم البئر الواقع بها، كحديقة بئر أيوب والمعروفة بدار فحل[٧]، وحديقة بئر أريس، التي كانت زمن الفيروزآبادي للأشراف من بني الحسين[٨]، وحديقة بئر البضة[٩] وحديقة بئر زمـزم بالحرة المعروفة سابقاً ببئر فـاطمة نسبة

(١) المغانم (ط)، ص ٢٨٦، السـمهودي، وفاء، ٤/ ١٢٦٢، السمـهودي، نور الدين علي بن أحـمد، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى (د. ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص ٥٨٠.

(٢) نفسه، ص ٢٤٣.

(٣) وفاء ٤/ ٢٦١ وانظر إبراهيم العـياشي، المدينة بين الماضي والحاضر (د. ط، المكتبة العلـمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص ٥٤٦.

(٤) السمهودي، وفاء ٤/ ١٢٣٠- ١٢٣١ إبراهيم العياشي، نفسه، ص ٥٤٦- ٥٤٧.

(٥) المراغي، تحقيق، ص ١٤٤.

(٦) نفسه، ص ٢٨٦.

(٧) المراغي، تحقيق، ص ٤٤.

(٨) ذكر ابن النجار أن عندها مزارع يستقن منها الذرة، ٢/ ٣٤٢ الفيروزآبادي، المغانم، (ط)، ص ٢٥، ٢٧، السمهودي، وفاء، ٣/٩٤٨.

(٩) أوقف هذه الحديقـة على الفقراء والمساكين والوارديـن والصادرين الشيخ عزيز الدولة ريحـان البدري الشهابي شيخ الخـدام في الحرم الشريف (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م) انظر ابن الضياء، أبو البقـاء محمد ابن أحمد، تاريخ مكة المشرفة والمسجـد الحرام والمدينة الشريفة، المجلد الثاني (مخطوطة مصورة برقم ٢٢٦ص، جامعة الملك سعود، الرياض). ورقة ٢٤ ل ب.

إلى فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي عنهما[1] وإلى الشمال من سور المدينة تسقي بئر حـا عدداً من الحدائق والنخيل[2]. ومن الحدائق الأخرى حديقـة وقف رباط اليمنيـة، وحديقـة أولاد الصفي[3]، وحديقـة غشاوة[4]، والحديقة الجعفرية القريبة من مسجد قباء[5].

ومن المناطق الزراعية القريبـة من المدينة، نُخَيّل، التي تقع إلى الشرق منها، على بعد ستين ونيف ميـلاً، وبها كثير من مزارع النخيل والقـمح والشعير[6]، كما تنتشر أشجار النخيل في أودية يليل[7]، وساية[8]، والصفراء[9]، والقمح بوادي ذي الهدى[10] وتزود قرية السوارقية المدينة بالتمور والموز والعنب والتين والرمان[11].

---

(١) السمهودي، نفسه ، ٤/ ١١٤٠.

(٢) الفيروزآبادي، نفسه، (ط)، ص ٣٨.

(٣) المراغي، نفسه ، ص ٤٤.

(٤) ابن فرحون، نصيحة ، ورقة ٧٥ل أ.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٥ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٢٨ السمهودي، نفسه، ٣/ ٩٤٩.

(٦) الحربي، أبو إسـحاق إبراهيم، المناسك وأمـاكن طرق الحج ومعالـم الجزيرة (ط٢، دار اليمامـة للبحث والتـرجمـة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٥٢٠- ٥٢١، ابن الفـرات، تاريخ مج ٩ ، ٢/ ٣١٢- ٣١٣ الفيروزآبادي، المغانم (ط) ص ٤٠٨، ابن قاضي شـهبـه، تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسـدي الدمشقي، تاريخ ابن قـاضي شهبة، تحقيق عـدنان درويش، جـ ٣ (د. ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٧٧م) ص ٤٣٣، السمهودي، وفاء ٤/ ١٣١٩.

(٧) عرام، أسماء، ٢/ ٤٢٧، واختلفت المصادر فـي تحديد موقع يليل، انظر البكري، عبـد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، جـ ٢ (ط٣، عالم الكتب بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٦٥٦، السمهودي،نفسه ، ٤/ ١٣٩٦.

(٨) الفيروزآبادي، نفسه، ص ١٧٥.

(٩) عرام، نفسه، ٢/ ٤٢٧- ٤٢٨، الفيروزآبادي، نفسه، ص ٢١٩، السمهودي، نفسه، ٢/ ١٢٥٢.

(١٠) الهجري، التعليقات ، ٣/ ١٦٣١، السمهودي، نفسه، ٤/ ١١٩٧.

(١١) عرام، نفسه، ٢/ ٤٦٢- ٤٦٣، الفيروزآبادي، نفسه، ص ١٨٩ السمهودي، نفسه، ٤/ ١٢٣٨.

إن أبرز المحاصيل الزراعية في منطقة المدينة، هو دون شك التمر الذي يعد مادة أساسية في طعام سكانها حاضرتهم وباديتهم بل أصبح تقليداً سائداً لدى سكان المدينة أن يستقبلوا زائريها بالتمر(١). وقد ذكر النابلسي أن بالمدينة مائة وثلاثة عشر نوعاً من أنواع التمور(٢)، ويأتي من التمر عوائد اقتصادية فرعية فالتمر طعام، والنوى علف لإبلهم، كما يستفيد سكان المدينة من جريد النخيل وسعفها وليفها فيما يصنعون منه أو يستخدمونه في حاجاتهم(٣) ومن أبرز المحاصيل الزراعية الأخرى الخضراوات كالباذنجان والباسلاء والجزر والملوخية والبامية والبصل واللفت وغيرها(٤). وتمثل الزراعة نشاطاً اقتصادياً لقطاع عريض من السكان، يعتمدون عليها في معاشهم فبالإضافة لاشتغال أهل المدينة الأصليين بالزراعة وخاصة الذين عرفوا بالنخاولة(٥)

(١) ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عمر، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، جـ ٥ (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ١٦.

(٢) النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، المعروفة برحلة النابلسي (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م) ص ٣٧٠- ٣٧١.

(٣) سليمان عبد الغني مالكي، مرافق الحج والخدمات المدينة للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية (د. ط، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ص ٤٥- ٤٦.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٣ ل أ، ٤٦ ل ب، العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، المدينة المنورة في رحلة العياشي، تحقيق محمد امحزون (ط١، دار الارقم، الكويت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ٢٢٤.

(٥) هم طائفة من سكان المدينة من الشيعة الإمامية، يسكنون «خارج المدينة في العوالي وغيرها من الجهات» ولعل تسميتهم بالنخاولة مشتقة من اشتغالهم بفلاحة النخل، العياشي، نفسه، ص ١٧٦ وانظر أيضاً الأنصاري، عبد الرحمن، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي (د. ط، المكتبة العتيقة، تونس ١٩٧٠م) ص ٤٧٩- ٤٨٠، وذكر الانصاري أن الخطيب خير الدين إلياس المدني صنف كتاباً في أصولهم وفروعهم، وانظر: محمد لبيب البتنوني، الرحلة الحجازية (د. ط، مكتبة المعارف، الطائف د. ت) ص ٥٢، إبراهيم رفعت باشا، مرآة الحرمين، جـ ١ (ط ١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م) ٤٤٠، بكر أبو زيد، طبقات النسابين (ط١، دار الرشد، الرياض ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ٧٧.

شارك المجاورون[1] بالنشاط الزراعـي، كما أن سكان المدينة كـانوا يستـعينون بالعبيد[2].

ومن الجدير بـالذكر، أن هناك زراعات شـتوية، تشـمل الحبـوب، وأخرى صيفية تشمل التمور والخضـروات. فالآبار والعيون مصادر دائمة للمياه، ولابد أن لها أنواعـاً خاصـة من المزوعات. أما الأمطار، فـهي شتـوية ولابد أن لها مزروعات خاصـة بها. ونجد أن بعض الأسر اشتهرت بممـارسة الزراعة، حيث امتلكوا أراضي زراعـية ومنهـا أسرة الشكليين[3] التي قدمت من مكة واشـتغل بعض أفرادها بالزراعـة، ويبدو أنهم اسـتقروا أولاً في مكة قـادمين من خارج الحجاز . ومن أشهر شخصيات هذه الأسرة مسعود الكجار وابنه مبارك[4].

د- الثروة الحيوانية

لكون المدينة منطقـة زراعية، فـلابد من وجود ثروة حيـوانية تقدم خـدمات مختلفة لهذا المجتمع الزراعي؛ كـالإبل والأبقار والأغنام والحمير. وتنتشر هذه الثروة في الأوديـة المحيطة بالمدينة؛ كـوادى ساية[5]، وبعض الأودية الأخرى التي تنتشر فيها المراعي .

---

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب.

(٢) ابن حوقل، أبو القاسم مـحمد بن علي، صورة الأرض (د.ط، دار مكتبة الحـياة، بيروت ١٩٧٩م) ص ٣٧- ٣٨، الإدريسي، أبو عبد الله محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج١ (د. ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر د. ت) ص ١٤٣ ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٨٢.

(٣) سيرد ذكر لهم في اشتغالهم أيضاً بالعطارة والتجارة.

(٤) وربما ينسب الشكليون إلى شكل، ولم يحدد السمعاني موقعها، انظر ابن أبي سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور، الأنسـاب، تقـديم وتعليق عـبـد الله عمـر البـارودي جـ ٣ (ط١، دار الجنان، بيـروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ٤٤٩، أما الكجار فربما تكون إحدى قرى بخارى، السمعاني، نفسه، ٥/ ٩.

(٥) الفيروزآبادي، المغانم (ط) ص ١٧٥ ، جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم المدينة جـ١ (ط١، دار التعارف، بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ص ٧٠ .

ثانياً: النشاط الصناعي والحرفي:

تؤدي الحرف والمهن دوراً هاماً في حياة المجتمعات؛ فهي تقدم جملة من الخدمات الأساسية لمعيشتهم. إلا أن المصادر، لا تمدنا بالمادة الكافية عن هذا النشاط خلال العصر المملوكي، باستثناء بعض الإشارات القليلة من كتب التاريخ والتراجم.

البناء :

هي مهنة أساسية، لا يستغنى عنها في كل مجتمع؛ لأهميتها في بناء المساكن والتحصينات والمرافق المختلفة. وقد برز جملة رجال في المدينة يمارسون هذه المهنة في العصر المملوكي؛ منهم إبراهيم بن أحمد المدني(1)، الذي قام بحفر أساس منارة باب السلام بالمسجد النبوي ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م وعلي الحجار(2) الذي امتهن البناء، إضافة إلى حرفة النجارة والحجارة وبها عرف.

النجارة :

تعد من الحرف التي تسد حاجة الناس. وهي مكملة لمهنة البناء وهناك أنواع من هذه الحرفة؛ مثل نجارة البناء، ونجارة الأثاث والأدوات المنزلية، وتعتمد هذه الحرفة على المواد الأولية المحلية والمستوردة. وقد برز بعض النجارين في المدينة خلال العصر المملوكي؛ مثل أبي بكر بن يوسف المحوجب(3)، الذي قدم من مصر بعد حريق المسجد النبوي ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م، ومن النجارين آدم المغربي(4)

(1) السخاوي، التحفة، ١/ ١٠٧، ١٥٥.

(2) توفي علي الحجار بالمدينة ٧٤٠ هـ/ ١٣٣٩م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٢ ل ب.

(3) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٠ ل ب، وكانت وفاة المحوجب ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، ابن حجر، الدرر، ١/٥٠٣.

(4) وكانت وفاته سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م ، السخاوي، التحفة، ١/٩٨- ٩٩.

(ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م). وتعتمد النجارة على مواد أولية من خشب الأشجار، الذي ينتشر حول المدينة. ومن أبرز تلك الأشجار الطلح، السلم، والسيال، العرفط، السمر، الشيهان[١].

الخرازة[٢]:

هي حرفة تشير إلى من يعمل بالصناعات الجلدية[٣]. وكانت هذه الحرفة موجودة في المدينة منذ صدر الإسلام[٤] وتعتمد على المواد الأولية المتوفرة من جلود الحيوانات وترتبط هذه الحرفة بحرفة أخرى هي الدباغة. والسؤال هنا: هل كان بعض الخرازين يمارسون مهنة الدباغة أيضاً؟ أو إنهم يشترون الجلود مدبوغة، ويقومون بخرازتها أحذية وقرباً وأدوات أخرى؟

تعد الطائف المدينة الرئيسية في دباغة وتصنيع وتجارة الجلود[٥]، التي ربما زودت المدينة بحاجتها من الجلود المدبوغة. على أنه يحتمل أن بعض الخرازين في المدينة قد مارسوا مهنة الدباغة. وقد انتظم بعض هؤلاء الخرازين في جماعة، وربما يكون لهم شيخهم وتنظيماتهم الخاصة بهم، التي يتعاونون من خلالها على مزاولة هذه المهنة؛ ومن ذلك أنه في عهد أمير المدينة طفيل بن منصور (ت

(١) جعفر الخليلي، موسوعة ١/ ٧٧ .

(٢) الخرازة خياطة الأدم، ابن منظور، لسان ، ١/ ٨١١ .

(٣) عبد العزيز العمري، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم (ط ١، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة ١٩٨٥م) ص ٢٨٢.

(٤) الزبيري، نسب، ص ١٧٨.

(٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (د. ط، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ٢٦٠، البكري، عبد الله بن عبد العزيز ، جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك، تحقيق ودراسة عبد الله يوسف الغنيم (د. ط، دار السلاسل، الكويت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ص ٢٧.

٧٥٢هـ)[١] كان يوجد جماعة من الخـرازين ورد ذكرهم في المساهمة في إعادة بناء بئر أريس في قباء قرب المدينة[٢].

ويبدو، أن مهنة الخرازة كانت متطورة بالمدينة خلال العصر المملوكي؛ لدخول عناصر مغربية وأندلسيـة في ممارستها؛ ومن هؤلاء الأخوان: أبو الحسن علي، وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأندلسيـان اللذان قدما للمدينة في القرن الثامن الهجـري وكان لهـما في الأندلس دور في مـحاربة الإفـرنج في بلادهم[٣] لقد عاصر هذان الأخوان، آخرين من أرباب المهنة؛ هما عمر بن عياد الخراز الأنصاري الأندلسي[٤]، وعبـد الله بن عمر الخـراز سبط أبي بكر المحوجب النجـار السابق الذكر[٥]. وربما يكون لهؤلاء سوق خاص بهم. وفـي ورقان وهو من جبال المدينة أنواع من الشجر المثمر وغير المثمر، وفيه القرظ وهو ورق يستعمل لدبغ الجلود[٦].

العطارة [٧]:

إن لمهنة العطارة دوراً هـاماً في حـيـاة الناس؛ فـالعطار يقـوم بدور الطبـيب والصيـدلي وبائع العطور. ومواد العطارة تدخل أيضـاً في إعداد الطعام، فـهي مهنة رائجة، وبالإضافة إلى اعتمادها على مواد محلية، فإنها أيضاً تستخدم مواد مستوردة

(١) ابن حجر، الدرر، ٢/ ٣٢٤، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٥٩.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٥ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ٢٧- ٢٨، السمهودي، وفاء ٣/٩٤٨- ٩٤٩.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٦ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٧ ل أ، وذكر السخاوي، أن اسمه عمـر بن عياد الخراز وهو أحد اختان أبي الحسن علي الاندلسي السالف الذكر نفسه، ٣/ ٣٥٤.

(٥) ابن فرحون ، نفسه، ورقة ٧١ ل أ، وذكره السخاوي بإسم عبد الله بن عمر بن عباد أحد أبناء عمر السابق الذكر، نفسه ٢/ ٣٦٨ .

(٦) جعفر الخليلي ، موسوعة ١/ ٧٧ .

(٧) مهنة مأخوذة من العطر، وهو اسم جامع للطيب والجمع عطور، ابن منظور، لسان ، ٢/ ٨١٠.

ويحتـاج من يشتـغل بها إلى فتـرة طويلة من الممارسـة. وكان لهـذه المهنة سوق خاص بها في المدينة يـسمى سوق العطارين[1]؛ يقع بالقرب من سـوق الصواغ. لقد عمل بهذه المهنة أسر توارثتها؛ ومنها أسرة ابن مشكور التي تنتسب إلى قريش وقدمت من مكة حيث نزح جـدهم مشكور منها، ومن أبنائه عبيد وعـبدالرحمن وأحمد وعلي وحسن[2]. كما عمل بها أسرة الشكليين السابقة الذكر التي تنتسب لمسعود الكجار، ومن أفرادها الذين عملوا بالعطارة؛ محمد وحسن وعليان[3].

الحطابة[4]:

مهنة مارسـها بعض أهل المدينة والبادية المحيطة بهـا، حيث توفر هذه المهنة المواد التي يحتاجهـا السكان للطبخ والتدفئة، ولها بالمدينة سـوق معروف بسوق الحطابين، يقع بالجبانة[5] إلى الشمال من المدينة بالقرب من مـسجد الراية وثنية الوداع[6]. لقد مارس هذه المهـنة بعض أهل المدينة، والقادمون إليهـا، وخاصة الفقراء منهم، ممن لا يتقن مهنة أو حرفة غيرها، ومن هؤلاء محمد الهزميري؛ وهو من المجاورين الذين امتهنوا الحطابة[7]. ومنهم إبراهيم المغربي الحطاب[8].

---

(١) السمهودي، وفاء ، ٢/٧٣٦.

(٢) ابن فرحون النصيحة ورقة ٧٧ ل ب وذكرهم السـخاوي دون تحديد لمهنهم انظر التحفة، ١/٢٦٩، ٤٩٩، ٢/٥٤٢، ٣/ ٢٦٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٨ ل أ، السخاوي، نفسه، ١/ ٢٦٩، ٤٩٩.

(٤) مهنة تطلق على الذي يحتطب الحطب فيبيعه فيقال له حطاب، ابن منظور، لسان، ٢/ ٨١٠

(٥) الجبانة «أصله المقبرة وهو موضع شمالي المدينة»، السمهودي، نفسه، ٤/ ١١٧٣.

(٦) السمهودي، نفسه، ٢/ ٧٦٥.

(٧) لا يعرف تاريخ وفـاته، ولكن كان مـوجوداً في القـرن الثامن الهجـري / الرابع عشـر الميلاد، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٩ ل أ.

(٨) (ت ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) السخاوي، التحفة، ١/ ١٥٣.

وتعتــمد هذه الحـرفة على الأشجـار، وخاصةً السـمر، الذي يعـد من أفضل الأخشاب للتدفئة والطبخ[1].

الخراطة[2]:

حرفة كانت موجودة في المدينة في العـصر المملوكي، وهي قائمة على مادة الخشب المتـوفر في الأشجار الموجـودة خارج المدينة[3]. ومن أبرز المصنوعات القائمة عليها السبح، التي يعتقد أنهـا كانت مزدهرة، وعليها إقبال من الحجاج والمعتمرين. وممن مارس هذه الحرفة محمد الخراط، وهو من المجاورين، حيث كان يقـوم بحز الخشب بالمخراط، ويضع تلك الـقطع الخشبيـة في خيط لتكون سبحة، لهذا عرف بالخراط[4].

الخياطه[5]:

مهنة، تتضـمن عمل الملابس الخاصة بالرجال والنساء على الـسواء. وتتوفر المنسوجات في المدينة وفي غيرها من مـدن الحجاز، إما من الإنتاج المحلي، أو باستيرادها من الخـارج، حيث يمد التجار الخياطين بحاجتـهم من الأقمشة ومن أبرز الممـارسين لهذه المهنة بالمديـنة خلال القـرن الثامن أبو عـبد الله مـحمـد السلاوي[6]، الذي عمل بها خلال مجاورته بالمدينة[7].

(١) جعفر الخليل، موسوعة ، ٧٧١ .

(٢) الخراطة من «خرط الشجرة يخرطها خرطاً أي انتزع الورق واللحاء عنها اجتذاباً» ابن منظور، لسان ، ١/ ٨١٤.

(٣) جعفر الخليلي، نفسه ، ١/ ٧٧ .

(٤) (ت ٧٣٨هـ/ ١٣٣٧م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦١ ل أ ب.

(٥) مأخوذة من الكلمة خاط الثوب يخيطه خيطاً وخياطة، ابن منظور، نفسه، ١/ ٩٢٨ .

(٦) نسبة إلى سلا بأقصى المغرب، ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٢٣١.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٦ ل أ.

الصيد:

مهنة، قائمة على صيد البر والبحـر. غير أننا لا نجد ما يشير إلى وجود مهنة الصيد البري بالمدينة أما الصيد البحري، فقد مارس بعض أهل المدينة والمجاورين صيد الأسمـاك من البحيرات، وتجمعـات المياه المحيطة بالمدينة. ويطلق على من يقوم بهذه المهنة لقب الحوات ومن هؤلاء إبراهيم الحوات[١] وقاسم التكروري[٢، ٣] الذي قام بممارسة هذه المهنة في بعض تجمـعات المياه خارج المدينة، حيث تعيش بعض الأسماك كغدران ورقان[٤]، وفحل[٥]، والسد[٦] وغيرها.

السقاية[٧]:

كانت السقايات موجودة في المسجد النبوي وخارجه[٨]. واستخدمت أساساً للشرب؛ غير أن بعض الناس استخدمها للوضوء، مع ما يترتب على ذلك من نجاســة[٩]. ومـمن عمـل فيها بالحرم الـنبوي من المجاورين وغيرهم أبو حسين

(١) السخاوي، التحفة، ١/ ١٥٤.

(٢) نسبة لبلاد التكرور جنوب المغرب، ياقوت، معجم البلدان ، ٢/ ٣٨ وهي بلاد مالي حالياً.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل ٢، ٥٦ ل أ، وقد وصـفه ابن حجر بأنه أحـد الصلحاء الزهاد، الدرر ، ٣/ ٣٢٥، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٥٧ ل أ.

(٤) ورقان جـبل على يمين الذاهب من المدينة إلى مكة يـنصب ماؤه إلى مـريم وفي ورقان أنواع الشـجر المثمر، الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ٤٢٨.

(٥) فـحل، ربما تكون مـفرد فـحـلان مـوضع بجـبل أحد، الفـيـروزآبادي، المغـانم (ط)، ص ٣١١، السمهودي، وفاء ٤/ ١٢٨٠.

(٦) السد «ماء سماء في خرم بني عوال. قال الأسدي: وبه ماء كـثير في شعب كان معاوية عمل له سداً يحبس فيه الماء، الفيروزآبادي، المغانم، (ط) ، ص ١٧٦، السمهودي، نفسه، ٤/ ١٢٣٢.

(٧) مهنة مشتق اسمها من «الموضع الذي يتخذ فيه الشراب والسقا يكون للبن والماء، وصاحب المهنة يقال له: سقاء وجمعها سقائون، ابن منظور، لسان ، ٢/ ١٦٧– ١٦٨.

(٨) ابن النجار، الدرة، ٢/ ٣٧٧، السمهودي، وفاء، ٢/ ٦٧٨– ٦٧٩.

(٩) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨ ل أ، السمهودي، نفسه، ٢/ ٦٧٩.

محمد السقاء، الذي كان يملأ المسجد بالدوارق[1]، وحسين بن علي بن رستم الشيرازي[2] وابناه حسن[3] ومحمد[4]. ولابد من وجود هذه المهنة بكثرة، نظراً لحاجة السكان إلى السقائين، لتزويدهم بماء الشرب في منازلهم. ويزداد الطلب على أصحاب هذه المهنة في مواسم الحج والعمرة؛ لوجود أعداد كبيرة من الناس، ويرتبط بهذه المهنة حرفة أخرى هي صناعة الفخار[5]، وممن عمل سقاء للمنازل أحمد السقا الذي كان يقوم بسقي الماء من العين[6].

الدهان[7] والتزويق[8]:

يشترط فيمَن يمتهن هذه الحرفة، أن يكون متقناً لعمله. وقد اشتهر بهذه المهنة عدد من المجاورين مثل صالح بن إسماعيل الكناني الشافعي المدني المصري الأصل الذي «كان صانعاً مبيضاً يشتغل بالتبييض في الحرم الشريف»[9] وحمد بن محمد الغرناطي الذي كان «مجيداً في صنعة الدهان والتزويق،

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٣ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ٥١٢.

(٣) السخاوي، نفسه، ١/ ٤٧٨.

(٤) السخاوي، نفسه، ٣/ ٥٦٠.

(٥) نظراً لتربة المدينة الجيدة لصناعة الفخار تصنع الدوارق التي يصدر بعضها إلى خارج المدينة ومنها مكة.

(٦) ربما يكون المقصود العين الزرقاء، وقد أغنى الله أحمد السقا فأصبح فيما بعد وزيراً للأشراف، ابن فرحون نفسه، ورقة ٧٧ ل أ.

(٧) الدهان هو الصباغة العادية للجدران والأبواب وغيرها وقوله دهن رأسه وغيره يدهنه دهناً، ابن منظور، لسان ، ١/ ١٠٢٨.

(٨) التزويق: أهل المدينة يسمون الزئبق الزاووق، ويدخل الزئبق في التصاوير، ولذلك قالوا لكل مزين مزوق... ثم قيل لكل منقش مزوق وإن لم يكن منه الزئبق، ابن منظور، نفسه، ٢/ ٣٦٤.

(٩) (ت ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) ابن فرحون ، نصيحة، ورقة ٣٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٢٩.

فعمل في الحرم الشريف مع الدهانين»[1]. ولا يقتصر عمل الدهانين على المسجد النبوي، بل يشمل المنازل التي لابد أن أصحابها وخاصة الموسرين منهم يحرصون على تبييض منازلهم، وتزيينها بالنقوش والحروف الجميلة.

الوراقة أو النساخة[2]:

تختص هذه المهنة بنسخ كتب العلم وبيعها أو إهدائها أو وقفها. وتشمل الوراقة، نسخ الكتب، وتجليدها، وبيعها. وممن برز في العصر المملوكي بالمدينة من طلاب العلم عبد الواحد الجزولي؛ حيث كان يقوم بنسخ كتب العلم بنفسه، وأوقف كثيراً مما كتبه على رباط دكالة، الذي كان مقيماً فيه[3]، غير أني لم أجد ما يشير إلى سوق للوراقين بالمدينة في تلك الفترة.

ويرتبط بالوراقة مهنة تجليد الكتب، التي تتصل بمهنة أخرى هي صناعة الجلود، حيث يحفظ التجليد الكتاب من التلف، وممن اشتغل بها محمد التلمساني[4].

إضافة للمهن والحرف السابقة، تحدثت بعض المصادر عن وجود أفران للخبز، مما يدل على وجود مهنة الخباز، وطواحين لطحن الحبوب التي تدل على وجود مهنة الطحان[5].

(١) (ت ٧٥٤هـ/ ١٣٦٢م) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٣٥٥.

(٢) الوراقة مأخوذة من الوراق وهو الذي يورق ويكتب، والنساخة من نسخ الشيء ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخه: اكتتبه عن معارضة والنسخ اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف، والأصل نسخة والمكتوب عنه نسخة لأنه قام مقامه والكاتب ناسخ ومنتسخ ، ابن منظور، لسان، ٣/ ٦٢٦ ، ٩١٢.

(٣) (ت ٧١٧هـ/ ١٣١٧م) ابن فرحون ، نصيحة، ورقة ٢٧ ل أ، ١١٤ ل ب، الفيروزآبادي ، المغانم (خ)، ورقة ٢٥ ل أ، السخاوي، التحفة ، ٣/ ١٠٤- ١٠٥.

(٤) (ت ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٥ ل أ.

(٥) السخاوي، نفسه، ٣/ ٤١١، السمهودي، وفاء ، ٢/ ٦٤٤، ٧١٤- ٧١٥.

كما أنه لابد من وجود مهن وحرف أخرى يحتاجها أهل المدينة، كالجزارة، والحدادة.

الصياغة : هي من المهن الخاصة بصياغة حلي النساء من الذهب. ويوجد لها سوق خاص بالمدينة بالقرب من سوق العطارين(١).

الرعي: يعد نشاط الرعي من الحرف الهامة المنتشرة حول المدينة، حيث يتم رعي الإبل والأغنام(٢) .

ثالثاً: النشاط التجاري

إن المصادر التي بين أيدينا، لا تشير إلى وجود تجارة واسعة في المدينة في العصر المملوكي. غير أنه لا يمكن دراسة الأوضاع الاقتصادية، وخاصةً النشاط التجاري بمعزل عن التأثير السياسي. فالاستقرار السياسي له مردود إيجابي على الوضع الاقتصادي، أما الاضطراب السياسي المتمثل بالفتن الداخلية وهجمات القبائل؛ فإنه يؤثر بصورة سلبية على الأوضاع الاقتصادية، ويؤدي إلى تدهور في الأحوال المعيشية. فمن هجمات القبائل التي تعرضت لها المدينة، ما حدث سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م(٣) حينما هاجمتها قبيلة زعب(٤). أما في العصر المملوكي فقد أدت الصراعات بين أمراء المدينة من الأشراف(٥) وهجمات القبائل

(١) السمهودي، نفسه ، ٢/٧٣٦ .

(٢) جعفر الخليلي، موسوعة ، ١/ ٧٠ .

(٣) ابن الأثير، الكامل، ١١/١٤٨.

(٤) زعب، النسبة إليها الزعبي بطن من سليم، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، لب اللباب في تحرير الأنساب ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، أشرف أحمد عبد العزيز جـ ١ (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص ٣٧٩، حمد الجاسر، معجم، ١/ ٣١٠.

(٥) لتفصيلات أكثر عن الصراع بين أمراء المدينة، انظر الفصل الأول، الأوضاع السياسية.

إلى تدهور في أوضاعها الاقتصادية، وضعف الحركة التجارية. ومن أبرز تلك الحوادث التي كان لها تأثير على أحوال السكان، ما حدث سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م حينما هاجمتها بعض القبائل بدعم من «الخيابرة»[1] وبعض الصعاليك من أهل المدينة، فنهبت كثيراً من أحيائها وأسواقها[2]. وقد وصف ابن فرحون[3] حالة المدينة الأمنية نتيجة لتلك الحوادث، بقوله: «وكان مما جرى أن نهب جميع ما للحاج من ودائع في المدينة، وحصل عليها من العرب إزعاج واذعار عظيم، وتبعتهم الصعاليك من أهل المدينة وجميع الخيابرة وغيرهم، فلم يتركوا أثاثاً ولا متاعاً، وكان أمراً عظيماً لم يجر مثله في زمن من الأزمان التي أدركناها وسمعنا بها» إن هذا التدهور الأمني، وحوادث النهب والسلب، لابد أن تنعكس بصورة سلبية على أوضاع السكان الاقتصادية . . وفي عام ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م هاجمت بعض القبائل الحجاج إلى الشمال من المدينة ونهبتهم[4]. إلا أنه من جانب آخر يمكن القول: إن الاستقرار السياسي، والأمني له أثر إيجابي في الأوضاع الاقتصادية، فمثلاً حينما تولى الشريف سعد بن ثابت إمارة المدينة عام. ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م في أعقاب الحوادث السابقة، ابتدأ بحفر خندق حول سور المدينة لمنع القبائل من مهاجمتها، غير أنه لم يكمله لوفاته (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) بعد أشهر من بدء العمل به فتولى إكماله ابن عمه الأمير فضل بن

(١) الخيابرة، نسبة إلى خيبر إلى الشمال من المدينة، كانوا يعملون بالمدينة انظر الفئات الاجتماعية في الفصل الخاص بالحياة الاجتماعية بالمدينة في العصر المملوكي.

(٢) وقعت هذه الحوادث أثناء إمارة طفيل بن منصور في ذي الحجة من ذلك العام نتيجة لعزله من منصبه ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٥٦ ل أ ، ب، السخاوي، التحفة، ٢/٢٥٩- ٢٦٠.

(٣) نفسه، ورقة ٥٦ ل، ب، ويذكر السخاوي، أن طفيلاً «استنجد بصالح بن حريبه من آل فضل من بني لام من طي وبعمرو بن مراد، وبعياق بن متروك الرزاق فجاءوه في جموع كالجبال» نفسه، ٢/ ٢٦٠.

(٤) المقريزي، السلوك، ٣/٢٥٧، ابن اياس، بدائع، ١/ق ٢ص ١٦١.

قاسم بن جماز (٧٥٢هـ - ٧٥٤هـ/ ١٣٥١- ١٣٥٣)[(١)]، ولابد أن لهذا الخندق أثراً كبيراً في استتباب الأمن وانتعاش الاقتصاد.

هذا ويمكن تحديد أوجه تجارة المدينة في عنصرين أساسيين؛ التجارة الداخلية، والتجارة الخارجية.

أ- التجارة الداخلية

يقصد بها التبادل التجاري، الذي يتم بين أهل المدينة أنفسهم، وبينهم وبين جيرانهم من أهل القرى والبوادي، ومع بقية مدن الحجاز وعلى رأسها مكة وجدة وينبع. وتتركز التجارة الداخلية على المحاصيل الزراعية والمنتوجات المحلية، حيث تساهم المحاصيل الزراعية في مزارع المدينة وفي القرى والأودية وفي أعراض المدينة في قيام نشاط تجاري[(٢)]. ويعد التمر أبرز المحاصيل الزراعية ففضلاً عن أن الطلب عليه كبير لكونه المادة الغذائية الرئيسية لسكانها من حاضرة وبادية، فإن بيئة المدينة مناسبة لزراعة النخيل نظراً لخصوبتها، مما ساعد على ازدهار تجارة التمور، ومن الجدير بالذكر أن النخلة لا تفيد فقط في توفير المادة الغذائية فقط بل إنها تسد حاجة السكان من المواد الأولية في الوقود والبناء والنجارة والكثير من الاحتياجات المنزلية.

كما أن التمور وسيلة لتبادل السلع (المقايضة) للحصول على الحاجات الأخرى فيما بين الحاضرة والبادية، فيجلب الأعراب اللبن والجبن والسمن

---

(١) الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٢ ل ب، ٢٥٦ ل أ ، السخاوي، نفسه، ٢/ ١٢٥- ١٢٦، ٣/ ٣٩٥- ٣٩٦.

(٢) ابن خرد اذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، وضع مقدمته وهوامشه محمد مخزوم (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م/ ص ١٢٢- ١١٣، شيخ الربوة، نخبة، ص٢٨٤.

والغنم والخيول والجمال ثم يعودون إلى باديتهم محملين بالتمر والقمح والشعير والأقمشة واحتياجات البادية الأخرى[١].

كما أن تجارة المقايضة تسد حاجة السكان المستقرين، من مختلف السلع والبضائع، التي تعرض في الأسواق الدائمة والأسبوعية والموسمية.

أسواق المدينة :

تحدثت بعض المصادر بشيء من الإيجاز عن أسواق المدينة في العصر المملوكي فقد ذكر ابن شاهين[٢] أن «بالمدينة المشرفة سوراً وقلعة ومدارس ومساجد وأسواقاً وشوارع وبساتين ونخلاً كثيراً وفنادق وحمامات وهي مدينة حسنة» غير أن السمهودي[٣] يعطي وصفاً أكثر تفصيلاً لأسواق المدينة، من خلال حديثة عن الدور والمرافق المحيطة بالمسجد النبوي فذكر عدداً من تلك الأسواق منها: سوق الصواغين أو الصواغ لبيع الذهب ويقع بالقرب من باب الرحمة، وهو من أبواب المسجد الحرام، وسوق العطارين القريب من سوق الصواغ، وبالقرب منهما سوق الفاكهة، أما سوق الحطابين فهو بالجبانة إلى الشمال من المدينة[٤] كما وصف النابلسي[٥] في رحلته أسواق المدينة وأزقتها ومنازلها وقصورها.

- **الحسبة أو الرقابة على الأسواق** : ومن البديهى أن الأسواق كانت تخضع لرقابة السلطة التنفيذية للمدينة، برئاسة المحتسب الذي يراقب طريقة البيع

(١) العياشي، الرحلة، ص ٢٢٣، علي حسين السليمان، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى (ط١ ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١م) ص ١٠٢.

(٢) ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، اعتنى بتصحيحه بولس راويس (د. ط، المطبعة الجمهورية، باريس ١٨٩٤م) ص ١٦.

(٣) وفاء ، ٢/ ٧٢٥، ٧٣٦، ٧٣٧.

(٤) السمهودي، نفسه ، ٢/ ٧٦٥، ٤/ ١١٧٣ .

(٥) الحقيقة والمجاز ، ص ٣٤٣- ٣٤٤.

والشراء ونوع البضاعة والجودة. وممن تولى وظيفة المحتسب نور الدين علي بن يوسف بن الحسن الزرندي وذلك سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٥م[١]، وابنه عبدالرحمن سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م [٢]. وعلي بن يوسف بن محمد الزرندي (ت ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م)[٣].

ب - التجارة الخارجية

عندما نتحدث عن التجارة الخارجية للمدينة يتبادر إلى أذهاننا الطرق التي تسلكها تلك التجارة، التي يمكن تقسيمها على قسمين: الطريق التجاري البحري، والطريق التجاري البري.

١- الطريق التجاري البحري

تمثل البنادر المنافذ الرئيسة للتجارة البحرية، ويعد ميناء الجار[٤] أقدم منفذ

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ ، ابن حجر، الدرر ، ٢١٧/٣ ، السخاوي ، التحفة ، ٢٦٩/٣ .

(٢) ابن حجر، إنباء، ١٥٦/٧، السخاوي، الضوء، ١٠٦/٤ السخاوي، التحفة ، ٥١٨/٢ - ٥١٩.

(٣) السخاوي، التحفة ، ٢٧٣/٣ .

(٤) وعن ميناء الجار انظر عرام، أسماء، ٤٢٨/٢- ٤٢٩ حيث ذكر «أن الجار على شاطئ البحر، ترفأ إليه السفن من أرض الحبشة ومصر ومن البحرين والصين» وانظر أيضاً اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر، البلدان (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ٧٧، الحربي، المناسك، ص ٥٣٢، ٥٣٩ ابن رسته، أبا علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة (ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ص ٩٤، ابن خرداذبة، المسالك، ص ١٣١، الإصطخري، أبا إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العلا الحيني، محمد شفيق غربال (د. ط، دار القلم، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ص ٢٣، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٧٤، خسرو، ناصر، سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب (ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠م) ص ١١٠، ١٢٠، ١٢٥ ابن حوقل، صورة، ص ٣٩، الإدريسي، نزهة، ١٤٤/١، ياقوت، معجم البلدان، ٩٢/٢- ٩٤، شيخ الربوة، نخبة ، ص ٢٨٤، أبو الفداء، تقويم، ص ٨٢، الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ١٧٧- ٢٤٩، السمهودي، وفاء، ١١٧٣/٤ .

بحري للمدينة، حيث تم استخدامه منذ صدر الإسلام[1].

إن شهرة هذا الميناء جعلت مرتادي بحر القلزم (البحر الأحمر) من جدة إلى مدينة القلزم يطلقون على هذا الجزء بحر الجار[2]. وأقدم من أشار إلى استخدامه كميناء، المقدسي[3] ويبدو أنه كان مزدهراً في القرن السادس الهجرى ولم يلبث أن اضمحل في القرن السابع الهجرى ويفهم من وصف ياقوت[4] له في سنة ٦٢٦هـ: أنه كان خالياً من السكان، على أن الجار كميناء وكمدينة بدأ بالتدهور منذ فترة لا نستطيع تحديدها على وجه الدقة ولعلها منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجرى، وقد ذكر بعض الباحثين[5] أن المجسات الأثرية بموقع الجار أثبتت وجود عدد من المستويات السكنية المتتابعة. أقدمها يرجع إلى عصر ما قبل الإسلام، وأحدثها يرجع إلى القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين[6]. كما أشارت المصادر إلى

(١) لتفصيلات أكثر انظر ابن سعد، الطبقات ، ١/٢٠٨، ٣/ ٣١٠- ٣١١، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تاريخ اليعقوبي، جـ ٢ (د. ط، دار صادر، بيروت د.ت) ص ١٥٤، ابن شبه، تاريخ ٢/ ٧٤٤- ٧٤٥، علي غبان، الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة (ط١، مطبعة سفير، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ص ١٨.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٩٣، ياقوت، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، المشترك وضعاً والمفترق ضقعاً (د.ط، جامعة شريفتن، غوتنجن ١٨٤٦م) ص ٩٢، البغدادي، مراصد، ١/ ٣٠٥.

(٣) أحسن التقاسيم ، ص ٨٣ .

(٤) معجم البلدان، ٢/ ٣١٦.

(٥) حمد الجاسر، في شمال غرب الجزيرة (ط٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ١٦٨- ١٧٠، علي غبان، الآثار، ص ١٨- ٢١.

(٦) ابن شجاع، إبراهيم ، منازل الحجاز (مخطوط مصور برقم ف ٨٠٩ معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١٦ ل ب.

وجود ميناء آخر للمدينة؛ يدعى الحوراء[1] إلى الشمال من ينبع.

وهنا يبرز أمامنا ميناء ينبع[2] الذي حل محل مينائي الجار والحوراء منذ النصف الأول من القرن السابع الهجري. إن ميناء ينبع كان له وجود في العصور القديمة، وكانت ينبع تسمى في كتب اليونان القديمة (NERA) و (NEGRA)[3] إلا أن استخدامه في العصر الإسلامي لم يظهر إلا في سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م حينما اشترى السلطان الكامل الأيوبي قلعة ينبع الواقعة على ساحل البحر مقابل المدينة من الأشراف الحسنيين بأربعة آلاف مثقال[4]، ويبدو أن شراءه تلك القلعة كان إما بقصد مراقبة أشراف الحجاز أو لمواجهة الاطماع الصليبية في المنطقة غير أن الأشراف امتنعوا عن تسليمها فأخذها قهراً وأقام له فيها نائباً، وظلت تحت السلطة الأيوبية إلى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م حين استردها الأشراف الحسنيون[5]

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٢/٣١٦- ٣١٧، البغدادي، نفسه، ١/٥٣٥، وذكر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٨٣ أن الحوراء هو ساحل خيبر، أما البكري، جزيرة العرب، ص ٢١، والحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار (ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م) ص ٢٠٥، فذكرا أن الحوراء ساحل وادي القرى.

(٢) يَنْبع يَنْبَعُ يَنْبُع عن اللحياني، نبعاً ونبوعاً: تفجر، وقيل: خرج من العين؛ ولذلك سميت العين ينبوعاً، ابن منظور، لسان، ٣/٥٦٩ والمقصود ينبع البحر أو الساحل أما ينبع النخل فقد كانت مأهولة بالسكان منذ قبل الإسلام - حتى العصر المملوكي.

(٣) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٢ (ط٢، جامعة بغداد، د. م ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ص ٤٧- ٤٨، حمد الجاسر، بلاد ينبع (د.ط، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض د. ت) ص ٤٦ - ٤٧، علي السليمان، النشاط، ص ١٠٥.

(٤) المقريزي، السلوك، ١/٢١٥، وفيها يشير إلى الطابع العسكري للقلعة.

(٥) المقريزي، نفسه، ١/٢١٥ غير أنه يذكر في حوادث سنة ٦٣٠هـ أن الملك الكامل جهز عسكراً من الغز والعربان إلى ينبع لمواجهة الجيش الرسولي الذي قدم من اليمن بقيادة راجح بن قتادة للسيطرة على مكة، ١/٢٤٤.

واستمرت في أيديهم حتى سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م حينما اشتراها السلطان الرسولي نور الدين عمر بن علي بن رسول(١) وأمر بتخريبها حتى لا يعود إليها الايوبيون(٢). غير أن ينبع ما لبثت أن عادت إلى سلطة الأيوبيين دون أن تذكر المصادر الفترة الزمنية التي آلت فيها إليهم، ثم أصبحت تحت السلطة المملوكية.

ويشير المقريزي(٣) إلى استخدام ينبع لنقل السلع إلى المدينة، حيث ذكر أنه في سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م أرسل السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة مراكب إلى ينبع شحنها «بالغلال والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى ونحو ذلك» وكذلك فعل السلطان المملوكي المؤيد سيف الدين شيخ ٨١٦- ٨٢٤هـ/١٤١٢- ١٤٢١م) ففي سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨ وحينما عزم السلطان على الحج جهز الغلال وأرسلها إلى بندر ينبع لمساعدة الحجاج وأهل المدينة وينبع(٤). غير أنه بالعودة إلى كثيرٍ من المصادر التاريخية والبلدانية وكتب الرحلات المعاصرة نجدها لا تشير إلى ينبع الساحل، بل تتحدث فقط عن ينبع النخل(٥). ويعد ابن سعيد المغربي أقدم جغرافي تحدث عن ينبع كميناء فبعد أن تحدث عن خيبر قال «فيما بينها وبين المدينة النبوية الينبع وبها عيون وخضر

---

(١) مؤسس الدولة الرسولية سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م، وكان المذكور أميراً على مكة من قبل السلطان الأيوبي في اليمن سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢١م، الخزرجي، العقود، ٤١/١، ٥٥ .

(٢) الجزيري، الدرر ، ٦٣١/٣، أما العصامي، سمط ، ٢١٨/٤- ٢١٩ فيذكر شراء القلعة سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م).

(٣) المقريزي، السلوك، ٩١٧/١ .

(٤) الصيرفي، نزهة، ٤١٣/٢- ٤١٤ .

(٥) البكري معجم ، ٦٥٥/٢، ٦٥٨ ياقوت، معجم، ٤٤٩/٥- ٥٥٠، الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ٤٤٠، السمهودي، وفاء، ١٣٣٤/٤، العبدري، أبا عبد الله محمد بن محمد ، رحلة العبدري، حققه محمد الفاسي (د. ط، وزارة الثقافة المغربية، الرباط ١٩٦٨م) ص ١٦٣ .

وحصن، وهي منازل بني الحسن رضي الله عنه. وموضوعها حيث الطول أربع وستون درجة والعرض ست وعشرون درجـة ولها فرضة على بحر الحجاز على مرحلة منها ينزل فيها الحجاج الذين يقصدون المدينة»[١] ويتضح من النص السابق أنه يتـحدث عن الينبـعين: النخل والسـاحل، وأن ينبع البـحر أصـبحت مـيناء للحجاج. كما نقل كل من أبي الفداء[٢] والجزيري[٣] ما ذكر ابن سعيد عن ينبع.

وتتضح أهمية ينبع التجارية خلال العـصر المملوكي فيما ذكره ابن شاهين[٤] بقوله «وهي مـدينة حسنة تشتـمل على سور وقلعة... ومـدينة الينبوع كثـيرة العـمائر والأسواق.... ولـلينبوع بندر ترد إليـه المراكب بالغلال من سـواحل الطور، يؤخذ عـليها المكوس لصـاحب الينبوع في كل سنة تقـدير ثلاثين ألف دينار» ويفهم من النص السابق أن ميناء الطور بمصر هو الميناء التجاري الذي يربط مصر ببندر ينبع، أمـا الجزيري فتحدث عن ميناء يـنبع بقوله: «وعلى مرحلة من الينبع، البندر الذي بساحل البحر الملح غرباً وبه خان و(حصار)[٥] و(نوباجية)[٦] وجماعة الشريف يأخذون المكس الذي يسمونه الزَّالة من أهل المراكب المارة بهذا

(١) ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، حققه إسماعيل العربي (ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧٠م) ص ١٣١.

(٢) تقويم، ص ٨٩.

(٣) درر، ١٤١٥/٢، وهو ينقل هنا عن كل من أبي سعيد وأبي الفـداء، رغم أنه عمل في وظيفة كاتب إمرة الحج وكان دائم المرور بينبع والأفضل أن يصفها كما رآها.

(٤) زبدة، ص ١٦ .

(٥) الموضع الذي يحصر فيه الإنسان، ابن منظور، لسان، ٦٥١/١٠ ويحتمل أن المقصود هنا القلعة أو الحصن وهو استعمال تركي.

(٦) مصطلح يطـلق على الجند التي تتناوب الوقوف لحـراسة شخص السلطان. والمـقصود هنا فـرقة من الجند، محمـد قنديل البقلي، التعـريف بمصطلحات صبح الأعشى، (د.ط، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م) ص ٣٥٣ .

البندر وهي عادة لأمير الينبع، يستعين بها على مصروف إمرته»[1]، ويصفها العطار بقوله: «وبها خانات وبيوت وأفران والخضر واللحم كثير والعسل والسمن والدقيق وغيره والعشش وبندرها على البحر[2].

ويذكر الرحالة القلصادي[3]: أنه قد ركب من الطور في طريقه إلى الحج ونزل بالينبوع ومنه اتجه براً إلى رابغ فجدة ثم مكة.

لقد تزايد سكان ينبع البحر بانتقال أعداد كبيرة من الأسر من صعيد مصر واستيطانهم لها[4] فازدادت حركة النشاط الاقتصادي وخاصة التجاري منها، وتعاظمت أهمية ينبع التجارية، حيث استخدم ميناء ينبع خلال إحدى فترات العصر المملوكي بدلاً من ميناء جدة كميناء رئيسي للحجاز، نتيجة لاختلال الأمن في كل من مكة وجدة. ففي سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م أراد بعض أشراف مكة أن يشاركوا أميرها السيد علي بن عجلان فيما يأخذه من ضرائب على السفن الواردة إلى جدة خاصة بعد وصول سفينة إليها مرسلة من قبل السلطان المملوكي محملة بالقمح والشعير والفول، ورغم أن الشريف علي وافق على إعطائهم أربعمائة غرارة قمح من ذلك المركب وزادهم مائة أخرى. إلا أنهم تمادوا في الإفساد على الطريق بين جدة ومكة، مما أدى إلى إعراض التجار عن جدة، واتجهوا إلى ينبع لممارسة تجارتهم فتدهورت نتيجة لذلك تجارة مكة[5].

(١) درر، ٢/١٤١٧.

(٢) العطار، محمد بن محمد، منازل الحج الشريف، (مخطوطة مصورة برقم ف ١٦٣٨ - ٢، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود) ورقة ٦.

(٣) أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان (د. ط، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٨م) ص ١٢٩- ١٣٠.

(٤) ويطلق على إحدى حارات ينبع البحر بحارة الصعايدة ، حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص ١٢٨،

(٥) ابن فهد، اتحاف ، ٣/٣٨٩، الجزيري، الدرر ، ١/ ٦٨٠.

كما أن التجارة القادمة من الهند واليمن، أخذت تتجنب المرور بجدة، مستخدمة ميناء ينبع بدلاً منها، نتيجة للرسوم المرتفعة التي تؤخذ على السلع المارة بها، والأساليب القاسية التي يمارسها الموظفون في ميناء جدة ضد التجار[1]. ولذلك تعاظم دور ينبع تجارياً وعمرانياً وقد وصفها ابن إياس[2] بقوله: من أهم مدن الحجاز، وهي بندر التجار ومحل المكاسب... وبها بدو وصاغة وحواصل ودكاكين وسرحات وبساتين وزرع وعيون وأشجار».

٢- الطريق التجاري البري

يعد طريقا الحج الشامي والمصري أهم طرق التجارة البرية التي تربط المدينة بالخارج منذ صدر الإسلام[3]. أما تجارة مصر مع المدينة فترتبط بطريقين بري وبحري، ويشكل طريق الحج المصري عبر الساحل الطريق البري الرئيسي لتجارة المدينة مع مصر[4]. ويعد الطريق الممتد من اليمن إلى الشام من أبرز الطرق التجارية في جزيرة العرب، ويمر هذا الطريق بالمدينة حيث تقطعه القوافل محملة بالسلع اليمنية والحبشية والهندية وتعود بالمنتجات الشامية والمصرية وغيرها إلى اليمن[5]، ومنها تنقل إلى غيرها من الأقطار وهذا ما يطلق عليه تجارة المرور التي تتوقف في المدينة كما تتوقف أيضاً السفن القادمة من مصر بينبع فتقدم لتلك القوافل والسفن الخدمات اللازمة من مؤن وإبل

(١) علي السليمان، النشاط التجاري، ص ١١٨ - ١١٩ .

(٢) محمد بن أحمد ، نشق الأزهار في عجائب الأقطار، (مخطوطة مصورة برقة ف ١/٣٥٢، (جامعة الملك سعود الرياض) ورقة ٢٠٠ ل ٢، ٢٠١ ل ٢.

(٣) الحربي، المناسك، ص ٦٥٣.

(٤) الجزيري، الدرر ، ١٤١٩/٢، سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ص ١٥- ١٦.

(٥) علي السليمان، النشاط التجاري ، ص ١٢٦.

وأدلاء مما يعود بالنفع والفـائدة على سكان المدينتين، فتزدهر التجـارة وينتعش النشاط الاقتصادي.

إضافة إلى أن تجار المدينة وينبع، يقومون بشراء بعض السلع المارة بهما.

يتضح مما سبق: أن ازدهار ميناء ينبع، والطرق التجارية البرية المارة بالمدينة، قد انعكس بصورة إيجابـية على تجارتها بشكل خاص، وأوضاعهـا الاقتصادية بشكل عام. فانتعشت نتيجة لذلك، التجارة التي شملت مختلف السلع، ومنها الغذائية كالدقيق والأرز الذي يحمل إلى المدينة عبر القوافل البرية، وعبر الطرق البحرية إلى ينبع(١). وقد اتخذ هؤلاء التجار المدينـة أو ينبع مقراً لهم، كما أن بعـضهم مـارسوا تجـارتهم من أقطارهم فكانوا يأتون إلى الحـجاز في أوقـات معلومة أو في مواسم الحج، ومنهم تجار من مصر والشام والعراق وفارس واليمن وغيـرها. ومن الأسر التي مارست التـجارة متخـذة من المدينة مقراً لهـا أسرة الشكليين (٢). ومن الأفراد الذين اشتغلوا بالتـجارة بالمدينة صفي الدين أبو بكر ابن أحمد السلامي(٣). ومن كبار تجار المدينة عمر بن محـمد كمال بن محمد ابن عمر التكروري الأصل المدني الذي «كان مثرياً يكثر السفر لمصر وغيرها»(٤) ويبدو أن ذلك كان من أجل التجارة.

(١) الجزيري، الدرر ، ٢/١١٧٢ .

(٢) ابن فرحون، نصيحة ، ورقة ٧٧ ل ب، ٧٨ ل أ، وسبق الحديث عن هذه الأسرة في مهنة العطارة من هذا الفصل.

(٣) (توفي سنة ٧٥١ هـ/ ١٣٥١م) ، ابن فـرحون ، نفسـه ، ورقـة ٤٥ ل أ ، ابن حجـر ، الدرر ، ١/٤٦٩، الفيـروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٣٢ ل ب، السـمـهودي، وفـاء، ٣/٩٤٨ وينسب المذكور إلى قرية السلامية، وهي قـرية كبيرة بنواحي الموصل شرق دجلة، ياقوت ، معجم البلدان، ٣/٢٣٤.

(٤) (توفي سنة ٨٨١هـ/ ١٤٨١م)، السخاوي، التحفة ، ٣/ ٣٦٠ .

ومن تجار المدينة علي بن سليمان بن عبد الواحد القاهري. نزيل المدينة وكانت تجارته بين ينبع ومصر عبر البحر الأحمر. وينقل بضائعه بعد ذلك براً إلى المدينة[1]. ومن التجار، محب الدين بن أبي الفتح العسقلاني المصري الأصل؛ وكان من تجار الحجاز وقد وصف بأنه «لم يكن بالمرضي، يقال: كان لا يبالي بما اشترى ومن أي مال اكتسب»[2] أي إن تجارته لم تكن حلالاً كلها، فربما كان يتعامل بالربا، ومن التجار المصريين الذين تعاملوا مع الحجاز علي النوساني[3].

الحج والعمرة والزيارة وأهميتها في النشاط الاقتصادي

يمثل الحج والعمرة والزيارة المتصلة طوال السنة أهمية كبرى للحجاز وخاصة مكة والمدينة، التي يلتقى خلالهما المسلمون من شتى بقاع الأرض، فيفد التجار إلى الحجاز للحج والتجارة معاً، حيث يجلبون بعض منتوجات أقطارهم للحجاز[4]، كما أن حرمة مكة والمدينة كان خير ملاذ للأثرياء الذين تقع ديارهم في فتن فيفرون إليها بعلة الحج حفاظاً على أموالهم[5]. وفيما يختص بالمدينة فإن كثيراً من الحجاج والمعتمرين من فارس والعراق والشام ومصر وبلاد ما وراء النهر يمرون بها وهم في طريقهم إلى مكة وعودتهم منها، فيزداد النشاط الاقتصادي بالمدينة، نتيجة قيام بعضهم باستئجار جمال أو أدلاء[6]

(١) السخاوي، التحفة ، ٣/ ٢٢٣ .

(٢) (توفي سنة ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٧م)، ابن قاضي شهبة، تاريخ، ٣/ ٦٦٩.

(٣) ابن قاضي شُهبه، نفسه، ٣/ ٦٣٦.

(٤) القلقشندي، صبح ، ٤/ ٣٠٢، علي السليمان، النشاط، ص ١٠٤.

(٥) المسعودي، مروج، ٣/ ٤١٦- ٤١٧، سعيد القحطاني، تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (رسالة دكتوراه، غير منشورة ، قسم التاريخ كلية الآداب جامعة الملك سعود ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م) ص ٥٣.

(٦) يطلق عليهم غالباً الجمالون، العياشي، الرحلة، ص ٢٢٤.

والحصول على بعض الطعام والحاجات الأخرى، كما يجلب بعضهم سلعاً مثل السجاد من فارس، والمنسوجات من الشام، كما يقيم بعضهم في المدينة لفترة طويلة فيستأجرون منازل، كما يأتي أغنياؤهم بالصدقات إليها ويرسل آخرون بتلك الصدقات مع الحجاج.

المعاملات المالية والأوزان والمكاييل

ترتبط معاملات أهل المدينة المالية بما هو سائد في الديار المصرية، ومكة من المعاملة بالدنانير والدراهم النقرة[(١)]، ويعبر عن الدرهم النقرة بالكاملي نسبة إلى السلطان الأيوبي الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب. كما يتم تداول درهم آخر من فضة خالصة مربع الشكل يسمى الدرهم المسعودي نسبة إلى الملك المسعود الأيوبي صاحب اليمن[(٢)]. كما سكت بالمدينة نقود تدعى بالعلوية وهي «قطيعات من الفضة مسكوكة باسم صاحب المدينة، كل واحد صرفه سدس درهم»[(٣)] ثم راجت بعد ذلك الدراهم المملوكية في عهد السلطان برقوق، ويعادل كل درهم ثمانية وأربعين فلساً[(٤)]. ومن النقود المستعملة أيضاً بالمدينة الدينار الأفرنتي[(٥)] الذي بدأ استعماله في مصر لأول مرة سنة ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م وأول إشارة إلى ظهوره في مكة كان في موسم حج سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٣م[(٦)] ولابد أنه قد وصل إلى المدينة في نفس الفترة أو قريباً من ذلك وتم

(١) الدراهم النقرة هي التي تغلب فيها نسبة الفضة على النحاس القلقشندي، صبح، ٣/٤٣٩، ٤٤٠، محمد قنديل البقلي، التعريف، ص ١٣٤.

(٢) القلقشندي، صبح، ٤/ ٢٧٥ - ٢٧٦، ٣٠٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٠ ل ب، ٤١ ل أ.

(٤) القلقشندي، نفسه، ٤/ ٢٧٦.

(٥) «ذهب يقال له الأفرنتي والأفلوري والبندقي» وهو من ضرب البندقية، المقريزي، السلوك، ٤/ ٣٠٥.

(٦) الفاسي، شفاء، ٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦.

تداوله. ثم راج بعد ذلك استعمال الدنانير الأشرفية[١]، التي حلت محل الدنانير الأفرنتية[٢]. كما تم تداول المحلق[٣] في أسواق مكة والمدينة منذ النصف الثاني من القرن التاسع الهجري[٤].

أما الأوزان المستعملة، فمنها المن ويعادل مائتين وستين درهما[٥]، والرطل المصري[٦] ويعادل اثنتي عشرة أوقية، كل أوقية اثنا عشر درهماً وزنيًا = ١٤٤ درهمًا وزنيا[٧].

أما المكاييل المستعملة في الحجاز في العصر المملوكي؛ فمنها الصاع[٨]، ومنه الصاع المدني «صاع النبي ﷺ» نسبة للمدينة يعادل ٥,٥ رطل مدني = ٣,٢٤٥ كغم قمح[٩] والغرارة[١٠] وهي مكيال دمشقي للحنطة تعادل ٢٠٤,٥ كغم أو حوالي ٢٦٥ لتراً، بوصفها مكيالا[١١]. والويبة[١٢] وهو مكيال مصر بالدرجة

(١) نسبة إلى السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي الظاهري الجركسي ٨٢٥-٨٤١ هـ/ ١٤٢١- ١٤٣٧م المقريزي، نفسه، ٤/٦٠٧- ١٠٥١.

(٢) المقريزي، نفسه، ٤/ ٧١٠.

(٣) في حاشية إتحاف الورى لابن فهد ٤/٦٣٩، ذكر المحقق أن المحلق هو في اصطلاح بعض العامة الدراهم والدنانير غير أني لم أجد تفسيراً دقيقاً لهذا النوع من العملات فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) ظهر الأول مرة بمكة سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م، ابن فهد، الحاف ، ٤/٦٣٩ ويحتمل استعماله بالمدينة خلال تلك الفترة، الجزيري، الدرر ، ١/ ٧٦٣.

(٥) القلقشندي، صبح، ٤/٦٧٦- ٣٠٢.

(٦) ابن الفرات، تاريخ ، مج ٩، ٢/ ٤٦٣، الجزيري، نفسه ١/٧٦٥- ٧٦٦.

(٧) فالتر هنتس ، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العلي (د. ط، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٧٠م) ص ٣٢.

(٨) ابن الفرات، نفسه ، مج ٩، ٢/ ٤٦٣.

(٩) فالتر هنتس، نفسه، ص ٦٣.

(١٠) ابن الفرات، نفسه، ٨/ ٢١١- ٢١٢.

(١١) فالتر هنتس نفسه، ص ٦٤.

(١٢) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٢/ ٣١٢- ٣١٣، ابن قاضي شهبه، تاريخ، ٣/ ٤٣٣، الجزيري، نفسه، ١/٧٦٥ - ٧٦٦.

الأولى ١٠ أمنان أو ١٦٨ ,١٢كغم. والمد[١]، وهو أحد المكاييل المستعملة منذ صدر الإسلام بالمدينة يعادل ربع صاع؛ فالصاع الشرعي يعادل ٤ أمداد[٢]، والحمل[٣] ويستعمل الحمل المصري في حساب الأوزان بمكة والمدينة ويعادل ٣٠٠ رطل = ١٣٥ كغم قمح[٤].

الأسعار

لم تكن أسعار السلع في الحجاز بصفة عامة والمدينة بصفة خاصة مستقرة في العصر المملوكي، بل كانت ترتفع وتنخفض حسب الظروف السياسية والاقتصادية والمناخية. كما كان لارتفاع السلع وانخفاضها في الأقطار المجاورة كمصر والشام واليمن والعراق أثر في هذا التذبذب؛ نظراً لأن كثيراً من السلع تأتي من تلك الأقطار، كما كان للظروف المناخية أثر في الأسعار. حيث تمر البلاد بفترات من الرخاء، وأخرى من الجفاف والقحط، فللأمطار أثر في زيادة الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية ففي سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م هطلت أمطار غزيرة على الحجاز عامة سالت على إثرها الأودية وعم الرخاء سائر الحجاز وقد أشار إلى ذلك ابن الفرات[٥] بقوله «وكان ذلك عاماً بالحجاز الشريف ووصل من نخيلة[٦] تقدير ألف جمل وكسور قمح وشعير وعسل وغيره وكان

(١) القلقشندي، نفسه، ٤/ ٣٠٢ ، الجزيري، نفسه، ٧٦٦/١.

(٢) فالتر هنتس المكايل والأوزان ، ص ٦٣، ٧٤.

(٣) الجزيري، الدرر، ٧٦٦/١ - ٧٦٧.

(٤) فالتر هنتس، نفسه، ص ٢٧.

(٥) تاريخ مج ٩، ٢/ ٣١٢- ٣١٣، وانظر أيضاً ابن قاضي شهبة، تاريخ، ٤٣٣/٣.

(٦) قد يكون المقصود نخيل تصغير نخل على خمسة أميال من المدينة ياقوت، معجم البلدان ٢٧٨/٥، أو نخيل على بعد نيف وستين ميلاً من المدينة وهو الأرجح، الحربي، المناسك، ص ٥٢٠- ٥٢١، الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ٤٠٨ السمهودي، وفاء ، ١٣١٩/٤.

السعر تشحط[1] فحصل بذلك الرخاء بسعادة مولانا السلطان خلد الله ملكه والأسعار، القمح كل ويبة ثمانية عشر والشعير كل ويبة خمسة عشر والدقيق كل ويبة ثمانية عشر» ويستدل من النص السابق أن أسعار تلك السلع كانت عالية، وحينما وصلت تلك الحمول انخفضت الأسعار. وحينما تهطل الأمطار تنخفض الأسعار نظراً لارتواء الأرض ففي سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م أدى سقوط الأمطار إلى رخاء في البادية والحاضرة؛ فكانت الأسعار منخفضة عما كانت عليه في السنة السابقة فرخص اللحم نتيجة لنمو المراعي فأصبح الرطل المصري بأقل من نصف درهم، أما القمح فقد أصبح الصاع منه بـ خمسة عشر درهماً بعد أن كان في السنة السابقة بثلاثين درهماً[2]، وفي سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ذكر أن الرخاء عم مكة والمدينة وغيرهما فرخصت أسعار القمح واللحم[3].

أما حالات الغلاء، فمنها ما حدث سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م حين حدث غلاء شديد؛ فبلغت غرارة القمح بمكة من ألف إلى ألف ومائتي درهم أما غرارة القمح بالمدينة فبلغت ألف درهم، وغرارة الشعير سبعمائة درهم[4]. ويلاحظ هنا، أن أسعار القمح في مكة كانت أعلى منها في المدينة، وربما يرجع ذلك لازدحام مكة، وخاصةً في مواسم الحج والعمرة، ولقرب المدينة من الشام ومناطق زراعة القمح. وقد لاحظ العياشي[5] «أنه ليس بين القمح والشعير

(١) تشحط هو من شحط في السوم إذا أبعد فيه، ويشحط الثمن... أي يبلغ به أقصى القيمة. ابن منظور، لسان العرب، ٢ / ٢٧٧.

(٢) الذهبي، المختار، ٨/ ٢١١- ٢١٢، ابن الفرات، تاريخ، مج٩، ٢/ ٤٦٣.

(٣) البقاعي، إبراهيم بن عمر، إظهار العصر لأسرار أهل العصر، «تاريخ البقاعي»، تحقيق محمد بن سالم ابن شديد العوفي (ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص ٤٦٧.

(٤) ابن الفرات، تاريخ ، ٨/ ٢١١- ٢١٢.

(٥) (القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي) رحلة العياشي، ص ٢٢٤.

تفاوت كبير في السعر في الحجاز، خلافاً للمعهود في غالب البلاد» ولم أجد تفسيراً لهذا التقارب في السعر بين السلعتين، إلا أن يكون الشعير مادة غذائية للإنسان في بعض الأقطار، يصنع منه الخبز مثلاً بخلاف أقطار أخرى تستخدمه للماشية، فيكون سعره منخفضاً كثيراً عن القمح. ولو تتبعنا حالات الرخاء ورخص الأسعار في فترة الدراسة بالمدينة، نجد أنها حدثت أعوام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م[١]، ٧٩٠هـ/١٣٨٨م[٢]، ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م[٣] و٧٩٣هـ/ ١٣٩١م[٤]، ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م[٥]، ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م[٦]، ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م[٧] و٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م[٨]، ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م[٩]، أما الجفاف والغلاء فقد حدث أعوام ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م[١٠]، ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م[١١]، ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م[١٢]، ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م[١٣]، ٧٨٣هـ/ ١٣٨٤م[١٤]، على أننا لا نعلم شيئاً عن

(١) ابن الفرات، تاريخ، ٧/ ٢٦٠- ٢٦١.
(٢) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ١/ ٣٨.
(٣) ابن قاضي شهبه، تاريخ، ٣/ ٣٥٠.
(٤) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٢/ ٢٧٣.
(٥) ابن الفرات، ننفسه، مج ٩، ٢/ ٣١٢- ٣١٣.
(٦) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٢/ ٤٢.
(٧) ابن الفرات، نفسه، مج ٩، ٢/ ٤٧.
(٨) المقريزي، السلوك، ٤/ ١١٥٧.
(٩) البقاعي، اظهار، ص ٣٦٧.
(١٠) ابن الفرات، نفسه، ٨/ ٢١١- ٢١٢.
(١١) العيني، عقد، ٣/ ٣٠١ وقد ذكر أن الغلاء والمجاعة كان شاملاً نتيجة للسيول في مصر والشام والحجاز واليمن.
(١٢) المقريزي، نفسه، ٢/ ٣٧٤.
(١٣) نتيجة للأوبئة والامراض المقريزي، نفسه، ٢/ ٧٩٨.
(١٤) المقريزي، نفسه، ٣/ ٤٦٠، ابن فهد، اتحاف، ٣/ ٣٣٧، الجزيري، الدرر، ١/ ٦٦٩.

السنوات الأخرى محل الدراسة، من حيث مستوى الغلاء والرخاء. إلا أنه بالعودة لما ذكره الجزيري عن أحوال مكة وأسعار السلع بها فترة الدراسة اتضح لدينا أن أعوام الغلاء تفوق كثيراً أعوام الرخاء[1]؛ وهذا يعود لأسباب منها اختلال الأمن، والقحط، وانخفاض أو انقطاع قوافل التجارة في بعض السنوات. وقياساً على ذلك، يمكن القول: إن الحجاز بصفة عامة، قد شهد خلال فترة الدراسة سنوات كثيرة من القحط، وغلاء الأسعار أكثر من سنوات الرخاء، وانخفاض الأسعار.

الأوقاف والصدقات وأثرها في الأحوال الاقتصادية

نظراً للأهمية الدينية لكل من مكة والمدينة، ولقدوم أعداد كبيرة من الحجاج والمعتمرين والزوار لهاتين المدينتين، ولضعف مواردهما الاقتصادية واعتمادهما بشكل أساسي على ما يأتيهما من الخارج، فقد ساهم سلاطين المماليك مساهمة فعالة في معالجة أوضاعهما الاقتصادية، وذلك بتحبيس الأوقاف على الحرمين الشريفين، وصرف ما يرد منها على أهل مكة والمدينة والقادمين إليهما. وكان لتلك الأوقاف أثرها الاقتصادي والاجتماعي، ففيما يخص المدينة وفي سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م «وقف السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر[2]

(١) الجزيري، الدرر: الغلاء أعوام ٦٤٩، ٦٥١، ٦٦٥، ٦٧٦، ٦٨٦، ٦٩٣ ٦٩٥، ٧٢٢، ٧٤٤، ٧٤٧، ٧٤٩، ٧٧٤، ٧٧٦، ٧٨٠، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٩٣، ٧٩٧، ٨٠٥، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٩، ٨٢٢، ٨٢٥، ٨٢٧، ٨٦٣، ٨٨٣، ٨٩٨.

حالات الرخاء أعوام ٦٨٢، ٦٨٤، ٦٩٧، ٧١٦، ٧٢٥ ٧٥٥، ٧٨٧، ٧٩٦، ٨٩٦، ٨٩٨، ٩٠٣.

(٢) السلطان المملوكي الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك الناصر محمد تولى السلطة بين (٧٤٣- ٧٤٦ هـ/ ١٣٤٢- ١٣٤٥م) المقريزي، السلوك، ٢/٦١٩- ٦٧٧، ابن دقماق، إبراهيم بن محمد، الانتصار لواسطة عقد الامصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي (د. ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت د. ت) جـ ٥ ق ٢ ص ٤٩.

ثلثي ناحية سندبيس من القليوبية بمصر على ستة عشر خادماً لخدمة الضريح الشريف النبوي»[1].

وقد أوردت المصادر[2] أنه «في عشر الستين وسبعمائة اشترى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد قرية من بيت مال المسلمين بمصر وقفها على كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة وعلى كسوة الحجرة المطهرة والمنبر في كل خمس سنين مرة وقيل في كل ست سنين مرة».

أما الصدقات فقد شمل سلاطين المماليك أهل المدينة برعايتهم. فقد أمر السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بأن يحمل إلى المدينة في كل سنة مائتي أردب غلة[3].

وفي سنة ٨٨٤ هـ/ ١٤٨٠م وبعد عودة السلطان المملوكي قايتباي من المدينة إلى مصر بعد أدائه فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي شرع في شراء أماكن وجعلها وقفاً ليحمل ريعها إلى المدينة ليفرق منه على أهلها ويعمل منه سماط، وكان يحمل إلى المدينة من مصر كل سنة سبعة آلاف إردب[4] من الحب، كما شرع القائمون على عمارة المسجد النبوي ببناء رباط ومدرسة للسلطان قايتباي، ورباط آخر مكان رباط الحصن العتيق وحمام وسبيل وفرن وطاحون ومطبخ

---

(١) المقريزي، نفسه، ٢/ ٦٣٣، ابن تغري بردي، النجوم، ١٠/ ٨٥.

(٢) الفاسي، شفاء، ١/ ١٢٣، السخاوي، التحفة ، ١/ ٣١٩- ٣٢٠ السمهودي، وفاء، ٢/ ٥٨٤، النابلسي، الرحلة، ص ٣٤٨، وقد يكون المقصود بذلك السلطان الناصر حسن الذي تولى السلطنة بين (٧٨٤هـ- ٧٥٢هـ/ ١٣٤٧- ١٣٥١م) و (٧٥٥- ٧٦٢هـ/ ١٣٥٤- ١٣٦١م) ستانلي لين بول الدول الإسلامية، ٢/ ١٧٣.

(٣) ابن عبد الظاهر، الروض، ص ٣٥٢- ٣٥٣.

(٤) الإردب مكيال مصري للحنطة يتألف من ٦ ويبات كل ويبة ٨ أقداح كبيرة او ١٦ قدحاً صغيراً فالتر هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٥٨.

ووكالة ذات حواصل بعد أن تم شـراء عدة دور بالمدينة وهدمها[1]. كما ساهم بعض الأمراء المماليك بنصيب في تلك الأوقاف ففي سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م قام الأمير شيخ نائب السلطنة المملوكية في الشام بإيقاف جميع أملاكه على ذريته وعلى جهات بر، منها «مائتا قميص تحمل في كل سنة إلى مكة والمدينة، مربوط على كل قميص عشرة دراهم فضة، تفرق في الفقراء. ومنها مبلغ لمن يطوف عنه كل يوم، أسبوعاً، ومنها عشرة أيتام، في كل من الحرمين، ومؤدب يقرئهم القرآن»[2]. أما الصدقات فهي كثيرة وقد ساهمت إلى حد كبير في التخفيف من موجة الغلاء والقحط والمجاعات التي أصابت مكة والمدينة خلال العصر المملوكي. ففي سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م تصدق أمير العرب في بلاد الشام على أهل مكة والمدينة والمجاورين بهما[3].

وفي سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م تصدق نائب السلطنة بالقاهرة سيف الدين أرغون (الدوادار) الناصري بصدقات كثيرة بمكة والمدينة[4].

وفي سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥م وصلت إلى مصر الأخبار بوقوع موجة من الغلاء بالحجار، فلما سمع بذلك الأتابكي يلبغا العمري أرسل إلى مكة اثني عشر ألف أردباً من القمح، فتم تفريقها على الفقراء والمساكين بمكة والمدينة[5]. وفي سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م أرسل الأمير جركس الخليلي قمحاً كثيراً إلى الحرمين الشريفين ليعمل منه كل يوم خمسمائة رغيف لمكة ومثلها للمدينة فكان

(١) السخاوي، التحفة ،٣/٤١١، السمهودي، وفاء، ٢/٦٤٤، ٧١٤- ٧١٥.

(٢) ابن إياس، بدائع ، ١/٧١٨، المقصود الطواف سبعة أشواط في اليوم .

(٣) الجزيري، الدرر، ١/٦١٣.

(٤) الجزيري، الدرر، ١/٦٢٢.

(٥) ابن إياس، بدائع ، جـ ١ ق ٢ ص ١٦- ١٧.

لذلك أثر طيب في نفوس أهل المدينتين والقادمين إليهما[1].

وفي سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م عـزم جماعـة من أهل دمشق على التـوجه إلى الحجاز، فأرسل مـعهم نائب السلطان في دمشق قمحاً ليفـرق هناك، فقصدوا المدينة أولاً، ثم اتجهوا إلى مكة[2]. كما ساهم أمراء الحج بنصيب في التخفيف من موجات الغلاء والتصدق على الفـقراء والمساكين في مكة والمدينة؛ فقد ذكر أنه في سنتي ٦٩٩-٧٠٠هـ/ ١٢٩٩-١٣٠٠م كان أمير الحاج بكتمر الجوكندار «قد أنفق في حجه ثمانين ألف دينار، وجهز لجـدة مراكب مشحونة بالأطعمة الأزواد من جميع الحـبوب وغيرها من الحلويات، والأعـسال والزيت، والسكر وما يحتاج إليه الحاج في الأسفار، وجـهز للينبوع أيضاً ثلاث مراكب مشحونة بما ذكر، ونادى مناديه: من كان محتاج لشيء ليحضر، وكل من حضر وطلب شيئـاً أعطاه، وفرق على من حضر وعلى من لم يحضـر حتى عم أهل الينبوع وأهل الحرمين خيره وإحسانه ملأ وطعاماً وإداماً وغير ذلك[3]».

وسيجد القـارئ، أن شريحة الأوقاف والصدقات وغـيرها، ستنعكس على الحياة الاجتماعية لفئات السكان انعكاسات إيجابية.

(١) المقريزي، السلوك، ٣/٥٣٦، ابن فهد، إتحاف، ٣/٣٤٨، الصيرفي، نزهة، ١/١٢٢.

(٢) ابن قاضي شُهبه، تاريخ، ص ٨٣.

(٣) ابن تغري بردي النجوم، ٨/١٤٦، الرشيدي، أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد (د. ط، مكتبة الخانجي مصر ١٩٨٠م) ص ١٢٨، د. أحمد عدوان، المماليك وعلاقاتهم الخارجية، ص ١٥١.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

أولاً : السكان

أ- عناصر السكان

ب- الأصول الاجتماعية لسكان المدينة

جـ - العلاقات بين العناصر المختلفة في المجتمع المدني.

ثانياً: السكن

ثالثاً: الأطعمة

رابعاً: اللباس

خامساً: العادات والتقاليد

سادساً: المصاهرات

أولاً : السكان

أ- عناصر السكان

استقطبت المدينة عبر تاريخها عناصر سكانية متعددة من داخل الجزيرة وخارجها. وقد وضح ذلك في العصر المملوكي حيث إن مجتمع المدينة كان يتكون من عناصر متمايزة هي:

١- الأشراف :

ومن بينهم الطبقة الحاكمة، وهم من بني مهنا الحسينيين[١]، وقد سكنت تلك الفئات المدينة وما حولها، وسكن بعضها ناحية من المدينة، وانعزل عن بقية السكان[٢]. كما اختلط البعض الآخر بالشرائح الاجتماعية الأخرى في المدينة.

فمن فئات الأشراف في العصر المملوكي.

أ- آل منصور: ينسبون إلى منصور بن جماز الذي حكم المدينة سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م[٣]، وقد سكنوا في البلاط[٤].

ب- المنايفة: سكنوا بالقرب من المدرسة الشهابية الملاصقة للمسجد النبوي[٥].

---

(١) حول بني مهنا أمراء المدينة انظر الفصل الأول الأوضاع السياسية.

(٢) ابن شدقم، نخبة، ورقه ٢ ل أ- ب، أحمد بن محمد البرادعي، الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية (ط٢، د. م، بيروت ١٣٩٤هـ) ص ٥٩- ٧٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٤ ل أ، ١٠٥ ل أ- ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٣٦ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٧٥.

(٤) البلاط «موضع بالمدينة بين المسجد المقدس وسوق البلد، وهو مبلط بالحجارة، ويقال : هو الخط الممتد من سوق العطارين إلى أبيات الأشراف الحسينيين، ولاة المدينة اليوم» الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص ٦٤، وانظر، المراغي، تحقيق، ص ١٧٧.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٤ل .

جـ - المداعبة: سكنت هذه الفئة في حارة الخدام القريبة من المسجد النبوي، وخالطت نتيجة لذلك خدام الحرم، ولذا يعتقد أن علاقتهم بالخدام كانت طيبة[1].

د- البدور: ينسبون إلى بدر بن فايد بن علي بن الحسين بن القاسم، وينتهي نسبهم إلى علي بن الحسين بن علي، وقد سكنت فيما يسمى بحوش الحسن وما حوله[2].

هـ - الوحاحدة[3]: استقرت في السويقة[4] - وهو موضع قرب المدينة[5] - وما حولها، ومن زعاماتهم سلطان بن نجاد[6].

٢- الجماعات والأسر القديمة بالمدينة ومنها:

أ- الأنصار : وهم أهل المدينة الأصليون من الأوس والخزرج، وقد خرجت أعداد منهم إلى الأمصار الإسلامية أثناء حركة الفتح[7] وبعدها وبقيت منهم

(١) ابن فرحون، نفسه ورقه ٨٤ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نفسه ورقة ٨٤ ل ب

(٣) الوحاحدة، نسبة إلى عبد الواحد بن مالك بن حسين بن المهنا الأكبر بن داود، السخاوي، **التحفة**، ١٦٧/٢، ابن شدقم، نخبة، ورقة ٢ ل ب، أحمد البرادعي، الدرر، ص ٦١.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٤ ل ب .

(٥) ذكر البكري، «أنها على مقربة من المدينة، وبها كانت منازل بني حسن بن حسن بن علي»، **معجم ما استعجم**، ٧٦٧/٣، أما الفيروز آبادي فذكر أنها «موضع قرب المدينة، يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه» المغانم (ط) ص ١٩١، وعنه نقل السمهودي، وفاء، ١٢٣٩/٤.

(٦) ابن فرحون، نفسه ورقة ٨٨ ل أ، أما السخاوي، نفسه، ١٦٧/٢ فذكر أن اسمه سلطان بن محارد.

(٧) انظر في خروج الأنصار إلى الأمصار، ابن قدامه، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار، تحقيق علي نويهض (د. ط، دار الفكر، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م) ص ٣٣، ٣٤، ٥٤، ٥٥، ٧٢، ٩٧، ٩٨، ١٠٤ ١٨٨، ١٩٠، ٢٠٠.

بقيـة في المدينة يسكنون في حارة عـرفت باسمـهم، غير أنهم اخـتلطوا ببقـية السكان وصاهروهم، ومن ذريتهم في العصر المملوكي جـماعة يسمون الحذاة، منهم عبد الله الحاذي[1].

ب- جماعة من البكريين[2]، ينتسبون إلى الخليـفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه «يسمـون بالخلفاء. . . ارتحل بعـضهم إلى مصـر فأقامـوا بها وتناسلوا فيها» ومنهم في المدينة رجل يقال له جمال[3].

جـ - جمـاعة من العمـريين ينتسـبون إلى عمـر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني، وكانوا «جماعة كثـيرة لهم شوكة وحرمة وحكمة نافذة، وكانوا أهل حشمة وخيل وعبـيد وأتباع ولهم بالمدينة أملاك عظيمة»[4] ومن زعمائهم علي بن مطرف «كان يجلس وعن يمينه ويساره أكابر العـمريين، وشيوخهم»[5] والحسن بن يعلى العـمري[6]، وعلي بن مـعلى القرشي ، العـمري[7]. ومن أفراد الأسرة أحمد بن علي العمري[8]. وابنه الحسين[9].

(1) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٨ل ب، ٧٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٤٠.

(2) ابن فرحون، نفسه، ورقه ٧٨ ل أ.

(3) خلف المذكـور ابنة «اسمهـا سيـدة قريش. عمـرت وتزوجت عدة أزواج، ورزقت أولاداً وأحـفاداً» السخاوي، نفسه، ١/ ٤٢٩.

(4) ابن فرحون، نفسه، ورقه ٧٨ل ب، السخاوي، نفسه، ٣/ ٢٦٢.

(5) ذكر ابن فرحون، أنه قتل مخنوقاً سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م، نصيحة ورقه ٧٨ ل ب.

(6) مقرئ وفقيه حنفي توفي سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦م ابن فرحون، نفسه، ورقه ٧٨ل ب، السخاوي، التحفة، ١/ ٤٩٩.

(7) السخاوي، نفسه، ٣/ ٢٦٣.

(8) السخاوي، نفسه، ١/ ٢٠٩.

(9) السخاوي، نفسه، ١/ ٥٠٣.

٣- المجاورون :

وهم من أكبر شرائح مجتمع المدينة والتسمية مأخوذة من الجوار، والمجاورة[١]، وتعني البقاء في مكة والمدينة بجوار الحرمين، لفترة غير محدودة تنتهي بخروجه من إحدى هاتين المدينتين أو بالوفاة[٢]. وقد شهدت هاتان المدينتان المقدستان قدوم أعداد كبيرة من المجاورين إليها. وخاصةً من مصر والشام والعراق والمغرب واليمن والهند، وفارس، وبلاد ما وراء النهر.

ومن بين المجاورين علماء، وطلبة علم، وأصحاب حرف ومهن مختلفة، وأرباب الوظائف، كالأئمة والقضاة المعينين من قبل السلطة المركزية. ومن الجماعات التي وفدت إلى المدينة واستقرت بها:

أ- أسرة القيشاني: وهم رؤساء الشيعة الإمامية الاثني عشرية. ويذكر ابن فرحون[٣] أن المدينة لم يكن بها من يعرف مذهب الإمامية الاثني عشرية حتى جاء القيشانيون من العراق. وكانوا أهل مال عظيم استطاعوا به تأليف قلوب النَّاسِ لمذهبهم حتى ظهر وكثر المشتغلون به غير أن ابن فرحون لم يحدد الفترة التي قدمت فيها أسرة القيشاني إلى المدينة.

ب- جماعة السلاميين[٤]: التي قدمت من العراق في زمن غير معروف، ويعتقد أن عددهم كان كبيراً في المدينة، غير أن أوضاعهم الاقتصادية لم تكن

(١) ابن منظور، لسان، ١/ ٥٣٠.

(٢) ابن منظور، لسان ١/ ٥٣١، منى المشاري، المجاورون في مكة والمدينة في العصر المملوكي (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك سعود، كلية الآداب/ قسم التاريخ، الرياض ١٤٠٩هـ) ص ٣٣.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ل ب .

(٤) نسبة إلى السلامية قرية كبيرة بنواحي الموصل شرقي دجله ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٢٣٤ .

جيـدة؛ بدليل أن أحد أعيـانهم من المجاورين ويدعى صــفي الدين أبو بكر بن احمد السلامي، قد أوقف على قـرابته من السلاميين الموجودين بالمدينة رباطين أحدهما للرجـال، والآخر للنساء[1]. ومن الأسر المكية التي اسـتوطنت المدينة عائلة مشكور المنتسبة إلى قريش، وأسرة الشكليين[2].

جـ - ومن العناصـر المهمـة الوافدة إلى المدينة، خـدام الحرم النبـوي الذين يشرفـون على خدمـة الحجـرة الشريفـة، وهم من أجناس مخـتلفة لهـم شيخ يأتمرون بأمره[3].

د - يضـاف إلى ذلك، بعض سـكان المدينة من أصـحـاب الحـرف والمهن المختلفة وخاصة ممن يمتهن الزراعة ويعرفون بالنخاولة[4]. والخيابرة[5] وهم فئة قدمت من خيبر وربما اشتغل بعض أفرادها بالزراعة وممارسة بعض الحرف .

ب - الأصول الاجتماعية لسكان المدينة

تعود أصول العناصـر السكانية المكونة لمجتمع المدينة ـ إضـافة لسكان المدينة الاصليين ـ لعدة بلدان وأقطار من ديار الإسلام، قدمت خـلال عصور إسلامية مـختلفـة. فمنذ هجـرته عليه الصـلاة والسـلام من مكة إلى المدينة، نزح إلى عاصمة الدولـة الإسلامية أعداد من أفراد القبـائل العربية[6]، كما قدمت إليها

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٥ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم، (خ)، ورقة ٢٣٢ ل ب، السـمهودي، وفاء، ٢/ ٦٩٤.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٧ ل ب، ٧٨ ل أ.

(٣) ابن جبير، الرحلة، ص ١٧١ .

(٤) العياشي، الرحلة، ص ١٧٦، أحمد السباعي، تاريخ، ١/ ٩٤- ٩٥.

(٥) سبق ذكرهم في النشاط التجاري ص ٩٦ .

(٦) ابن سعد، الطبقات، ٣/ ٣٣٨، ٣٩٣، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٣.

بعد الفتوحات الإسلامية في العهد الراشدي عناصر أخرى من أجناس مختلفة[1]. غير أن هذا الزخم ما لبث أن خف كثيراً بعد انتقال عاصمة الخلافة إلى دمشق، ثم إلى بغداد. أما في العصر المملوكي فنظراً لقرب المدينة من مقر السلطة المركزية في القاهرة، ونظراً لتبعية الحجاز للسلطنة المملوكية، فقد كان هناك اهتمام متزايد بمكة والمدينة، نظراً لأن المماليك كانوا يستمدون شرعيتهم من إشرافهم على الحرمين الشريفين[2]، والدعاء لسلاطينهم على المنابر[3]. لهذا اهتم سلاطين المماليك برعاية الحرمين الشريفين، وإعمارهما، وإنشاء المرافق المختلفة في المشاعر المقدسة. كما أرسلوا القضاة والأئمة والخطباء إلى المدينة من مقر السلطنة المملوكية[4]، ووفد إليها أيضاً عدد آخر من أرباب الوظائف والمهن ممن عمل في المسجد النبوي، إضافة إلى من قدم إليها من العلماء وطلبة العلم. وفي محاولة لإلقاء نظرة على أصول سكان المدينة، فقد رأيت الاعتماد على كتاب السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة بأجزائه الثلاثة، الذي يحوي تراجم لأشخاص منذ العهد النبوي حتى وفاة المؤلف سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م. ونظراً لنقص الكتاب بفقدان الجزء الأخير منه، فقد حاولت سد ذلك النقص بالاعتماد على كتابه الآخر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع في أجزائه الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر.

(١) الطبري، تاريخ، ٣/ ٣٨٥.

(٢) علي السليمان، العلاقات، ص ٢٣.

(٣) أقر أمراء المدينة من الأشراف بشرعية المماليك سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م انظر المقريزي، السلوك، ١/ ٥٥٨.

(٤) بدأت السلطنة المملوكية بإرسال خطيب للمسجد النبوي من أهل السنة سنة ٦٨٢ هـ/ ١٢٨٣م وهو سراج الدين عمر بن أحمد السويداوي الشافعي، ثم أضيف إليه القضاء، انظر: السخاوي، التحفة ٣/ ٣١٢- ٣١٧.

وقد سلكت في تحديد أصول سكان المدينة تنظيماً قائماً على التقسيم حسب البلدان التي قدموا منها دون ذكر للمدن أو القرى نظراً لكثرتها، وانضوائها ضمن تلك الأقاليم الكبيرة. فمثلاً؛ من قدم من كازرون، زرند، الري، شيراز، أصفهان قزوين، تستر، يدخل ضمن بلاد فارس، ومن قدم من فاس، تلمسان، قسنطينة، تونس، القيروان يدخل ضمن بلاد المغرب وهكذا. أما من ينتهي اسمه بالمدني ولم أجد له نسبة أخرى من كتابي السخاوي التحفة، والضوء أو كتب الأنساب الأخرى فقد نسبته للمدينة. أما الأشخاص الذين لم يذكر لهم نسبة، فقد وضعتهم في خانة غير محدد، وأغلب هؤلاء من خدام الحرم النبوي والحجرة النبوية، وبعضهم من طلبة العلم، والبعض الآخر من أهل الحرف. ومن الطبيعي أن هذه الإحصائية غير شاملة لكل سكان المدينة خلال فترة الدراسة، نظراً لأن السخاوي لم يترجم لمن لم يصل إليه علمه من أهلها أو ممن ليس له شهرة علمية أو مهنية.

غير أن تلك التراجم تعطينا مؤشراً لأصول ونسبة العناصر المكونة للمجتمع المدني، وتوضح الإحصائية أن عدد المترجم لهم ١١١٥ يأتي المدنيون على رأس القائمة وعددهم ٢٢١ أي بنسبة ٢٠٪ تقريباً، وهو أمر طبيعي لوجود هذه النسبة لسكان البلاد، رغم أن هذه النسبة قد ترتفع، لو شملت التراجم الكثير من أصحاب الحرف والمهن، وخاصةً في الزراعة، حيث يشتغل بها بعض أهل المدينة. وفي المرتبة الثانية تأتي العناصر التي قدمت من مصر وعددهم ١٧٤ أي بنسبة ١٦٪ تقريباً ، وهناك عوامل عديدة لارتفاع هذه النسبة؛ منها وجود السلطة المركزية بمصر التي أرسلت أعداداً كبيرة من رجالاتها لتولي الوظائف المختلفة في المدينة، كما أن لعامل القرب المكاني أثره في جذب أعداد كبيرة من

المصريين. وفي المرتبة الثالثة العناصر التي قدمت من فارس، وعددهم ١٥٦ أي بنسبة ١٤٪ ، وربما تعود كثرة من قدم إلى المدينة من بلاد فارس إلى رسوخ المذهب الشافعي في المدينة، مما أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من بلاد فارس حيث يسود المذهب الشافعي، إما لتلقي العلم أو لتولي بعض الوظائف بالمدينة. وفي المرتبة الرابعة المغاربة وعددهم ١٤٨ أي بنسبة ١٣٪ تقريباً وأغلبهم من طلبة العلم، وقد أدى انتشار المذهب المالكي أوائل العصر المملوكي، إلى جذب أعداد كبيرة من المغاربة حيث يسود المذهب المالكي بلاد المغرب. وفي المرتبة الخامسة عناصر غير محددة الأصل وعددهم ١١١ أي بنسبة ١٠٪ تقريباً، ولم أجد لهؤلاء نسبة واضحة، سواء إلى المدينة أو لغيرها من البلدان، غير أن هؤلاء بطبيعة الحال ينتمون إلى بلدان مختلفة ويحتمل أن بعضهم من أهل المدينة وتشكل العناصر التي قدمت من الشام المرتبة السادسة وعددهم ٨٨ أي بنسبة ٨٪، ورغم قرب الشام من المدينة، فلم يفد إليها سوى أعداد قليلة قياساً بالعناصر السابقة، ويبدو أن ذلك راجع في جزء منه لرسوخ الحركة العلمية في الشام وتعدد المذاهب بها. يأتي بعد ذلك الأفارقة الذين ينحصرون في الزيالعة في ممالك الطراز الإسلامي شرق الحبشة، والأحباش في بلاد الحبشة والتكرور جنوب بلاد المغرب وعددهم ٤٤ أي بنسبة ٤٪ تقريباً وأغلبهم من طلبة العلم وخدام الحجرة النبوية. يليهم عناصر قدمت من مكة وعددهم ٤٣ أي بنسبة ٤٪ تقريباً وأغلبهم من أصحاب المهن: مثل أسر بني مشكور والشكليين وغيرهم. ومن اليمن كان عدد الوافدين إلى المدينة منها ٣٠ أي بنسبة ٣٪ تقريباً. ومن العراق قدم ٢٩ أي بنسبة ٣٪، ونلاحظ أنه رغم سقوط بغداد في يد المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. وهجرة أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم منها فلم يكن للمدينة نصيب كبير من تلك الهجرة بل فضل هؤلاء

الهجـرة إلى الشام ومصـر حيث رحـبت بهم السلطنة المملوكيـة، وقدمت لهم الرعاية. ثم يأتي بعدهـم الأندلسيون وعددهم ٢٦ أي بنسبـة ٢٪ تقريباً، ومن المعلوم أنه بعـد سـقـوط المدن الإسـلامـيـة الزاهرة مـثل سـرقـسطة والمرية، وطرطوشـة، وقرطبة، وبـلنسيـة، وإشبيلـية خلال القـرنين السادس والـسابع الهـجـريين، نزح قـسم من سكانهـا المسلمين إلى غـرناطة وبلاد المغـرب[1]، وانحصر الـنفوذ الإسلامي بعد ذلك في غـرناطة جنوب الأندلس لهذا نلاحظ قلة من قدم إلى المـدينة من بلاد الأندلس، في العصر المـلوكي. ومن بلاد ما وراء النهر قـدم ٢٦ أي بنسبـة ٢٪ أيضاً وأغلبـهم من خجندة وسمـرقند وبلاد التركمـان. ومن بلاد الروم والقرم وفد ١١ أي بنسـبة ١٪ تقريباً كـما جاء إلى المدينة من الهند ٨ أي أقل من ١٪ تقريباً.

جـ - العلاقات بين العناصر المختلفة في المجتمع المدني :

عندما نتحـدث عن الحياة الاجتـماعية في المدينة، يتبـادر إلى أذهاننا تساؤل عن طبيعة العلاقات بين الفئات المخـتلفة، التي تكون مجتمع المدينة، وما مدى انسجـامها مع بعـضها أو تمايزها؟ وفي الإجـابة على هذا السؤال، لابد من أن نتـحدث أولاً: عن نمط العـلاقات بين أمـراء المدينة من الأشـراف من جهـة، والمجاورين من جهة. لقد تميزت العلاقة بين الطرفين بعدم الاستقرار، غير أنها كانت فاترة أو سيئة في معظم الفترات؛ نتـيجة مضايقة أمراء المدينة للمجاورين

(١) سـقطت سـرقـسطة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م، والمرية ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، وطرطوشـة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، وقرطبة ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م، وبلنسية ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م، وإشبيلية ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، انظر: المقري، لسان الدين ابن الخطيب محـمد بن عبد الله، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عبـاس، جـ١، (د. ط، د. ن، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ص ٤٦٢- ٤٦٣، عبـد الرحمن علي الحجي، **التاريخ الأندلسي** (ط٢، دار القلم، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م) ص ٤٤٠، ٤٧٢، ٤٧٣.

وفرض الضرائب عليهم ومصادرة أموالهم في بعض الأحيان؛ كما حصل من قبل الأمير منصور بن جماز[١] الذي تولى الإمارة سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م. حيث طلب الأموال من الخدام، فطلب من كل واحد ألف درهم فرفضوا، وأيدهم المجاورون في ذلك. ومارس نفس السياسة أمراء آخرون، من بينهم مانع بن علي بن مسعود بن جماز الذي طلب الأموال من أهل المدينة والمجاورين والخدام[٢]، وعز الدين جماز بن منصور بن شيحة، كما قام الأشراف في فترات مختلفة بمحاولات نهب المدينة واقتسام أموال أهلها، فتصدى لهم المجاورون والخدام ومنعوهم من ذلك[٣].

في مقابل هذه العلاقة السيئة في معظم الأحيان بين أمراء المدينة والمجاورين، نرى صورة أخرى لعلاقة طيبة بين بعض أمراء المدينة وأهلها ومنها ما ذكرته بعض المصادر عن سعد بن ثابت - الذي تسلم إمارة المدينة سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م فقد وصفه ابن فرحون بأنه كان «محبباً إلى الرعية عالي الهمة كامل السؤود جم المناقب يوالي المجاورين ويحسن إليهم ويقبل شفاعتهم ووالانا بأحسن الموالاة ونصرنا في مواطن عديدة»[٤] وكان على عكس أسلافه من أمراء المدينة ناصراً للسنة قامعاً للبدعة[٥].

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٥ ل ب، الفيروز آبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٣٦ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٠ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٣٨ ل أ، القلقشندي، صبح، ٢٠١/٤، السخاوي، التحفة، ٤٢٦/١- ٤٢٧.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ- ب.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٩ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٢٦.

(٥) ابن حجر، الدرر، ٢/ ٢٢٨.

وفي مواجهة هذه العلاقة المتقلبة بين أمراء المدينة والمجاورين، نرى صورة مشرقة لعلاقة وطيدة بين المجاورين وخدام الحجرة النبوية، فقد ارتبط الخدام بعلاقة حسنة مع كافة سكان المدينة، وكان لشيوخهم فضل كبير في مساعدة السكان والإحسان إلى المجاورين خاصة، فعزيز الدولة العزيزي شيخ الخدام(١) كان كما يذكر ابن فرحون(٢) «كثير الخير أوقف من النخيل شيئاً وحرر من الأرقاء جمعاً غفيراً». أما ظهير الدين، مختار الأشرفي، فقد قويت في عهده شوكة المجاورين والخدام في مواجهة الأشراف(٣) لقد وقف المجاورون والخدام صفاً واحداً في وجه تسلط الأشراف فكانت «كلمتهم واحدة يهم كبيرهم ما يهم صغيرهم ويقومون لقيام ضعيفهم»(٤).

أما وزراء الأشراف المعروفون بالرؤساء فكانوا على علاقة طيبة مع المجاورين «يوالونهم ويخدمونهم ويتقربون إلى خواطرهم بقضاء الحوايج والهدايا والطرف مع حسن الاعتقاد فيهم والتماس بركتهم وأدعيتهم»(٥). ومن هؤلاء الوزراء علي بن الصيفي الذي تمتع بتقدير ومحبة كل من المجاورين وأمراء المدينة على السواء(٦)، ونور الدين علي بن يحيى وزير الأمير منصور الذي بنى رباطاً وسقاية، وكان على علاقة طيبة بالمجاورين والخدام، يهتم بهم ويساعدهم، وكان له دور في القضاء على الفتنة التي أشعلها بعض الأشراف في المدينة في محاولة لنهبها(٧).

(١) (توفي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٥ ل ب .

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٥ ل ب، وانظر: الفيروزآبادي، نفسه (خ) ورقة ٢٥١ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٦ ل أ.

(٤) (توفي سنة ٧٢٣هـ/ ١٤٢٣م)، ابن فرحون، نفسه ورقة ٨٤ ل ب .

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٤ ل ب.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل ب.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٦٧.

وعز الدين حسن بن علي بن سنجر المكي، ثم المدني، الذي منع الأمير طفيل بن منصور أمير المدينة من أخذ تمر المارستان، الذي طلبه الأعراب، واتصف كما يقول ابن حجر[١] بأنه «كان عاقلاً حسن السياسة كثير الموالاة للمجاورين».

أما العلاقة بين أمراء المدينة من الأشراف، وخدام الحجرة النبوية، فقد اتصفت على وجه العموم بالتوتر والسوء؛ رغم أن بعض الأشراف من غير الأمراء ارتبط بعلاقة طيبة مع الخدام؛ بل جاوروهم في المسكن كما هو الحال بالنسبة للأشراف المداعبة الذين سكنوا في حارة الخدام وخالطوهم[٢]. أما عن علاقة المجاورين بعضهم بالبعض الآخر فقد كانت قوية في مجملها[٣].

وإذا انتقلنا إلى علاقة المجاورين بالشيعة الإمامية نجدها غير مستقرة، فقد كان القضاء والخطابة بيد آل سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسيني منذ استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م[٤]. غير أن الأوضاع تغيرت في العصر المملوكي فابتداء من سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م أخذ منهم القضاء والخطابة واستمروا قضاة على أتباعهم[٥].

وفي أواخر القرن السابع واوائل القرن الثامن الهجريين، كانت علاقة الشيعة بالمجاورين طيبة، فقد ذكر أن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة «كان يخطب على المنبر، ويترضى عن الصحابة ثم يذهب إلى بيته فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه

(١) الدرر، ٢/ ١٠٨، وانظر السخاوي، نفسه ١/ ٤٨٤.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل أ -ب، ٤١ ل ب.

(٤) القلقشندي، مآثر، ١/ ٣٠٧.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل أ - ب، ورقة ٨٨ ل أ الأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم، طبقات الشافعية، تحقيق عبد الله الجبوري، جـ ٢ (د. ط، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٧٢، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٢.

ويتصدق به»[1] وهذا فيما يبدو جزء من عقيدة التقية لدى الشيعة الإمامية. كما عـرف عن القاضي الإمـامي نجم الدين مـهنا بن سنان أنه كـان «يتحـبب إلى المجاورين ويمدحهم بالفضـايل الحسنة ويستقضيهم الحوايج ويحـضر مواعيدهم ومجـالس الحديث»[2] غيـر أن الشـيعة فـي بدء تولي أهل السنة القضـاء سنة ٦٨٢هـ ١٢٨٣م «كـانوا يؤذون أهل السـنة كـثيـراً لـغلبـة الرفض على أمـراء المدينة»[3] ومن ذلك يتـضح مـدى التـوافـق بين أمـراء المدينة والشـيـعـة في اضطهادهم لأهل السنة.

ثانياً: السكن:

نظراً لتعـذر الحصول عـلى معلومات كـافية عن أوضـاع السكن في المدينة خلال العصر المملوكي لقلة المصادر التي تحـدثت عن هذا الموضوع، فقد ركزت حديثي على العناصر الوافدة، أو ما يسمى بالمجاورين، وخاصةً العلماء، وطلبة العلم، من خلال كونها شريحة اجتماعية تعبر عن باقي شرائح المجتمع.

إن هذه الفئة من السكان، تنتمي إلى أجناس مختلفة، قدمت إلى المدينة في عصور تاريخية متعددة. ويطلق على الجيل الأول الوافد إلى المدينة المجاورون، أما الجيل الثاني الذين ولدوا ونشأوا في المدينة، فيطلق عليهم في بعض الأحيان أبناء المجاورين. ونظراً لطبيـعة التكوين الاجتماعي والعـلمي للعناصر الوافدة، فقد استقر مـعظمها حول المسجد النبوي خاصة أن أغلبـها من الفئات المتوسطة

(١) هو القاضي سنان بـن عبد الوهاب بن نميله بن مـحمد بن إبراهيم بـن عبد الوهاب بن مـهنا قاضي المدينة كان موجوداً سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، السخاوي، نفسه، ٢/١٩٦.

(٢) مهنا بـن سنان بن عبد الـوهاب بن نميلة الحسيني الإمامي المدني قـاضي المدينة توفي سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، ابن فرحون، نفـسه، ورقة ٨٨ ل أ - ب، ابن حـجر، نفسه، ٣/٢٢٤- ٢٢٥، ولعل المقصود بمواعيدهم مناسباتهم الدينية كالعيدين ويوم المولد النبوي.

(٣) ابن حجر، نفسه، ٣/ ٢٢٥.

الدخل أو الفقيرة، حيث سكنت الأربطة والمدارس لعدم قدرتها على الشراء أو الكراء. أما الفئات الأفضل حالاً، فقد سكنت منازل، إما بطريق الشراء كما فعل عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عبدالرحمن الظاهري، ثم الأزهري الشافعي نزيل مكة ثم المدينة، الذي تحول من مكة إلى المدينة سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م وقام بشراء دار من عبد الكافي النفطي بثلاثمائة وخمسين ديناراً، وكان البائع قد عجز عن إكمالها(١). ومن الذين سكنوا الدور الشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد بن فرحون، وكان يجاوره شمس الدين محمد بن يوسف الحليمي(٢)، وسراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن يوسف الزرندي(٣). كما سكن بالكراء شمس الدين الخجندي(٤) وفي النصف الثاني من القرن الثامن الهجري سكن الدار المعروفة بدار تميم الداري «رجل إمامي من حلب له ثروة ورياسة»(٥).

كان بعض العلماء وطلبة العلم يسكنون حين قدومهم إلى المدينة في منزل احد أقاربهم أو معارفهم، ريثما يجدون سكناً ينتقلون إليه، ومن هؤلاء أبو هادي الذي جاور بالمدينة سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م ونزل عند الشيخ عبد الله بن محمد ابن فرحون الذي أسكنه الطابق السفلي من منزله(٦)، كما سكن أبو العباس

(١) السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٩٢.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧١ ل ب، ورقة ٧٢ل أ.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٠ ل أ.

(٤) كان المذكور من أكابر المجاورين ممن كان يسكن الدور بالكراء خوفاً من مساكنة أهل الرباط، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٠ ل أ.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٩ ل ب.

(٦) يقول ابن فرحون، كان مسكني يشرف على مسكنه، ويتضح من ذلك أن بعض دور المدينة في ذلك العصر كان يتكون من طابقين، نفسه، ورقة ٧٤ ل ب.

أحمد بن محمد التلمساني وابنه منزل ابن فرحون السابق الذكر لبعض الوقت، ثم انتقلا لرباط دكاله، وبعد ذلك اشترى أبو العباس نصف دويرة[1] وسكنها[2]. وتعددت أحياء المدينة التي سكنها هؤلاء وغيرهم خلال العصر المملوكي، ومنها الحصن العتيق وهو أحد أحياء المدينة القريبة من الحرم، وقد سكنه أمراء المدينة وبعض أشرافها، كما سكنه بعض العلماء وطلبة العلم ومنهم محمد الهروي أو الهوري الذي سكنه عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م وكان المذكور يتصدق بالتمر على الناس[3].

أما خدام الحرم النبوي، فقد سكنوا في حارة عرفت باسمهم وشاركهم في سكنها بعض الشرائح الاجتماعية الأخرى، ومن بينهم بعض الأشراف والمجاورين[4]. غير أن بعضاً من الشرائح الاجتماعية وخاصةً المجاورين الذين لا تمكنهم ظروفهم المادية من شراء أو كراء الدور قد سكنوا الأربطة والمدارس التي ساهم في إنشائها السلاطين والأثرياء والعلماء، وأرقفوها على المجاورين والفقراء والمنقطعين وبعض أرباب المذاهب. الأمر الذي ساهم في تنشيط حركة المجاورة بالمدينة[5]، وأضاف إليها أعداداً جديدة من السكان؛ فمن تلك الأربطة

(١) ربما يكون المقصود دار صغيرة.

(٢) ابن فرحون، نفسه ورقة ٣٠ ل أ.

(٣) كان المذكور يسكن في بيت فيه شباك يطل على الحرم النبوي ومعنى ذلك أن الحصن العتيق كان مجاوراً للمسجد، ابن فرحون، نفسه ورقة ٤٣ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٢ ل ب، ورقة ٨٤ ل أ، ويحد الحارة غرباً: المسجد النبوي، وشرقاً باب الجمعة، وجنوباً سور المدينة الجنوبي، وشمالاً البيوت المحاذية لطريق البقيع في طرفه الشمالي، انظر: في ذلك، عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة (ط٣، المكتبة السلفية، المدينة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ص١٩٠ - ١٩١.

(٥) منى المشاري، المجاورون، ص ٧٨.

التي استخدمت للسكنى رباط دكالة ويقال له رباط المغاربة[1] الذي سكنه بعض طلبة العلم والصالحين والصوفية. فمن هؤلاء خلال القرن الثامن أبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي المغربي المالكي، وقد سكن المذكور حجرة بالرباط تسمى حجرة الصالحين[2]، وشاركه في السكن في تلك الحجرة عبد السلام بن سعيد بن عبد الغالب القروي (ت ٧٦٦/ ١٣٦٤م)[3] كما سكن الرباط المذكور الشيخ عبد الواحد الجزولي[4]، وأبو محمد عبد الله البكرى المغربي،[5] وخلفه في حجرته بالرباط المذكور عز الدين الواسطي[6] كما سكن الحجرة المذكورة أبو العباس أحمد التلمساني[7]، وقاضي طنجة الشيخ أبو الغمر الطنجي[8].

ومن الأربطة الأخرى رباط الفاضل، الذي سكنه أحد الصوفية وهو عبدالرحمن الجبرتي[5]، الذي روى عنه ابن فرحون بعض الأحوال التي لا تجوز لمسلم كقوله «إنه كان من أرباب القلوب والكرامات» و«يخبر أحياناً بالمغيبات»[10].

(١) السخاوي، التحفة، ١/ ٦٥.

(٢) (توفي سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٣ ل ب، ورقة ٧٤ ل أ، الفيروز آبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٣٩ ل ب، السخاوي، نفسه، ١/ ٤٩٤- ٤٩٥.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٤ ل أ، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٤٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٤٧٥، وذكره السخاوي بالقيرواني، نفسه، ٣/ ٧.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب، الفيروز آبادي، نفسه، ورقة ٢٤٩ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣/ ١٠٤ - ١٠٥.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٥ ل أ.

(٦) نسبة إلى واسط بالعراق، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٣٤٧، وقد توفي المذكور سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٧ ل ب.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٠ ل أ.

(٨) (توفي سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥١ ل ب، ورقة ٥٢ ل أ.

(٩) الجبرتي نسبة إلى جبرة قرية من بلاد السودان، السخاوي الضوء، ١١/ ١٩٥.

(١٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٧ ل ب، السخاوي، الضوء، ٢/ ٥٥٥- ٥٥٦.

ومن الأربطة التي سكنها بعض طلبة العلم رباط الاصفهاني[1]، وقد سكنه احد الصالحين، ويدعى الحسن العجمي[2]. وممن سكن في حجرة الرباط حين قدومه للمدينة عز الدين يوسف بن الحسن الزرندي[3]، وكان الرباط المذكور قد اتخذ بعد فترة من وقفه منزلاً للنساء والفتيات، فعمل المذكور على إعماره ورده لأهله لتنفيذ الوقفية الخاصة به المتمثلة باقتصاره على الرجال دون غيرهم[4]. كما سكن حجرة الرباط المذكور شهاب الدين القرمي[5]. ومن المعلوم أن الرباط يتكون من عدة حجرات، غير أن حجرة الرباط في مقدمته تعد أكبرها.

ومن الربط التي أوقفت على الفقراء الصوفية المجردين[6] رباط مراغه، وقد سكنه المغاربة وبعض الأفارقة الآخرين، من بينهم أبو عبد الله محمد الحصياني[7]، وعثمان المحكي[8]، وموسى الغزاوي[9] «المغربي الأصل»، وقاسم التكروري[10].

أما رباط الشيرازي، فقد سكنه من العلماء والصالحين أبو بكر الشيرازي[11].

(١) نسبة إلى وزير نور الدين زنكي، أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الملقب جمال الدين المعروف بالجواد الأصفهاني له أعمال كثيرة في مكة والمدينة، ابن خلكان، وفيات ١٤٤/٥، المراغي، تحقيق، ص ٧٦.

(٢) عاش في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، السخاوي، التحفة، ٥٠١/١.

(٣) توفي سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م. ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤١ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤١ ل ب، وانظر ترجمة، المذكور في ابن حجر، الدرر، ٢٢٨/٥ .

(٥) (توفي سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٣م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل ب .

(٦) يقال رجل مجرد أي أخرج من ماله، ابن منظور، لسان، ٤٣٣/١ .

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل أ .

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٧ ل أ .

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٧ ل أ - ب .

(١٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل ب .

(١١) (توفي سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م)، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٤ ل أ .

وسكن رباط التستري بعض العلماء وطلبة العلم؛ منهم أحمد الخراساني، ومحمد وعمر الكازروني، والفيروزآبادي[1].

كما أنشأ صفي الدين أبو بكر بن أحمد السلامي رباطين هما رباطا السلامي أحدهما أوقفه على الرجال والنساء، والآخر موقوف على الرجال فقط، كما أوقف أيضاً داراً للسكنى، على الفقراء المجردين، وجميع ذلك على قرابته من السلاميين فإن لم يوجد رجعت إلى الفقراء المجردين[2].

ومن الأربطة للسكنى، رباط السبيل وممن سكنه من طلبة العلم والصالحين سليمان الونشريسي[3]، ولم تَقتصر السكنى في تلك الأربطة على المجاورين من العلماء وطلبة العلم، بل شمل بعض أصحاب الحرف؛ مثل يوسف الخولي ومحمد المكناسي[4] المغربيين اللذين كانا يعملان في الزراعة في حدائق المدينة، حيث ورد أنهما كانا يسكنان رباط دكاله، وربما جمع هذان الرجلان بين طلب العلم والتكسب. أما رباط البطالين فهو لسكن العاطلين عن العمل من الخدام[5].

ومن الأربطة الأخرى، البغدادي والبدل، البغله، الجبرتي، والروض، والزيالع والسميني، والصادر والوارد، والظاهري والعبيد، وعرفه، وابن عليك، وغريسة والغارة، وقريش، وكرباجه، وكمرسوه، والمساسعة والمكناسي، والهندي، وابن وهبان، وابن لحي[6].

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٤ ل ب .

(٢) (توفي المذكور سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م)، ابن فرحون، نصيحة ورقة ٤٥ ل أ- ب.

(٣) (توفي سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، ابن فرحون، نفسه ورقة ٤٨ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٨٩ .

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل أ.

(٥) السخاوي، نفسه، ١/ ٦٥.

(٦) السخاوي، التحفة، ١/ ٦٥.

ومما سبق يتضح أن الرباط يحتوي على غـرف يطلق عليها مسمى بيوت[1]. أما مدخل الرباط، فيـسمى حجرة[2]. كما كان للرباط قيّم أو وكيل أو وصي يطلق عليه شيخ الرباط[3].

كما استخدمت المدارس أيضاً للسكنى، وكان يطلق على غرفها بيوت. ومن أبرز تلك المدارس، المدرسة الشهابية[4]. وباعتبار أن تلك المدرسـة كانت أكثر المدارس شـهرة واستـمراراً في المـدينة؛ فقـد كانت أكـثر المدارس اسـتخـداماً للسكنى. وممـن سكنها لفتـرة أبو محمد عبد الله البـسكري، وعبد السلام بن سعيد القروي السابق الذكر[5] والشيخ أبو عبد الله مـحمد بن سالم المكي[6]، والشيخ على الواسطي[7]، وأبو الربيع سليـمان الغـماري[8]، وأبو عبـد الله محمد بن مـحمد بن علي بن حريث القرشي البلنسي ثم السـبتي العبدري[9]، ويعـقوب التـونسي[10]، ونور الدين حـسن الأسواني المصـري[11]، وأسعـد

(١) ابن فرحون نصيحة، ورقة ٢٨ ل أ، وبيت الرجل داره، ابن منظور، لسان، ١/ ٢٩٢.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٧ ل ب، والحجرة التي ينزلها الناس وهو ما حوطوا عليه، ابن منظور، نفسه، ١/ ٥٧٢.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤١ ل ب.

(٤) تنسب هذه المدرسة للمظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف الدين بن أبي بكر بن أيوب بن شادي صاحب ميافارقين، المطري، التعريف، ص ٤٣، السمهودي، خلاصة، ص ٣٥٢.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب، ورقة ٧٤ ل ب.

(٦) ابن فرحون، ننفسه، ورقة ٣٢ ل أ.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣١ ل ب، السخاوي،نفسه، ٣/ ٢٧٩.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣١ ل ب.

(٩) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٢ ل ب.

(١٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٦ ل أ.

(١١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩ ل ب، وذكره، الفيـروزآبادي، بعز الدين حسن، المغانم (خ) ورقة ٢٣٩ ل أ وانظر ابن حجر، الدرر، ٢/ ١١٣، السخاوي، التحفة، ١/ ٤٨٥.

الرومي[1]، وأبو عبد الله محمد بن فرحون[2]. والشيخ محمد الغرناطي[3].

ومن المدارس الأخرى التي اتخذت للسكن، المدرسة الشيرازية التي أقام بها إبراهيم العريان الرومي قرابة خمسين عاماً، تولى خلالها الإشراف على المدرسة حتى وفاته بها سنة (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)[4]. ثم أعقبه في الإشراف عليها والسكنى بها سليمان الونشريسي السالف الذكر[5].

ومن المدارس التي اسخدمت للسكن، المدرسة الأزكجية التي كان من سكانها علي الواسطي السابق الذكر، ولم يكن المذكور مقيماً بالمدينة بصفة دائمة بل كان يتردد عليها بين الفينة والأخرى من بلده واسط بالعراق[6]. وكان بعض العلماء وأرباب الوظائف لهم دور يسكنون بها ومع ذلك فهم يرتادون بعض المدارس للراحة لبعض الوقت، ومنهم المؤذن علي بن معبد المصري الشهير بالقدسي الذي كان في ليلة نوبته للأذان بالمسجد لاينام إلا في المدرسة الشهابية لقربها من المسجد[7]، مهما يكن من أمر، فإن مساكن المدينة قد وصفها الرحالة الإيطالي دي فارتيما الذي زار المدينة أواخر العصر المملوكي، وذكر أنها «تضم حوالي ثلاثمائة منزل، يحيط بها سور من الطين، وشيدت جدرانها من الحجارة»[8].

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٩ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١١٢ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٩ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٧ ل ب.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٨ ل أ.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣١ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣ / ٢٧٩.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٦٣.

(٨) لودوفيكو دي فارتيما، رحلة فارتيما إلى الحجاز واليمن والهند، مجلة المقتطف، المجلد الثامن والثلاثون (القاهرة يناير ١٩١١م) ص ٢٥، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، لودوفيكو دي فارتيما «الحاج يونس المصري»: الرحالة الإيطالي والعميل البرتغالي ورحلته إلى الأماكن المقدسة سنة ١٥٠٣م (مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع جـ ٢، الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٥٧٦- ٥٧٧ .

كما تحدث النابلسي عن المدينة وطرازها المعماري وسككها بقوله: «وفي المدينة سكتان طويلتان إحداهما من الغرب قبالة باب القلعة مشتملة على بيوت وقصور وأسواق والسكة الأخرى من الشرق، من جهة الخارج من باب الحرم النبوي باب السلام إلى جهة الغرب إلى باب المصري وكلها مشتملة على حوانيت وبيوت وقصور وهناك عطفات أيضاً مشتملة على حوانيت وبيوت وقصور كثيرة. وفي المدينة أزقة كثيرة يتشعب بعضها من بعض منها الأزقة الضيقة جداً ومنها الواسعة كالمعتاد في أزقة غيرها من البلاد، وهذا كله داخل السور»(١).

ثالثاً: الأطعمة

تعددت أنواع الأطعمة التي يتناولها سكان المدينة في العصر المملوكي ما بين أطعمة مطبوخة، وناشفة، وحلويات، وأشربة، وغيرها. كما تعددت أصنافها وطريقة إعدادها. وتحدثت بعض المصادر عن أنواع من تلك الأطعمة.

فمن أصناف الأطعمة المطبوخة؛ الهريسة، وذكر العياشي(٢) صفة طبخها بقوله: «أن يجعل اللحم في المطبخ، ويجعل معه القمح، ويطبخ حتى يفارق اللحم العظم، فتنزال العظام، ويبالغ في طبخ اللحم مع القمح، حتى يطيب القمح ويزلع فيأخذون عصياً شبه المقارف عراض الرؤوس، فيلوّكون ذلك به حتى يختلط اللحم مع القمح ويصير مثل العجين، فيأخذوه في الأواني، ويصبوا عليه السمن» وهي في رأي العياشي من أشهر الأطعمة عند أهل الحجاز، إذا أكلها الإنسان لا يشتهي شيئاً من الطعام يوماً وليلة.

ومن الطعام المطبوخ الإدام والباذنجان واللحم. وكان بعضهم يضع الإدام في قدر أو قديرة على كانون فحم ويطبخه(٣).

---

(١) الرحلة، ص ٣٤٣.

(٢) الرحلة، ص ١٧٦.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة، ٣٢ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٨٧.

كان اللحم مـادة أساسية في طعـام أهل المدينة. فيذكر العـياشي[1] أن أهل المدينة كان لهم «ولوع وغرام بأكل اللحم زاعمين أنهم يسـتضرون بتركه لحرارة أبدانهم ويبسهـا، فيحصل لهم الترطيب به. فإذا أكلوا غـيره، حصل لهم يبس في الطبـيعة، حـتى أن من نسائهم مـن لا يطبخ غداء ولا عشـاء إلا أن يكون لحمـاً». ومن أصناف اللحـوم؛ قديد اللحم الذي يؤتى به من الـشام[2]. ومن أصناف الأطعـمة البليلة، التي تؤكل في فـترة الغـداء وهي «حشـالة، وحشف مدقوقان يجعلان في قدح، ويجعل عليه الماء ساعة فإذا ابتل قُدّمَ»[3].

أما في فترة العشاء فتقدم الجشيشة[4] والحريرة[5].

ومن الأطعمة المطبوخة الأرز[6]، والبسلاء[7]. وهناك ما يسمى بالرشدة[8] وهو طعام يصنع من الدقيق. كما كـان أهل المدينة يصنعون الخبز من القمح[9]. ومن طعام أهل المدينة السمك، الذي يعيش في تجمعات المياه القريبة من المدينة

(١) نفسه، ص ٢٢٦.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٣ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب. ويبدو أن الجـشيشة هي الدشيـشه يقول ابن منظور، «الدش: اتخاذ الدشيشة، وهي لغة في الجشـيشة، قال الأزهري: ليست بلغة ولكنها لكنة» لسان، ١/ ٩٨٠، والدشيشة هنا حساء بهريسة القمح واللحم، محمد أحمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م/ ص ٧٥.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب، ورقة ٥٢ ل ب، والحريرة الحسا من الدسم والدقيق، وقيل هو الدقيق الذي يطبخ بلبن، ابن منظور، نفسه، ١/٦٠٦.

(٦) العياشي، الرحلة، ص ١٧٦.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٦ ل ب.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٠ ل أ.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٦ ل أ، ورقة، ٣٠ ل ب.

كفجل، والسد، حيث يتم صيده وطبخه[1].

أما التمر فهو مادة أساسية في طعام أهل المدينة؛ نظراً لانتشار النخيل فيها وهو، إما رطب يؤكل في وقته، أو تمر يتم تخزينه ليؤكل طول العام[2].

وهو طعام الأغنياء والفقراء على السواء. ومن أشهر تمور المدينة في تلك الفترة البرني[3]. كما ذكر النابلسي[4] أسماء تمور المدينة، وعد منها ما يقارب مائة وثلاثة عشر نوعاً، وذكر من بينها «نوعاً يسمى الحلوى كل واحدة مثل الخيارة الصغيرة يقطر العسل منها وهذا النوع يتهادونه ولا يكاد يباع في الأسواق، وهو أكبر من التمر الشلبي».

وإلى جانب التمر توجد الفواكه. وقد وصف العياشي[5] فواكه المدينة بأنها في غاية الجودة خصوصاً عنبها ورطبها. ومن الخضار، الباذنجان[6]، والباسلاء[7]، والجزر، والباقلاء[8]، والملوخية، والبامية، والبصل واللفت[9]. ومن البقوليات السلق، واللفت الذي يستعمل عشاء[10].

وأما الحلويات، فمنها الحلوى، والأطعمة المحلاة[11].

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل ب.
(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٨ ل ب، ورقة ١٩ ل أ.
(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٩ ل أ.
(٤) الرحلة، ص ٣٧٠ - ٣٧١.
(٥) الرحلة، ص ٢٢٤.
(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٣ ل أ.
(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٦ ل ب.
(٨) العياشي، نفسه، ص ٢٢٤.
(٩) العياشي، نفسه، ص ٢٢٤.
(١٠) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب.
(١١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٦ ل ب.

كما كانوا يستـعملون في طعامهم السمن[1]. على أنه ذكر، أن أهل المدينة لا يستعملون السمن القديم والشحم الغوي حيث إنه يسبب لهم ضررا[2]. كما استعمـل أهل المدينة المخللات في طعامهم[3]. على أننا لا نعلم أنواع الزيوت المستعـملة في الطبخ، فهل كانوا يسـتعملون زيت الزيتون، أو زيت الـسمسم؟ غير أننا نميل، إلى استـعمال زيت السمسم، نظراً لزراعتـه في تهامة. أما زيت الزيتون فربما يؤتى به من الشام ومصر.

مهما يكن من أمر؛ فإن أغلب سكان المدينة خـلال القرن الثامن الهجري كما يذكر ابن فرحون[4] كانوا في سعة من العيش، فهو يـصف الحالة المعيشية بقوله: «والناس اليوم ملوك أو كالملوك ولا يشكرون الله تعالى بل غلب عليهم بطر النعمة حتى اشتغل بعضهم ببعض، وأهلك بعضهم بعضاً من شدة الحسد والبغضا».

لقد وجد لدى أهل المدينـة أنواع من الأطعمة والحلويات غير الأسـاسية في طعامهم مثل. المحمضات والحريفات والمكسرات[5].

رابعاً: اللباس

لم أجد فيما اطلعت عليه من مـصادر شيئاً عن اللباس لدى أهل المدينة في العصر المملوكي. غـير أنه بالربط التاريخي مع الفترتين السابـقة واللاحقة؛ أي الأيوبية والعثمانية، وبالقياس لما كان عليه اللباس في مكة في نفس الفترة يمكن إعطاء بعض المؤشرات عن اللبـاس خلال تلك الفتـرة. ويمكن القول: إن أهل الحجاز ومن بينهم سكان المدينة كانوا على مر العصور يلبسون ثياباً بيضاء تصنع

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٢ ل .

(٢) العياشي، الرحلة، ص ٢٢٤.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٣ ل ب، ورقة ٤٦ ل ب.

في الغالب من الكتان، أو القطن في فصل الصيف[1]، كما كان الناس يستعملون الحرير في لباسهم[2].

أما في فصل الشتاء فكانوا يلبسون الثياب الصوفية، ومن بين أنواع الملابس، العمامة، والبردة،[3] وجبة بيضاء من القطن تدعى قفطان[4]، وكان الأمراء يتعممون بكزرية صوف بيضاء رقيقة[5]. أما خطيب المسجد؛ فكان يلبس ثوباً أسود ويتعمم بعمامة سوداء، وكلاهما كان مرسوماً بالذهب[6]. كما كان الناس يكثرون من استخدام الطيب والأكحال، ويكتحلون، ويتسوكون بعيدان الأراك الأخضر[7]. أما نساؤهم فكن يحببن التطيب، كما كن يستعملن الذهب بكثرة، ومنها الخلخال والخواتم[8]. مهما يكن من أمر، فقد تباين واختلف اللباس لدى أهل المدينة حسب مكانة الشخص ومركزه الاجتماعي أو الوظيفي[9]؛ فكل له لباسه الخاص؛ ومن هؤلاء: الأمراء، والقضاة، والأئمة، والخطباء، ورؤساء المؤذنين، والوجهاء، وأصحاب الحرف والمهن المختلفة.

---

(١) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق طلال حرب (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م) ص ١٦٨، جميل حرب، الحجاز واليمن، ص ٢٤١.

(٢) ابن جبير، الرحلة، ص ١٨٠.

(٣) ابن جبير، نفسه، ص ١٨٠.

(٤) ابن بطوطة، نفسه، ص ١٧٠.

(٥) ابن جبير، نفسه، ص ٧٤.

(٦) ابن جبير، الرحلة، ص ٧٢.

(٧) ابن بطوطه، رحلة، ص ١٦٨- ١٦٩.

(٨) ابن جبير، نفسه، ص ١٨٠.

(٩) عن اللباس أيضاً انظر عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م) ص ٢٤٣، عائشة باقاسي، مكة والمدينة، ص ١٧٣، عبد الله فرج الزامل الخزرجي، المدينة المنورة عاداتها وتقاليدها (ط١، تهامة للنشر، جدة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص ١٦، ١٧ .

خامساً : العادات والتقاليد :

توافد على المدينة أعداد كبيرة من الناس من أجناس مختلفة؛ مما كان له تأثير على عادات وتقاليد البلاد؛ فمن بين العادات التي درج عليها أهل المدينة في استقبال زائريها، ما ذكره ابن رشيد[1] من استقبال أهلها القادمين إليها خارج سورها مبشرينهم ومهنئينهم بسلامة الوصول «وجالبين من تمر المدينة ما يتحفون به القادمين ملتمسين رفدهم، وقد صنعوا عصياً في اطرافها أوعية صغار، فيجعلون فيها شيئاً من التمر، ويناولونه أهل القباب المسترة من بين ستورها فيعطى كل أحد ما تيسر له من الرفد ويدفعون إلى الركبان والمشيان أيضاً من ذلك على حكم التحفة والهدية ، فيحسن كل على قدر وجده، ويقسمه الناس بينهم متبركين مستبشرين»[1].

ومن العادات التي هي من البدع التي طرأت على مجتمع المدينة في عصور متأخرة الخروج في رجب وأيام الخميس وإذا نزل المطر لمقام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه بالقرب من جبل أحد للصلاة هناك والمبيت وكانوا يحملون معهم أصنافاً كثيرة من الأطعمة ويمدون الاسمطة بأنواع من تلك الاطعمة والحلوى التي يأكلون منها ويأكل معهم الفقراء الذين يتبعونهم[2] وقد استمرت هذه العادة خلال العصر المملوكي وامتدت إلى العهد العثماني[3]. كما كان أهل المدينة يخرجون إلى ضواحي المدينة للنزهة وذكر أن الناس يخرجون

(١) ملء العيبة، ٥/ ١٦ .

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٦ ل ب، العياشي، الرحلة، ص ١٢٥ .

(٣) العياشي، الرحلة، ص ١٧٦ ، الورثيلاني، الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م) ص ٥٢٢.

للنزهة يومي الثلاثاء والجمعة بعد صلاة العصر ويسمونها مقيال أو القائلة[1]. ومن أبرز المتنزهات وادي العقيق ووادي قناة[2].

ومن العادات الدينية الغريبة وغير المعهودة في صدر الإسلام أن النساء يتبعن الجنائز كما حدث في جنازة الشيخ أبو الغمر الطنجي الذي توفي بالمدينة سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م وسار خلفها النساء[3].

ومن البدع والخرافات التي انتشرت في المدينة بدعة الجزعة التي كانت تقع في المحراب القبلي المقابل للمصلى في المسجد النبوي[4] ويظهر أنها الذي ذكرها ابن جبير[5] في رحلته بقوله: «وفي أعلاه داخل المحراب مسمار مثبت في جداره فيه شبه حق صغير لا يعرف من أي شيء هو، ويزعم أيضاً أنه كان كأس كسرى». وذكر ذلك البلوي[6] بقوله: «وبإزاء الجهة القبلية عود يقال أنه مطبق على بقية الجذع الذي حن للنبي صلى الله عليه وسلم وقطعة منه في وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويتبركون بلمسها ومسح خدودهم فيها».

وذكر السمهودي[7] «أنه كان يجتمع إليها الرجال والنساء، ويقال: هذه خرزة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عالية لا تنال بالأيدي، فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقى على ظهرها وكتفيها حتى تصل

---

(١) العياشي، الرحلة، ص ١١٧، البتنوني، الرحلة، ص ٢٥٩- ٢٦٠.

(٢) العياشي، نفسه، ص ١٦٨- ١٧٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٥٢ ل أ.

(٤) المطري، التعريف، ص ٣٥.

(٥) الرحلة، ص ١٧٢.

(٦) البلوي، خالد بن عيسى، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، حـ ١ (د. ط، صندوق إحياء التراث الإسلامي، المحمدية المغرب د. ت) ص ٢٨٦.

(٧) وفاء، ١/ ٣٧٣.

إليها، فربما وقعت المرأة وانكشفت عورتها، وربما وقعتا معاً». فلما جاور ابن حنا المصري[١] بالمدينة سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م «رأى ذلك، فاستعظمه وأمر بقلع الجزعة، فقلعت»[٢]. ومن العادات والاحتفالات الدينية يوم الجمعة والمراسم المصاحبة له مثل استقبال خطيب الجمعة، والأعياد الرسمية الفطر والأضحى، والاحتفال بموسم الحج وبرؤية الأهلة وبحلول رجب ونصف شعبان، وشهر رمضان وبختم القرآن الكريم[٣] ويوم المولد النبوي، وكان أهل المدينة يحتفلون بهذا اليوم في شهر ربيع الأول وينفقون فيه أموالاً طائلة، فتمد الموائد للناس، وتجري فيه ممارسات بعيدة عن روح الدين الإسلامي فهو من البدع المحدثة، وممن كان يقوم بعمل المولد في المدينة مفتاح الهندي الذي وصف بأنه من «أرباب الكمالات والكرامات»[٤].

ومن الأمور التي صاحبت المولد والاحتفال به القضايا المرتبطة برؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام لدى بعض أهل المدينة وما يأمرهم به أن يفعلوه[٥]. ومن العادات السيئة في مجتمع المدينة انتشار الاعتقاد في الجان والعفاريت واستعمال التعاويذ في دفع الشر والضرر. وممن كان يمارس هذه الأعمال، نور الدين حسن الأسواني الذي ذكر أنه كان «يضع على باب بيته ورقة طويلة عريضة فيها من التعاويذ والأقسام وعزائم الجان أنواع وكان بين

(١) هو الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي «كان فقيهاً ديناً رئيساً، وافر الحشمة» السخاوي، التحفة، ١/ ٢٤١.

(٢) السخاوي، نفسه، ١/ ٢٤١، السمهودي، وفاء، ١٠/ ٣٧٣، وقام المذكور بقلع بدعة العروة الوثقى بالمسجد الحرام بمكة، وكان يقال لها «سرة الدنيا»، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٣٣.

(٣) العياشي، الرحلة ص ١٩٧- ٢٠٥ .

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٤ ل أ .

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤١ ل أ.

المذكور وأحد شيوخ الصوفية المدعو محيي الدين الحوراني منافرة، نتيجة اتهام الأسواني له بأنه يسحره في كتبه وقدرته(١). وممن كان يمارس هذه الأعمال محمد السبتي الذي كان معلم صبيان غير أنه كان يعزم ويستحضر الجان واشتهر حجابه كما يقال بالنفع فيأخذ ورقة على طول المصروع فيكتبها له ويعلقها عليه فيبرأ من حينه(٢).

انتشر التصوف(٣) في العالم الاسلامي وصاحبه بعض المعتقدات والممارسات الخاطئة البعيدة عن روح الإسلام، وتناقل الناس أخباراً عن اشخاص لهم قدرات خارقة للعادة نتيجة لتقواهم وتجردهم وتميزهم عن غيرهم. وكان التصوف قد انتشر بالمدينة خلال تلك الفترة وهو يعبر عن روح العصر من انتشار الخرافات والبدع والطرق الصوفية المتعددة. ومن هؤلاء من كان يطلق عليهم أصحاب الخطوة وهم أشخاص يعتقد البعض أن الأرض تطوى لهم فينتقلون من مكان إلى آخر ومن بلد إلى آخر في وقت وجيز، ومن هؤلاء الشيخ سعادة المغربي الذي أقام بين مكة والمدينة وكان كما يقول ابن فرحون(٤): «من أرباب الخطوة، وممن تطوى له الأرض كان يتأهب لصلاة الجمعة بمكة فيُرى في المدينة يصليها ثم يرجع فربما أدرك الصلاة وربما يوافق دخوله المسجد خروج

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩ ل ب، الفيروز آبادي، المغانم، ورقة ٢٣٩ ل أ - ب، السخاوي، التحفة، ١/ ٤٨٥ - ٤٨٧.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٤ ل ب.

(٣) قيل أن التصوف نسبة إلى الصفة التي كان يسكنها بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقراء المسلمين المهاجرين في مؤخرة المسجد النبوي، محمد أحمد العقيلي، التصوف في تهامة (د. ط، دار البلاد للطباعة والنشر، جده د. ت) ص ١٩.

(٤) نصيحة، ورقة ٤٢ ل ب، وانظر: ترجمته، في، الفاسي، العقد، ٤/ ٥٣٠، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٢١- ١٢٢.

الناس من الصلاة»، كما ذكر أن بعض كبار الصوفية كانت له مكانة خاصة عند أمراء المدينة وشيوخها ومن هؤلاء الشيخ علي الواسطي، الذي قدم من العراق وسكن المدرستين الشهابية والأزكجية. وكان أمراء المدينة من آل مهنا كما ذكر يعتقدون فيه ويتبركون بعصاه وثوبه(١).

أما عادات الزواج، فلا تختلف عن غيرها في ديار الإسلام حيث يتقدم الرجل لأهل الزوجة طالباً الزواج فإذا تم قبوله، يتم عقد النكاح بالمسجد النبوي(٢)، ثم يتم عمل حفل الزواج الذي يختلف من أسرة إلى أخرى حسب مستواها المعيشي، غير أن الزوج يذهب في الليلة الأولى إلى بيت أهل الزوجة وفي الليلة التالية تنتقل الزوجة إلى بيت الزوج(٣).

ومن المظاهر الاجتماعية في المدينة خلال تلك الفترة عادة ارتياد أهلها والقادمين إليها للحمامات العامة التي انتشرت في داخل المدينة وخارجها، بقصد الاستحمام والاسترخاء بها وذكر في هذا العصر عدد من تلك الحمامات فقد أوضح السمهودي(٤)، أنه في أعقاب عمارة المسجد النبوي الشريف بأمر من السلطان المملوكي قايتباي على أثر الحريق الثاني للمسجد سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م شرع السلطان في عمارة حمام استأجرت أرضه من الناظر على الميضأة بباب السلام وذكر أنه «لم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة» ويظهر من ذلك أنه لا ينفي وجود حمامات عامة قبل ذلك ولكنه يشير إلى عدم بناء حمامات منذ سنوات طويلة.

---

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣١ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣/ ٢٧٩- ٢٨٠.

(٢) العياشي، الرحلة، ص ٢١٦، الورثيلاني، نزهة، ص ٥٠٩- ٥١٠.

(٣) العياشي، نفسه، ص ٢١٧ .

(٤) وفاء، ٢/ ٦٤٤.

إن وجود الحمامات العامة مظهر من مظاهر التغيير الذي حدث في مجتمع المدينة خلال تلك الفترة، وقد ذكر النابلسي[1] وجود حمام يدعى حمام النبي يقع شرقي الحرم الشريف وصفه بأنه «حمام لطيف وقدره منيف وقد اطلقت فيه مباخر الطيب ولا أبدع لطيبه إذا زها عصفها الرطيب». على أن النابلسي[2] يشكك في نسبة الحمام إلى النبي ﷺ ويؤيد من يقول: أن النبي ﷺ لم يدخل الحمام، كما وذكر النابلسي[3] حماماً آخر خارج سور المدينة يقع إلى الغرب منها من جهة باب المصري، وأنه دخله بعد عودته إلى المدينة بعد أداء الحج .

سادساً : المصاهرات

تعد المصاهرات أهم أساس في مدى التمازج بين فئات المجتمع وتشابكه قرابياً ومصلحياً. ورغم أهمية المصاهرات في معرفة طبيعة الفئات والشرائح الاجتماعية في المدينة ومدى العلاقة بين أفرادها فإن المصادر لا تمدنا بمعلومات كافية عن المصاهرات في المدينة عدا ما يتعلق بالأسر العلمية خلال العصر المملوكي والتي ارتبطت فيما بينها بعلاقات مصاهرة واسعة. ويعود توفر معلومات عن هذه الشريحة الاجتماعية إلى توفر تراجم عن أفرادها. ودراسة المصاهرات بين الأسر العلمية يمكن اتخاذها مؤشراً على المصاهرات بين الفئات الأخرى، حيث يمكن تفسير توسع المصاهرات داخل الشريحة الاجتماعية الواحدة أكثر من امتدادها للشرائح الاجتماعية الأخرى لكون كل شريحة تتماثل في مستواها الاجتماعي وتترابط مصلحياً ولا يستبعد أن مساكنها كانت متقاربة كذلك.

---

(١) الرحلة، ص ٤٦٢.

(٢) نفسه، ص ٤٦٢.

(٣) نفسه، ص ٤٦٢.

أما بالنسبة للأسر العلمية فيمكن فهم قيام مصاهرات واسعة بينها وذلك بسبب العلاقة الحميمة التي تنشأ بين الشيخ وتلاميذه أو بينه وبين زملائه الشيوخ والمعرفة العميقة لبعضهم البعض وقد يعود ذلك النسب العلمي إلى العلاقة القرابية ومعروف أن رجال العلم لم يكونوا يقتصرون على التعليم فحسب، بل كان بعضهم يشغلون وظائف دينية هامة في المجتمع مثل القضاء والخطابة، والإمامة، وهي وظائف سامية اجتماعياً ولها مردود مادي طيب، ومن ثم فالدوافع النفعية من وراء بعض المصاهرات واردة. والأسر المدنية التي توفر لنا قدر طيب من المعلومات عنها هي المطري، الزرندي، ابن صالح، ابن فرحون، الششتري أو التستري الكازروني، المراغي، الخجندي، السخاوي.

وكان لهذه الأسر صفة الاستمرار والبقاء في المدينة خلال العصر المملوكي، كما كان لها حظ وافر من العلم، وتبوأ بعض افرادها وظائف دينية هامة مثل القضاء، والامامة والخطابة، والحسبة والأذان، كما ارتبطت هذه الشريحة الاجتماعية بعلاقات جيدة مع باقي شرائح المجتمع. ومع بقية المجاورين وبخاصة العلماء وطلبة العلم، وخدام المسجد النبوي، وأصحاب المهن والحرف المختلفة.

أولاً: أسرة المطري

تعد من أقدم الأسر استقراراً بالمدينة في العصر المملوكي؛ فقد قدم مؤسسها أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي الأنصاري الخزرجي، العبادي الساعدي المطري[١] من المطرية[٢] إلى المدينة قبل سنة

(١) السخاوي، التحفة، ١/١٧٨.

(٢) من قرى مصر تقع جنوب عين شمس، ياقوت، معجم البلدان، ٥/١٤٩.

٦٧١هـ/ ١٢٧٢م للعمل مؤذناً بالمسجد النبوي[١]، وتعاقب أبناؤه وأحفاده على الأذان كما عمل بعضهم رئيساً للمؤذنين[٢]، وتولى بعضهم الخطابة والإمامة والقضاء وهم جميعاً على المذهب الشافعي[٣].

لقد صاهرت هذه الأسرة عدداً من الأسر الأخرى، ومن خلال استعراض المصاهرات التي توصلت إليها، اتضح أنها انحصرت داخل الأسر العلمية فقط.

لقد تمت ثلاث مصاهرات مع أسرة الزرندي، ويعود ذلك في نظري لبروز مكانة تلك الأسرة من الناحية العلمية[٤]. لقد تبوأت أسرة الزرندي مكانة رفيعة في المدينة، فمنها عيّنَ أول قاضٍ حنفي[٥]. وباعتبار أن عمل أسرة المطري في بداية استقرارها كان الأذان في المسجد النبوي، الذي يعد أقل شأناً من وظائف القضاء والخطابة والإمامة فقد دفع ذلك أفراد الأسرة للتقرب من أسرة الزرندي بمصاهرتها في محاولة للرفع من شأن أسرتهم علمياً ووظيفياً. كما صاهرت الأسرة، أسرة المراغي التي تمتعت بمكانة طيبة في مجتمع المدينة[٦].

ويبدو أن للمكانة العلمية والاجتماعية دوراً في تلك المصاهرة حيث تنتمي

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ١٧٨، ٣/ ٤٦٦.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم، (خ) ورقة ٢٦٢ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٤٠٣- ٤٠٤، السخاوي، التحفة ٣/ ٤٦٦- ٤٦٩.

(٣) الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٦٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٢٧- ٦٢٩ السخاوي، الضوء، ٧/ ٢٩٩- ٣٠٠.

(٤) السخاوي، الضوء، ٧/ ٢٩٩، ٩/ ٢٢٥، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٢٩ - ٥٣١ الانصاري، تحفة، ص١١.

(٥) ابن حجر، الدرر، ٥/ ٦٣، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٧١- ٢٧٢، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٦٨- ٢٦٩.

(٦) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠١، ١٠٢.

الأسرتان لمذهب واحد هو الشافعي، كما أنه من الملاحظ أن أصل الأسرتين واحد وهو انتماؤهما إلى مصر، كما حدثت حالتا زواج مع أسرة السخاوي(١). وحينما ننظر في أثر تَينكَ المصاهرتين يتضح انتماء الأسرتين إلى مصر. كما حدثت حالة زواج واحدة مع أسرة ابن صالح، التي تلتقي مع أسرة المطري في الأصل والمذهب(٢). كما صاهرت أسرة المطري أحد علماء المدينة وهو يحيى ابن عبد السلام بن مزروع البصري المدني(٣). على أني لم أعثر على حالات زواج تمت داخل أسرة المطري. إن الخلفية الاجتماعية للمصاهرات السابقة تبين انتماء ثلاث من الأسر المصاهرة للمطري لمصر فيما تعود واحدة إلى فارس(٤).

ثانياً: أسرة الزرندي

تعد هذه الأسرة ثاني أقدم العائلات العلمية استقراراً بالمدينة قدم مؤسسها يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن الحسن الأنصاري(٥) الذي ينتمي إلى مدينة زرند(٦) أواخر القرن السابع الهجري. وعند استعراضنا لحالات

(١) لم أجد اي أثر علمي لمصاهرة الأسرتين، أما الاثر المذهبي فالمطري شافعية والسخاوي مالكية وربما يكون لانتماء الأسرتين لأصل واحد وهو مصر أثر في المصاهرة، انظر السخاوي، الضوء، ٩/٢٢٥- ٢٢٦، ١١/١٩٨- ١٩٩، ٢٢٧.

(٢) السخاوي، الضوء، ٢٢٧/١.

(٣) هو ابن العالم المشهور عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عرفة البصري المكي نزيل المدينة ومحدثها، السخاوي، التحفة، ١٧/٣، ٤٥.

(٤) السخاوي، الضوء، ٣٤/٨، ٢٢٥/١١، ٢٠٦.

(٥) ابن حجر، الدرر، ٢٢٨/٥.

(٦) زرند، بليدة من أصبهان وساوة، وزرند أيضاً مدينة قديمة من أعيان مدن كرمان، وقيل زرند من عمل الري، ياقوت، معجم البلدان، ١٣٨/٣، ابن حجر، نفسه، ٢٢٨/٥.

المصاهرة من جانب هذه الأسرة اتضح أنها تمت مع أغلب الأسر العلمية في المدينة عدا أسرتي ابن فرحون والششتري. فقد حدثت ثلاث مصاهرات مع أسرة المطري، وحالة مصاهرة واحدة مع أسرة الخجندي[١] وهنا نلحظ الصلة العلمية لتلك المصاهرة.

وتنتمي الأسرتان إلى أصل اجتماعي متقارب هما فارس وبلاد ما رواء النهر.

كما صاهرت أسرة الزرندي، أسرة الكازروني فقد تمت مصاهرتان من جانب أسرة الزرندي مع عالم المدينة وفقيهها الجمال محمد بن أحمد بن محمد الكازروني الشافعي[٢]، وكان للرابطة العلمية والتوافق المذهبي أثرهما في تَينكَ المصاهرتين. كما صاهر آل الزرندي أسرة المراغي حيث تمت ثلاث حالات زواج[٣] وكان للصلة العلمية والتوافق المذهبي أثرهما في تلك المصاهرات.

كما صاهرت أسرة الزرندي أسرة ابن صالح[٤].

ولم تقتصر مصاهرات آل الزرندي على الأسر العلمية في المدينة، بل تعدتها إلى بعض الأسر العلمية المكية؛ ومنها أسرة الحرازي[٥] التي تنتسب إلى شهاب أبي العباس أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر العمري

(١) هو نفس العام الذي تولى فيه نور الدين علي الزرندي قضاء الحنفية والتدريس والحسبة بالمدينة أيام السلطان المملوكي الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، السخاوي، التحفة، ٣/٢٦٩.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/ ١١٠، ٤٩٨، ٥٠١ السخاوي، الضوء، ٥/١٠٨، ٧/ ٩٦- ٩٧، ٩ / ١٦٦- ١٦٧.

(٣) السخاوي، الضوء، ٧/ ٢٥٢، ٢٥٣ ١٢/ ١٠٢، السخاوي التحفة، ٣/ ١١٠، ٦٥٨، الأنصاري، تحفة ص ١١.

(٤) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٣، ١٢ / ١٥٥.

(٥) حراز، مخلاف باليمن قرب زبيد، الهمداني، صفة، ص ٢٢٨، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٣٤.

الحرازي اليمني الشافعي[1] . وظهر من هذه الأسرة عدد من العلماء[2]. كما صاهرت أسـرة الزرندي أسرة مكية أخـرى هي الزمزمي[3] وحين نتساءل عن أسباب ودوافع تلـك المصاهرة نجد أنها لا تتـعلق بصلات علمية أو مـذهبية أو اجتماعية بقدر ما تتصل بظروف عبد الـسلام الاجتماعية حيث أقام بمكة بعدما انتقل إليـها من المدينة، ولم يتمتع المذكـور بأي مكانة علمية أو وظيفـية ونظراً لغـربته وفـقره فقـد اضطر للزواج من أسـرة الزمزمي التي لا ترقي من حـيث المكانة العلمية أو الوظيفية لما كانت عليـه أسرة الزرندي كما حصلت مصاهرتان داخل أسرة الزرندي[4].

ثالثاً : أسرة ابن صالح

تمتعت هذه الأسرة بمكانة طيبة في مجتمع المدينة، غير أن بداياتها في المدينة لم تكن علمية. فقد قدم جد الأسـرة صالح بن إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد بن حسن بن علي بن صالح الـكناني الشافعي[5] من مصر، أواخـر القرن السابع الهجـري وعمل كما يذكـر ابن فرحون «صـانعاً مبيـضاً متقـاناً. . . في الحرم الشريف»[6]، ولذلك صاهر المذكور أسرة من المؤذنـين بالحرم النبوي الشريف،

(١) الفـاسي، العـقـد، ٣/١١٦- ١١٨، وذكـر مـولده سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م ووفـاته سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، كما ترجم له ابن حجر، الدرر، ١/ ١٥٠، وذكر مولده سنة ٦٧٥هـ ببلدة حرار باليمن.

(٢) الفاسي، نفسه، ١/٣٦٥- ٣٦٨، السخاوي، الضوء، ٢/١٣٧.

(٣) الزمزمي، نسبة لبئر زمزم بالحرم المكي الشريف، ويبدو أن الأسرة كانت تعمل في ملء الدوارق بالماء من البئر والإشراف علـى البئر نفسها، وانظر في النسـبة، السخاوي، الضوء ص ١١/ ٢٠٥. وهي أسرة مارست السقاية من بئر زمزم ومن أفرادها والده المجد أبو طاهر إسماعيل وعمه البرهان إبراهيم وغيرهم انظر، السخاوي، الضوء، ١/ ٨٦، ٢/٣٠٢، ٣٠٨، ٣/١٥١.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣/٣١.

(٥) السخاوي، التحفة، ٢/٢٢٨، السخاوي، الضوء، ٨/ ٣٥- ٣٦.

(٦) نصيحة، ورقة ٣٥ ل أ.

تدعى أسرة الزجاج، فأنجبت له زوجته ولدين، هما محمد، وعلي[1]، ثم رزقه الله بسطة من العيش مكنته من الحج ثماني عشرة مرة، كما أعتق ثلاثين مملوكاً، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م[2] ، أما ولداه فقد نالا نصيباً من العلم والمكانة الوظيفية[3].

ورغبة في تقرب الأسرة من ذوي الشرف والمكانة العلمية والاجتماعية، فقد صاهرت الأسرة، أسرة ابن فرحون المالكية المذهب، المغربية الأصل، وهي أسرة معروفة في تونس والمدينة، وكان لتلك المصاهرة أثرها العلمي في ابنيه من بعده، وهما عبدالرحمن ومحمد حيث تفقه الأول على يد جده لأمه، البدر بن فرحون، ونال المذكور مكانة علمية ووظيفية[4]، كما نال أخوه محمد أيضاً مكانة علمية ووظيفية بالمدينة[5]. كما صاهرت الأسرة أسرة الزرندي كما ذكر سابقاً[6].

كما صاهرت الأسرة أسرة المطري ومن الملاحظ أن الأسرتين تشتركان في انتمائهما إلى المذهب الشافعي، كما أن أصل الأسرتين من مصر[7]. ومن

(١) السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٥٥، ٣/ ٤٦٩.

(٢) السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٢٨- ٢٢٩.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٥ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٧٦، السخاوي، التحفة، ٤/ ١٣١- ١٣٢.

(٤) السخاوي، الضوء، ٤/ ١٣١- ١٣٢.

(٥) الفاسي، العقد، ٢/ ٢٩٣- ٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٥/ ١٠٩، ٩/ ٨٦، ولم أجد للعفيف عبدالله ابن محمد بن فرحون ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر، وربما يكون البدر أبو محمد عبد الله بن فرحون أو غيره، السخاوي، الضوء ٥/ ٥٥- ٥٦، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٩٥، ٤٠٩.

(٦) انظر مصاهرات أسرة الزرندي في السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٣، ١٢/ ١٥٥، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٥٦- ١٥٧.

(٧) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠١- ١٠٤، ١١/ ٢٢٧

العلمــاء الذين لهم صلة بأسرة ابن صــالح علي بن موسى بن منصــور المحلي المدني الشافعي[(١)]، ويتضح التوافق الاجـتماعي والمذهبي حيث ينتــمي كلاهما إلى مصر، ومذهبهما الشافعي[(٢)].

كما تمت مصاهرة مع أسرة التـستري أو الششتري[(٣)]. ولم تشر المصادر إلى وجود صلة علمية وثيقة قبل المصــاهرة، غير أن تلك المصاهرة كان لها تأثير في العلاقة بين الأسرتين، حين ناب أحمد بن محمد بن أحمد الششتري عن خاله فتح الدين مـحمد بن عبد الرحـمن ابن صالح في خطابة المدينة وإمامـتها[(٤)]. يضاف إلى ذلك أن التوافق المذهبي كان له تأثيره في تلك المصاهرة، باعتبار أن كلا الأســرتين على المذهب الشافعي. كـما صاهرت الأســرة، أسرة ابن زبالة قضاة ينبع، وعلى رأســها قاضي ينبع محمد بن عبـد الوهاب بن زبالة الشافعي[(٥)] وواضح أن التوافق العلمي والمذهبي والاجتماعي[(٦)] كان له أثره في المصاهرة.

رابعاً: أسرة ابن فرحون

من الأسر العلمية الكبيرة التي تعـود بأصولها إلى تونس، واستوطنت المدينة

(١) المحلي نسبــة للمحلة المدينة المشهــورة بالغربية بمصــر، ياقوت، معـجم البلدان، ٥/ ٦٣، السخاوي، الضوء، ١١/ ٢٢٥، وقد ولد المذكور بمصر كما ذكر السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٤- ٢٥، السخاوي، التحفة، ٣/٢٥٨- ٢٦٠، أما ابن حجر، إنباء، ٨/ ٣٦٥ فذكر مولده ووفاته بالمدينة.

(٢) السخاوي، الضوء، ٨/ ٣٤- ٣٥، ١٢/ ٣٥.

(٣) السخاوي، الضوء، ٢/ ١٧١، ٩/ ١٩٥.

(٤) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٩٥، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٤٦- ٢٤٧.

(٥) هو محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الهواري الأصل القاهري ثم الينبوعي الشافعي ويعرف بابن زبالة، ولي قضــاء ينبع بعد وفــاة ابن عمه الشــهاب أحمد بن مــحمد بن أحـمد بن محـمد، السخاوي، الضوء، ٨/ ١٣٣، السخاوي التحفة، ٣/ ٦٥٧، السخاوي، الضوء، ١٢/ ١٦٤، وقيل أنه تزوج اخت محمد بن عبد الرحمن بن صالح، السخاوي، الضوء، ٨/ ١٣٣.

(٦) أي منصب القضاء، والمذهب الشافعي، وانتمائهم إلى مصر.

أسرة ابن فرحون، وقد تولى بعض أفرادها قضاء المالكية ابتداءً من سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م[١]، إلا أنه رغم شهرة هذه الأسرة علماً ومكانة اجتماعية ووظيفية فلم أعثر لها إلا على ثلاث مصاهرات فقط، كانت الأولى زواج مؤسس الأسرة محمد من أسرة عبد الواحد الحسيني[٢] رغبة في شرف المصاهرة بإلحاق أسرته بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم[٣]. كما صاهرت أسرة ابن فرحون، أسرة ابن صالح كما تقدم[٤]، وقد أوضحت أسباب تلك المصاهرة.

خامساً: أسرة التستري[٥] أو الششتري

صاهرت هذه الأسرة كلا من أسرة ابن صالح، والخجندي وقد تحدثت سابقاً عن مصاهرتهم لأسرة ابن صالح[٦].

سادساً: أسرة الكازروني[٧]

صاهرت هذه الأسرة عدداً من الأسر العلمية المعروفة في المدينة مثل أسرة المراغي، والزرندي ، والخجندي، وأخرى أقل أهمية وتأثيراً مثل الشامي المدني، والخشبي، والصبيبي.

---

(١) السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٠٣- ٤٠٩، ٣/ ٧٠٦- ٧٠٩.

(٢) السخاوي التحفة، ٢/ ١٦٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٣ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٠٤، ٣/ ٧٠٧- ٧١٠.

(٤) الفاسي، العقد، ٢/ ٢٩٣- ٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٤/ ١٣١- ١٣٢، ٥/ ١٠٩، ٩/ ٨٦.

(٥) نسبة إلى تستر، أعظم مدينة بخوزستان، وهو تعريب شوشتر، ولذا يقال لمن ينتمي إليها التستري أو الششتري، السمعاني، الأنساب، ١/ ٤٦٥، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٢٩.

(٦) عن مصاهرتهم لأسرة ابن صالح انظر، السخاوي، الضوء، ٢/ ١٧١، ٩/ ١٩٥، السخاوي، الضوء، ٦/ ٣١٤- ٣١٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٦٩- ٤٧٢.

(٧) نسبة إلى كازرون مدينة بفارس بين البحر وشيراز، وهي دمياط الأعاجم خرج منها جماعة من العلماء والفضلاء، المقدسي، احسن، ص ٣٣١، السمعاني، الانساب، ٥/ ١٤ ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٤٢٨.

كانت العلاقة العلمية بين أسرة الكازروني، والمراغي قوية، فقد تفقه الجمال محمد بن أحمد الكازروني على يد عالم المدينة أبي بكر بن الحسين المراغي[١]، كما سار ابنه محمد على نهجه فأخذ عن أبي بكر المراغي[٢] بعض علومه. وارتبط بعلاقة علمية بابنه أبي الفرج محمد بن أبي بكر المراغي، وتوجت تلك العلاقات بزواج محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الكازروني من ابنة أبي الفرج المراغي فازدادت العلاقة قوة بعد تلك المصاهرة[٣]. كما صاهر فرع آخر من أسرة الكازروني وهو فرع العز عبد السلام بن محمد[٤]، كما صاهر آل الكازروني أسرة الخجندي[٥] وكان للصلة العلمية أثرها في تلك المصاهرات ومن الأسر التي صاهرتها، أسرة الزرندي[٦]. وكان للصلة العلمية أثر في تلك المصاهرتين. كما حدثت مصاهرة واحدة داخل أسرة الكازروني[٧].

(١) كان أبو بكر المراغي معجباً بالجمال الكازروني وقال عنه «أنه قام عنا بفرض كفاية لإقباله على الإقراء وشغل الطلبة» السخاوي، الضوء، ٧/ ٩٦- ٩٧.

(٢) السخاوي، الضوء، ٩/ ٤٤.

(٣) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٩٧- ١٩٨، ١١/ ١١٣، ١٢، ١٠٢.

(٤) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٦، ١١/ ٩٠، ١٢٣، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٤٢، السخاوي، الضوء، ١١/ ٢٩، ١٢/ ٣٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣٤- ٥٣٦. وقد ورد خطأ أن أبي بكر بن الحسين المراغي تزوج ابنة محمد بن التقي محمد الكازروني، فالكازروني عاش بين (٨١٣- ٨٧٧هـ/ ١٤١٠- ١٤٧٢م) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٦، فيما كانت وفاة أبي بكر المراغي سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، السخاوي، الضوء، ١١/ ٣٠، السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦١- ١٦٢، السخاوي، التحفة، ٣/ ١٢- ١٣.

(٥) السخاوي، الضوء، ٨/ ٥٧، ١١/ ٩٠، السخاوي، التحفة، ١/ ١٣٤- ١٣٥، ٢/ ٤٧٠، ٣/ ٤٥٠- ٤٥٢.

(٦) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٦٦- ١٦٧، السخاوي، التحفة، ٣/ ١١٠، ٤٩٨- ٥٠١.

(٧) السخاوي، الضوء، ١٠/ ١٥٥- ١٥٦، ١١/ ١٢٧.

ومن أسر المدينة التي صاهرتها أسرة الكازروني، أسرة الخشبي[1].

غير أنه يجدر بنا التنويه بوجود أسرة أخرى بمكة تدعى الكازروني لا تتصل بصلة نسب أو مصاهرة مع هذه الأسرة المدنية وقد عمل افراد تلك الاسرة بالأذان[2].

سابعاً : أسرة المراغي[3]

استقر مؤسس الأسرة أبو بكر بن الحسين المراغي الشافعي في المدينة قبل سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م واستوطنها لأكثر من خمسين عاماً حتى وفاته بها سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م[4] وقد صاهر المذكور أسرتين من الأسر المعروفة في المدينة وهما الكازروني والمدني[5]. ويلاحظ أن التوافق المذهبي بين الأسرتين له أثر في تلك المصاهرات حيث كلاهما شافعية المذهب .

كما صاهرت أسرة المراغي، أسرة الزرندي[6]. وكان للصلة العلمية التي ربطت الأسرتين أثر في تلك المصاهرة.

ومن الأسر التي صاهرتها، أسرة الخجندي[7].

(١) تنسب هذه العائلة إلى العلامة الشمس محمد بن محمد بن يحيى بن سالم ين عبد الله الخشبي المدني الحنفي، ومن أبنائه علي، عبد السلام، غانم، والأخير عمل مؤذن بالحرم النبوي، وانجب محمداً والد آمنة المذكورة، انظر السخاوي، الضوء، ٢٠٧/٤٠، ٢٢/٦، ١٥٩، ١٦٣/٧.

(٢) عن هذه الأسرة المكية انظر، الفاسي، العقد، ٥/٢، ٦٩، ١٥٦، ٨١/٣-٨٢، ١٠٨، ٩٤/٤، ٢٦٣، ٢١٢/٥، ٢١٣، ٤٢٨، ٤٣١، ٤٨٨، ٤٨٩ - ١٨٣/٦، ٢٣٣/ السخاوي، الضوء، ٢٠٦/٢- ٢٦/٩، ١٤٦، ٢٤٦، - ١٠٦/١١.

(٣) المراغي نسبة إلى المراغة من عمل أخميم في صعيد مصر، ياقوت، معجم البلدان، ١٢٣/١- ١٥٤ السخاوي، الضوء، ٢٩/٩، السيوطي، لب اللباب، ٢٤٨/٢ .

(٤) السخاوي، الضوء، ٢٩/١١.

(٥) السخاوي، الضوء، ٣٩/٤، ١٦١/٧- ١٦٢، ٢٩/١٢، ٣٦، السخاوي، التحفة، ٤٦٠/٢- ٤٦١، ١٢/٣-١٣ .

(٦) السخاوي، الضوء، ٢٥٣/٧، ١٠٢/١٢، السخاوي التحفة ٣/ ٣١، الأنصاري، تحفة، ص ١١.

(٧) السخاوي، الضوء، ٦٧/١، ٧٢/١١، السخاوي، التحفة، ٢١٩/١- ٢٢١.

ومن الأسر المدنية التي صاهرتها أسرة البكري[1].

كما صاهرت أسرة المراغي، أسرة المطري التي تلتقي معها في الأصل والمذهب[2]، كما تمت مصاهرتان من أسرة الكازروني كما سبق[3].

ثامناً: أسرة الخجندي[4]

لقد صاهرت هذه الأسرة عدداً من الأسر في المدينة ومن بينها أسرة الزرندي[5]، والمراغي[6]، اللتان كانتا لهما صلة علمية مع مؤسس الأسرة بالمدينة أحمد بن محمد بن محمد الخجندي، الذي قدم المدينة واستقر بها سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٥٨م[7].

كما حدثت مصاهرتان مع أسرة الكازروني[8].

كما صاهرت أسرة الششتري[9]. كما تزوج إبراهيم بن الجلال أحمد الخجندي من إبنة أحد المجاورين المغاربة ويدعى أحمد بن محمد بن عبد الله الشهاب المالكي النفطي[10]. كما صاهر آل الخجندي أسرة ابن الريس أو ابن

(١) السخاوي، الضوء، ٤/٣٦، ٧/ ١٩٠، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٥١- ٤٥٢ .

(٢) السخاوي، الضوء، ٧/٢٩٩- ٣٠٠، ٩/١٠١- ١٠٢، ٢٢٥ ١١/١٠٣، السخاوي، التحفة، ٣/٦٢٩.

(٣) السخاوي، الضوء، ١١/١٢٣، ٩/١٠٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٤٢.

(٤) نسبة إلى خجندة أو خجند، بلدة مشهورة فيما وراء النهر على طرف سيحون، السمعاني، الأنساب، ٢/٣٢٧، ياقوت، معجم البلدان، ٢/٣٤٧، السيوطي، لب اللباب، ١/ ٢٧٤.

(٥) السخاوي، الضوء، ٢/ ١٩٩، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٦١، ٣/ ٢٧٠.

(٦) السخاوي، الضوء، ٢/ ١٩٩، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٦٢.

(٧) السخاوي، التحفة، ١/ ٢٦٠.

(٨) السخاوي، التحفة، ١/ ١٣٤- ١٣٥، ٣/ ٤٥٠- ٤٥٢، السخاوي، الضوء، ١١/ ٦٥، ٩٠ .

(٩) السخاوي، التحفة، ١/ ٤٣، ٣/ ٤٧١.

(١٠) كان أحمد المغربي «أميناً على حواصل الحرم، وخدام الحرم» الفاسي، العقد، ٣/ ١٤٧، السخاوي، الضوء، ٢/ ١٣٩، السخاوي، التحفة، ١١/ ٢٣٩- ٢٤٠.

الخطيب المؤذنين بالحرم النبوي[1] كما تزوج أبو بكر بن محمد المراغي من ابنة أحمد بن محمد الخجندي[2]، كما حصلت مصاهرة واحدة داخل أسرة الخجندي[3].

تاسعاً: أسرة السخاوي[4]

تعد هذه الأسرة آخر الأسر العلمية استقراراً في المدينة في العصر المملوكي، فقد جاء جدهم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن العيد السخاوي المالكي[5]، إلى المدينة من القاهرة سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٥م متولياً قضاء المالكية عقب وفاة التاج عبد الوهاب بن محمد بن يعقوب المدني، وصاهر بها أسرة المطري [6]. كما صاهر حفيده محمد بن محمد بن محمد بن أحمد السخاوي أسرة المطري [7].

ومن الواضح أن زواج القاضي شمس الدين السخاوي وحفيده من أسرة المطري يعود للأصل الاجتماعي المشترك. أما خير الدين محمد بن محمد السخاوي فقد صاهر أسرة الزرندي [8]. كما صاهر أخوه أسرة المرتضى الكناني التي عملت بالآذان في المسجد النبوي منذ النصف الثاني من القرن السابع

(١) السخاوي، الضوء، ٢/ ٩٠، ٧/٩٣- ٩٤، السخاوي، التحفة، ٢٢٨/١.

(٢) السخاوي، الضوء، ١١/ ٧٢، السخاوي، التحفة، ٢١٩/١- ٢٢١.

(٣) السخاوي، الضوء، ٦/ ٣١٤، ١١/١٩٩- ٢٠٠، السخاوي، التحفة، ١٤٣/١.

(٤) نسبة إلى سخا كورة بمصر، وقصبتها سخا بأسفل مصر، تقع غربي الفسطاط، ياقوت، معجم البلدان، ١٩٦/٣، السخاوي، الضوء، ٢٠٦/١١، السيوطي، لب اللباب، ١٣/٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ٧/ ١١٠، السخاوي، التحفة، ٥٠٨/٣- ٥١١.

(٦) السخاوي، الضوء، ٤/ ٣٠٤، ٧/ ١١٠، السخاوي، التحفة، ٥٨/٣.

(٧) السخاوي، الضوء، ٩/ ٢٢٥- ٢٢٦، ١١/١٩٨- ١٩٩، ٢٢٧.

(٨) السخاوي، الضوء، ٩/٤٧- ٤٨، الأنصاري، تحفة، ص ١١.

الهجري[1]. ويتضح أن هذه المصاهرة تتصل بالأصل الاجتماعي لانتماء الأسرتين إلى مصر. كما صاهرت أسرة السخاوي إحدى الأسر المدنية الشريفة، وتدعى أسرة الحسيني[2]. وليس لهذه المصاهرة الأخيرة خلفيات علمية واجتماعية وإنما يظهر أن أسرة السخاوي أرادت التشرف بهذه الأسرة الحسينية بمصاهرتها كما هو السائد في ذلك العصر[3].

النتائج العامة:

١- عبرت المصاهرات عن شريحة اجتماعية مهمة من شرائح مجتمع المدينة وهم العلماء وطلبة العلم.

٢- أعطت تلك المصاهرات مؤشرات حول الانتماء الاجتماعي للكثير من الأسر في المدينة والتي من خلالها اتضح أن كثيراً من العائلات تنتمي إلى أصول مصرية، وفارسية، وتركية وشامية ومغربية.

٣- أن كافة الأسر العلمية تنتمي إلى أصول اجتماعية من خارج المدينة، بل ومن خارج الجزيرة العربية قدمت المدينة ابتداءً من القرن السابع الهجري، واستمر وصولها حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري[4].

---

(١) السخاوي، التحفة، ١/٤٥٦- ٤٥٨، ٣/٤٨- ٥٠.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/٥٨ وورد اسمه عبد الكبير في السخاوي، الضوء، ٤/٣٠٤، ١١/١١٣.

(٣) كانت بعض العائلات وبخاصة العلمية منها التي تنتمي إلى أصول مختلفة تطمح في مصاهرة الأسر الحسنية أو الحسينية لشرفها وللرفع من شأن أسرهم كما حدث مع أسرة ابن فرحون، وعبد الواحد الحسيني، السخاوي، التحفة، ٣/٧٠٧.

(٤) قدمت أول أسرة علمية في العصر المملوكي إلى المدينة وهي أسرة المطري قبل ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م السخاوي، التحفة، ٣/٤٦٦، أما آخر أسرة قدمت إلى المدينة فهي السخاوي، التي قدمت سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، انظر: السخاوي، الضوء، ٧/ ١١٠.

٤- استمرت بعض الأسـر في المدينة حتى العصر العثمـاني كأسرة الزرندي التي عرفت بالأنصاري[(١)]، والخجندي[(٢)]، والكازروني[(٣)].

٥- أتضح أن المصـاهرات انحـصرت بشكل أسـاسي بين الأسـر العلميـة، ووجدت حالات قـليلة من المصاهرات مع أسر وأفراد خـارج نطاق تلك الأسر ممن تمتعوا بمكانة علمية[(٤)]، أو اجتماعية[(٥)]، أو وظيفية[(٦)].

٦- صاهرت بعض الأسر المدنية أسراً مكية مثل ابن ظهيرة[(٧)]، والحرازي[(٨)] وهاتان الأسرتان كانت تتمتعان بمكانة علمية بارزة في مكة وتولى بعض أفرادها القضاء والخطابة والإمامة، وأسرة الزمزمي[(٩)] التي تولت السقاية من بئر زمزم.

٧- صاهر بعض أفراد تلك الأسر المدنية في بداية استقرارها في المدينة أسراً أو أفراداً لا يتمتعون بمكانة علمية أو اجتماعية[(١٠)].

---

(١) الأنصاري، تحفة، ٧/ ٣٤.

(٢) الأنصاري، نفسه، ص ٢٠٧- ٢٠٩.

(٣) الأنصاري، نفسه، ص ٤١٠- ٤١١.

(٤) مثل يحـيى بن عبد السـلام بن محمـد بن مزروع الذي ينتمي إلى بيت علم، السـخاوي، التحـفة، ٣/ ٤٥.

(٥) مثل أسرة البكري المدني، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٥٢، وعبد الواحد الحسيني، السخاوي، التحفة، ٣/ ٧٠٧- ٧١٠ وعبد الكافي الحسيني، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٨.

(٦) مثل أسرة المرتضى الكناني المصري، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٨- ٤٩، وأسرة النفطي، السخاوي، التحفة، ٩/ ٢٣٩- ٢٤٠.

(٧) الفاسي، العقد، ٢/ ١٢٣، ٨/ ٣٥٠، السخاوي، الضوء، ١٢/ ١٤٥.

(٨) الفاسي، نفسـه، ٣/ ١١٦- ١١٨، ٨/ ٢٩٥- ٢٩٦، ابن حـجر، الـدرر، ١/ ١٥٠ السخـاوي، الضوء، ١٢/ ١٤٥.

(٩) السخاوي، الضوء، ٤/ ٢٠٦، ١٢/ ٣٢ .

(١٠) مثل أسرة المؤذن، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٥٥، ٣/ ٤٦٩، ٦٤١- ٦٤٢.

٨- انتشرت حالات الزواج بأكثر من واحدة في الأسر العلمية وهذا يرجع في نظري لمحاولة تلك الأسر توطيد العلاقات الاجتماعية والعلمية بين أفرادها[1].

٩- تشكل الصلات العلمية بين أفراد الأسر العلمية سبباً لبعض المصاهرات حيث أن كثيراً من أفراد تلك الأسر يتلقون علومهم على أكثر من عالم وفي فترات متفاوتة إلا أن الاشتراك في الأصل الاجتماعي والمذهبي تبين من خلال الدراسة أنهما سببان أقوى من الصلة العلمية في المصاهرات بين الأسر العلمية.

١٠- بلغ عدد حالات المصاهرة بين تلك الأسر ٨٤ حالة ومن الناحية المذهبية شكل المذهب الشافعي نصف عدد حالات المصاهرة يليه المذهب الحنفي ١٨ حالة، ثم المذهب المالكي ٨ حالات، ثم المذهب الحنبلي حالة واحدة، والباقي غير محدد.

وفيما يختص بأصول أفراد تلك الأسر تنتمي ٣٣ حالة إلى أصل مصري يليها ٢٥ حالة تنتمي لفارس وبقية الحالات من أصول أخرى بنسب متفاوتة.

ومن خلال ما سبق يمكن توزيع الانتماء الاجتماعي والمذهبي أي أصولهم الاجتماعية والمذهبية على النحو التالي:

(١) السخاوي، الضوء، ٧/١٦٢، ٩/١٠٢، ١٢/ ٣٥، ١٠٢، ٢٣٨ -٢٣٩، السخاوي، التحفة، ٢/٢٦١، ٢٦٢.

أولاً : حالات مصاهرة أسرة المطري ، شافعية المذهب، مصرية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٣	مصر	٤
المالكي	٢	فارس	٣
الحنفي	٢	البصرة، العراق	١
الحنبلي	١	غير محدد	١
غير محدد	١		
المجموع	٩	المجموع	٩

- أسـرة المطري شافـعـية المذهب وحـالات المصـاهرة على هذا المذهب ٣ أي الثلث.

- أغلب حالات المصاهرة مع أفراد ذوي أصول مصرية.

ثانياً: أسرة الزرندي : شافعية وأحناف / فارسية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	١٤	مصر	٩
الحنفي	٢	فارس	٤
المالكي	١	مكة	٢
		اليمن	١
		ماوراء النهر	١
المجموع	١٧	المجموع	١٧

- شكل المذهب الشافعي الأغلبية في مصاهرات الأسرة.
- أغلب المصاهرات مع أسـر ذات أصول مصرية وربما كـان للعامل المذهبي أثره، نظراً لأن معظم تلك الأسر المصرية على المذهب الشافعي.

ثالثاً : أسرة ابن صالح : شافعية المذهب ، مصرية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٦	مصر	٣
المالكي	٢	تونس	٢
الحنفي	١	فارس	٢
غير محدد	٢	الشام	١
		المغرب	١
		المدينة	١
		غير محدد	١
المجموع	١١	المجموع	١١

- شكلت حالات المصاهرة على المذهب الشافعي الأغلبية ٦ من ١١ حالة .
- من حيث الأصل يحتل ذوي الأصول المصرية المركز الأول .

رابعاً : أسرة ابن فرحون : مالكية المذهب ، تونسية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٢	مصر	٢
غير متحدد	١	المدينة	١
المجموع	٣	المجموع	٣

خامساً : أسرة الكازروني : شافعية المذهب، فارسية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	١٠	مصر	٤
الحنفي	٣	فارس	٤
		ما وراء النهر	٢
		المدينة	٢
		الشام	١
المجموع	١٣	المجموع	١٣

- شكلت حالات المصاهرة على المذهب الشافعي الأغلبية ١٠ من ١٣ حالة.

- هناك حالة من التوازن بين الأصول الفارسية والمصرية .

سادساً : أسرة التستري: شافعية المذهب، فارسية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	١	مصر	١
الحنفي	١	ما وراء النهر	١
المجموع	٢	المجموع	٢

سابعاً : أسرة المراغي: شافعية المذهب ، مصرية الأصل

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٦	فارس	٧
الحنفي	٤	ما وراء النهر	٢
الحنفي	٣	المدينة	٢
		اليمن	١
		مصر	١
المجموع	١٣	المجموع	١٣

- شكلت حالات المصاهرة على المذهب الشافعي ٦من ١٣ .
- أغلبية المصاهرة مع الأسر ذات الأصول الفارسية حيث شكلت ٧ من ١٣ .

ثامناً: الخجندي : أحناف المذهب ، بلاد ما وراء النهر

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٦	فارس	٤
الحنفي	٢	مصر	٣
المالكي	١	ماوراء النهر	١
		المغرب	١
المجموع	٩	المجموع	١٧

- نظراً لكون المذهب الشافعي هو السائد في المدينة، فقد شكلت مصاهرات هذه الأسرة على هذا المذهب الأغلبية ٦ من ٩ حالات.

- تشكل الأصول الفارسية الأغلبية في مصاهراتها ٤ من ٩ حالات.

تاسعاً : السخاوي: مالكية المذهب، مصرية الأصل .

المذهب	العدد	الأصل	العدد
الشافعي	٤	مصر	٥
الحنفي	٢	المدينة	١
المالكي	١	فارس	١
المجموع	٧	المجموع	٧

- رغم أن أسرة السخاوي مالكية المذهب فقد شكلت مصاهراتها على المذهب الشافعي الأغلبية ٤ من ٧ علماً أن كثيراً من العائلات المدنية على المذهب الشافعي.

- علاقة الأسرة بأصولها المصرية كان عاملاً حاسماً في مصاهراتها خاصة أن مجيئها إلى المدينة كان متأخراً عن باقي الأسر.

وسنلاحظ أن المصاهرات التي تمت بين الأسر العلمية سيكون لها أثر واضح في تقليد بعض الوظائف الدينية.

الفصل الرابع
الأحوال الدينية

أولاً: المذاهب الفقهية .

ثانياً: الوظائف الدينية.

أ- الوظائف في المسجد النبوي.

١ - الأئمة ، والخطباء

٢ - خدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة

٣- المؤذنون

٤- الفراشون والبوابون

٥- السقاؤون

٦ - وظائف أخرى

ب- قضاة المدينة.

كـانت المدينة وسائر الحـجـاز قد خـضعت للنـفوذ الفـاطمي منذ أن دخل الفاطميون مصر سنة٣٥٨هـ/ ٩٦٨م[1] ولتأكيد سلطة الفاطميين عليها أنفذ المعز عسكراً وأحمـال مال ـ عدتها عشرون حـملاً ـ للحرمين، وعدة أحمـال متاع، وذلك في ذي القعدة سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م[2] وبدأت الدعوة الفاطمـية بالتغلغل في الحجاز منذ ذلك الـوقت ففي سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م دعى فيه للمـعز الفاطمي بمكة والمدينة[3] وكـان للتـوافق المذهبي بـين أمراء المـدينة الحـسـينين والخلفـاء الفاطميين، أثره في ولاء أشراف المدينة للفـاطميين، حيث كان أمراء المدينة على مذهب الشيعة الإمامية[4] فيما كان الفاطميون على المذهب الإسماعيلي[5]. وفي العهد الأيوبي ظلت الأحـوال الدينية المذهبية في المدينة على سابقتـها في العصر

(١) ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبدالله، كنز الدرر وجامع الغـرر جـ٦، الدرة المضيئة في أخـبار الدولة الفاطمية، تحقيـق صلاح الدين المنجد، (د. ط، المعهـد الألماني للآثار، القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م) ص ١٢٠.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمـة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال (د. ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ص ١٢٢.

(٣) المقريزي، نفسه، ص ٢٢٥.

(٤) الشيـعة الإماميـة أطلق عليهم هذا الاسم لأنهم جعلوا من الإمـامة القضيـة الأساسية التي شـغلتهم ودارت حولها مـعظم عقائدهم وتعلقت بها أبحـاثهم ويطلق على هؤلاء أيضاً الشيعـة الاثنا عشرية بسوقـهم الإمامة في اثني عشـر إماماً بدءاً من علي بن أبي طالب وانتـهاءً بمحمد المهـدي بن الحسن الملقب بالمهدي المنتظر ولتفصيلات أكثر انظر د. أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين «الخـوارج والشيـعة» (ط١، مركـز الملك فيـصل للبحوث والدراسـات الإسلامـية، الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص ١١٩- ١٢٠.

(٥) ينتسب الإسماعيليـة إلى إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق. وقد تفـرعت هذه الطائفة من الشيعة الإمامية بعد موت جـعفر سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م إذ من تسموا بالإسماعيلية لم يعـترفوا بإمامة موسى الكاظم الإمام السابع للاثنا عـشرية، وساقوا الإمامـة بدلاً عنه إلى إسماعيل أو ابنه محمـد، أحمد محمد جلي، دراسة، ص ١٩٣- ١٩٤.

الفاطمي دون تغيير يذكر، غير أن تغييراً أساسياً قد حدث في أحوال المدينة الدينية منذ أن تبوأ المماليك مقاليد السلطة في مصر وأصبح لهم الإشراف على الحرمين الشريفين، وسنتحدث عن تلك الأحوال في نقطتين أساسيتين هما:-

أولاً : المذاهب الفقهية

كان المذهب السائد المعمول به في الأحكام في المدينة، في العصرين الفاطمي والأيوبي، وأوائل العصر المملوكي؛ هو المذهب الجعفري أو الإمامي الاثنا عشري، غير أنه وردت إشارات إلى وجود بعض القضاة من أهل السنة في المدينة خلال تلك الفترة، ومن هؤلاء الحسين بن أحمد بن علي أبي النصر الحنفي قاضي الحرمين[(١)] وعبدالله بن يحيي بن عبدالرحمن الشيباني الطبري المكي قاضي الحرمين [(٢)] وأحمد بن أبي بكر بن محمد الطبري المكي الشافعي قاضي الحرمين[(٣)]. ومن الواضح أن هؤلاء جميعاً كانوا أساساً قضاة في مكة ثم ندبوا لتولي القضاء في المدينة لفترة وأصبحوا قضاة للمدينتين في وقت واحد، وربما يدل ذلك على قلة أتباع مذاهب أهل السنة في المدينة خلال تلك الفترة.

لقد كان للتطورات السياسية في مصر أثر في انتشار المذاهب الشيعية في الحجاز؛ وبخاصة في مدنها الرئيسية مثل مكة والمدينة وينبع، فمنذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، استولى الفاطميون كما تقدم على مصر، وحاولوا مد نفوذهم السياسي والمذهبي على الحجاز، حينما قدم طاهر بن مسلم

(١) (توفي ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)، القرشي، عبدالقادر بن محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، جـ ٢ (د. ط، دار العلوم، الرياض ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص١٠٠ . السخاوي، التحفة ١/٥٠٣.

(٢) (توفي بعد سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م)، الفاسي، العقد، ٥/٢٩٩٨، السخاوي، نفسه، ٢/ ٤٣٤

(٣) (توفي سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)، الفاسي، نفسه، ٣/ ٢١، السخاوي، نفسه، ١/ ١٧٣-١٧٤.

الحسيني من مصر إلى المدينة فولاه أهلها إمارة المدينة سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م[١] وفي فترة زمنية لاحقة أي في سنة ٣٦٤هـ بدأ يخطب للخليفة الفاطمي المعز لدين الله[٢]، ولا نعرف إن كان ذلك بمبادرة من نفسه، أم كان إذعاناً لطلب من الخليفة الفاطمي، وبدأ المذهب الشيعي الإمامي في الانتشار منذ تلك الفترة رغم أن الفاطميين كانوا إسماعيلية المذهب.

أدى قصر إسناد منصب القضاء والخطابة والإمامة على فقهاء من الشيعة إلى انتشار المذهب الإمامي الاثنا عشري ـ وهو المذهب الرئيسي من مذاهب الشيعة ـ خلال العصرين الفاطمي والأيوبي وخاصة بين أشراف المدينة والعامة من سكانها[٣]، وقد تعززت مكانة هذا المذهب برعاية واهتمام أشراف المدينة وحث الناس على اعتناقه[٤]، ووصلت قوة هذا المذهب ذروتها بقدوم أسرة القيشاني من العراق[٥]، ورغم أن ابن فرحون لم يحدد الفترة الزمنية التي قدمت فيها أسرة القيشاني إلى المدينة، إلا أنه من الواضح أن فقهاء هذه الأسرة قد عملوا على تعزيز مكانة هذا المذهب بالترغيب والتقرب من قلوب العامة.

---

(١) كان والده مسلم واسمه محمد بن عبيدالله بن طاهر يدير أمر مصر أيام كافور ولما اختل وضعف أمر الدولة الإخشيدية دعا مسلم للمعز لدين الله بمصر، ابن حزم، جمهرة، ص ٥٥ . القلقشندي، صبح، ٢٩٨/٤، وفي تولية إمارة المدينة انظر ابن خلدون، تاريخ، ١٢/٤، محمد جمال الدين سرور، سياسة الفاطميين الخارجية (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٦م) ص ٢٢ .

(٢) المقريزي، اتعاظ، ص ٢٢٥، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٥٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل أ، وأغلب العامة فلاحون يطلق عليهم النخاولة، انظر العياشي، الرحلة، ص ١٦، ٢١١-٢١٢.

(٤) ساعد على تمادي أشراف المدينة في دعم المذهب الإمامي المكانة التي تمتعوا بها في العصر الأيوبي وبخاصة مع صلاح الدين الأيوبي انظر السخاوي، التحفة، ٤ .٤٠ .

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ل ب، السخاوي التحفة، ٣/ ٣١٥ .

وفي العصر الأيوبي أدى انشغال السلطان نور الدين زنكي والسلطان صلاح الدين الأيوبي بأمر الجهاد ضد الصليبيين، إلى بقاء الوضع المذهبي على سابقه في العصر الفاطمي؛ من حيث انتشاره وتعزيز مكانته[١]، وقد وضح مدى تحكم فقهاء الإمامية في أمور المدينة الدينية فيما ذكره ابن جبير[٢]، الذي وصل إلى المدينة سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م أي في عهد صلاح الدين الأيوبي وشاهد في المسجد النبوي أموراً منكرة يمارسها خطيب وإمام الحرم ووصفه بأنه على مذهب غير مرضي؛ ويقصد بذلك مذهب الشيعة الإمامية، ورغم سيطرة فقهاء الشيعة على أمور القضاء، والخطابة، والإمامة في المدينة خلال العصر الأيوبي؛ فقد ذكر أن لأهل السنة إماماً يصلي بهم الصلوات فقط وكان السلطان بعد ذلك يبعث مع الحاج شخصاً يقيم لأهل السنة الخطابة والإمامة إلى نصف السنة، ثم يأتي غيره مع الرجبية إلى ينبع[٣].

كما كان في العصر الأيوبي فقهاء من السنة، مقيمين بالمدينة، من أسرة تدعي المجد، وكانت علاقة هذه الأسرة مع أشراف المدينة غير مستقرة على حال، فأحياناً تكون العلاقة وثيقة مثل علاقتهم بإمام الحرم من هذه الأسرة حيث كان «معظماً عند الشرفاء محبباً إليهم وقد ملك أملاكاً أصلهم من تمليكة الشرفاء له كأثارب وغيرها»[٤].

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ل ب.

السمهودي، علي بن عبدالله، الوفا بما يجب لحضرة المصطفى ضمن كتاب رسائل في تاريخ المدينة (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م) ص ١٤٢.

(٢) الرحلة، ص ١٧٩-١٨٠

(٣) السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٤.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل ب .

ويتضح من ذلك أن أشراف المدينة أغدقوا على إمام الحرم من أهل السنة ومنحوه أملاكاً إلا أن العلاقة لم تلبث أن تغيرت مع ذريته أو أبنائه من الأئمة فيشير ابن فرحون[1] إلى أنهم أقاموا في منصبهم مستضعفين يؤذون فارتحلوا بأولادهم وتركوا أملاكهم وكنت أسمع من كبار أهل المدينة، أن الشرفاء بعثوا إليهم وأمنوهم، أن يرجعوا إلى المدينة، فلم يفعلوا حتى أخذت أملاكهم وتملكت».

وممن تعرضوا لمضايقة أمراء المدينة من علماء السنة أيضاً أسرة النظام؛ الذين ملكوا أملاكاً بالمدينة غير أنهم اضطروا لتركها والارتحال عن البلاد نتيجة تعرضهم للمضايقات والاضطهاد على يد فقهاء المدينة والأشراف، وبالمدينة موضع ـ يسمى النظامية ـ منسوب إليهم[2].

غير أن هذه العلاقة المتذبذبة التي ربطت أشراف المدينة بفقهاء السنة يثير تساؤلاً حول قضية التشيع لديهم، فالسياسة العملية التي تحكم العلاقة بين أمراء المدينة من الأشراف والسكان وبخاصة أهل السنة هي، الإحسان إلى فقهاء السنة لإحداث نوع من التوزان في السياسة الداخلية .

وكانت الخطابة والقضاء بأيدي آل سنان بن عبدالوهاب بن نميلة الوحادي المدني، وكان عبدالوهاب بن نميلة أول من تولى القضاء والخطابة من هذه الأسرة الحسينية[3]، وخلفه في منصبه في القضاء والخطابة ابنه شمس الدين سنان[4]

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٧ ل ب .

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل ب

(٣) السخاوي، التحفة، ١١٣/٣.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ل أ، السخاوي، نفسه، ٢٠/ ١٩٥-١٩٦.

وخلفه في مناصبه أبناؤه، نجم الدين مهنا[1] بن سنان ، وعلي بن سنان[2]، وعيسى بن سنان[3]، وقاسم بن سنان[4]، ومن فقهائهم أيضاً حسن بن سنان قاضي الإمامية في إمارة طفيل بن منصور على المدينة (٧٢٨-٧٥٠هـ)[5]. غير أن الأوضاع المذهبية في المدينة بدأت في التحول التدريجي لصالح أهل السنة ابتداءً من النصف الثاني من القرن السابع الهجري ففي سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م، أخذت الخطبة من آل سنان خطباء وأئمة وقضاة الإمامية وأسند أمرها لأحد علماء السنة الذي قدم من مصر لهذا الغرض وهو الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد الأنصاري الدمنهوري الشافعي[6] وقد واجه في بداية توليه لمنصبه الأذى من فقهاء الإمامية والعامة فصبر واحتسب حتى تمكن من التغلب على تلك المصاعب بفضل حنكته وبعد نظره، فقد تزوج ابنة القيشاني، رئيس الإمامية وفقيهها، فكفوا أذاهم عنه، وتمكن بعد ذلك من بسط نفوذ أهل السنة، فانتزع القضاء من الشيعة، وأسندها لأهل السنة بأمر من السلطة المملوكية[7].

لقد بدأت مذاهب أهل السنة منذ أواخر القرن السابع الهجري تكتسب القوة نتيجة لدعم السلطة المملوكية في القاهرة، والقضاة، وبعض الفقهاء من داخل المدينة وخارجها، كما أن تزايد أعداد المجاورين والوافدين إلى المدينة من

---

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٦ ل أ،

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣/ ٢٢٢

(٣) السخاوي، نفسه، ٣/ ٣٨٢

(٤) السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٠٠.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٢ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم، (خ) ورقة ٢٤٥ ل ب . ٢٤٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/٢٥٨-٢٦٠.

(٦) (توفي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م)، الأسنوي، طقات، ٢/ ٧٢، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٤-٢٢٥، السخاوي، نفسه، ٣/ ٣١٢-٣١٧.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل أ.

مـختلف بقـاع العـالم الإسلامي؛ كـان له أثره في تقـوية مـذهب أهل السنة وإضعاف تـأثير المذهب الإمامي على الأوضاع الدينيـة والاجتماعـية، رغم أن أمراء المدينة من الأشراف الحسيـنيين كانوا في أغلبهم على المذهب الإمامي، ثم أضيف للسراج القضاء بتقليد من السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وظل آل سنان قضاة على اتباعهم من الشيعة فقط[1].

ويتـضح من دراسة مـصادر تاريخ المدينة في العـصر المملوكي، أن مـعظم المجاورين الذين وفـدوا على المدينة، كانوا على مذاهب أهل السنة، وقـد أخذ بعض هؤلاء المجاورين الذين وفدوا على المدينة بالتـتلمذ على علماء المدينة من أهل السنة، وأحياناً يكون مذهب التلميذ غير مذهب الشيخ، وهذا أدى ببعض الدراسين إلى التحول من مذهب إلى آخر؛ إما بسبب تأثير الشيوخ عليهم ـ أو لأسباب منفعـية أخرى، أو لأسباب سياسـية أو علمية أو مذهبيـة أو وظيفية، كرغـبة بعـضهم في التـدريس في الحرم النبوي أو إحـدى المدارس أو الأربطة الموقوفة على بعض المذاهب، أو لتولي بعض الوظائف الدينية كالقضاء والخطابة والإمامـة، وما تحمله تلك الوظائف من طابع سـياسي، ونتيـجة لذلك نشطت الحركة العلمية نشاطاً كبيراً في المدينة، على أن المذهب الإمامي الذي انتشر في العهدين الفاطمي والأيوبي بين الأشراف والعـامة، وبخاصة الفلاحين من أهل المدينة أخذ بالانـحسار التـدريجي، ابتداءً من أواخر القـرن السابع الهـجري، الثالث عشر الميـلادي مع بقاء أتباعه ومعتنقيه دون نفـوذ يذكر، ويعود الضعف كمـا أسلفت للإرادة السياسيـة لدولة المماليك، التي عمـلت على تعزيز مكانة أهل السنة في المدينة؛ بإرسـال القـضاة والخطبـاء والأئمة، فـإضافـة إلى دور

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٥.

القاضي السراج، نجد أن القاضي المصري شرف الدين أبي الفتح محمد الشافعي المعروف بابن الأميوطي(١) قد تصدى للشيعة، وأضعف شوكتهم، وكان كما يقول ابن فرحون(٢) فيه «شدة على الأشراف، له هيبة عظيمة، سقاهم المر وأذاقهم الصبر، وأما سطوته على الإمامية وتوبيخه لهم في المحافل، وسبهم على المنبر فأمر مشهور، لا يحتاج إلى وصف، ولا تكاد السنين تبيد ذكره، وكان إذا قام في الأمر لا يرجع عنه ولو خوف في عاقبته وكان متمسكاً بالسنة، يتبع أشدها ويحمل نفسه على أشقها» غير أن المذكور لم يستطع مع ذلك أن يعزل قضاة الإمامية عن منصب القضاء في المدينة(٣). كما شارك بعض المجاورين في التصدي لمذهب الإمامية، ومحاولة إضعافه، ومن هؤلاء الصاحب زين الدين أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن حنا المصري(٤)؛ الذي تصدى لفقهاء الشيعة وقضاتهم من آل سنان والقيشانيين فهابوا كما يقول ابن فرحون(٥) «مكانه من السلطان، وأذعنوا، واستعملوا التقية، حتى رجعوا فيما زعموا كلهم سنية»، ويتضح من ذلك أن لهيبة الدولة المملوكية ونفوذ علمائها أثراً كبيراً في إضعاف شأن فقهاء الإمامية.

من دراسة الأحوال السياسية والمذهبية، يتضح أن أغلب الحسينيين في المدينة من أمرائها وأعيانها كانوا إمامية المذهب، غير أن بعضهم مال إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وعمل على إعادة النشاط إليهم وتمكينهم في بعض فترات ضعفهم، ومن هؤلاء أمير المدينة سعد بن ثابت بن جماز الذي تولى منصب

(١) (توفي سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٢٧٦.

(٢) نصيحة، ورقة ٩٠ -٩١.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٢ ل أ.

(٤) (توفي سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م)، ابن حجر، نفسه، ١/ ٣٠٣.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨ ل ب، السمهودي، الوفاء، ص ١٤٣، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٤١.

الإمارة سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م فقد وصف بأنه «كان في دولته من أحسن الأمراء سيرة؛ شجاعاً، وافر الحشمة ناصراً للسنة قامعاً للبدعة متخلقاً بذلك، مستجلباً رضى السلطنة»[١] ، كما منع آل سنان قضاة الإمامية من التعرض للأحكام وعقد الأنكحة، وفوض الأمر جميعه لقضاة من أهل السنة[٢] ويتضح من ذلك؛ أنه إضافة لميل أمير المدينة لأهل السنة فإن تلك السياسة التي اتبعها كانت رغبة أيضاً في إرضاء السلطة المملوكية التي تدعم أهل السنة، وربما ينظر لهذا التوجه رغبته في الاحتفاظ بمنصبه، وارتباطه بعلاقة ودية مع السلطة المملوكية في القاهرة، كما نلاحظ اقتصار القضاء على شخص واحد هو القاضي الشافعي، وحتى عقود الأنكحة فوض أمرها لأهل السنة، خلافاً لما كان عليه الأمر حين مجيء السراج خطيباً وقاضياً أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، حيث كانت أحكام الشيعة وعقود أنكحتهم منوطة بفقهائهم، حيث أمر الشريف سعد؛ بأن «ينادى في المدينة وأسواقها جهاراً نهاراً، أن لا يحكم في المدينة إلا القاضي الشافعي، ومن فعل فقد وطن جرفاً منهاراً. فبطل أمرهم ونهيهم بالكلية وظهر على الكلية وهنهم ورهبهم»[٣] .

ومن الواضح أن حصر القضاء في القاضي الشافعي؛ كان القصد منه إرضاء السلطنة المملوكية أيضاً، والتي كان للقاضي الشافعي منزلة كبيرة لديها، في دار السلطنة المملوكية بالقاهرة، وربما كانت الأحكام منوطةً بالقضاة الشافعية بمصر، غير أن هذا لا يعني عدم وجود قضاة وأتباع للمذاهب الأخرى.

(١) ابن فرحون، نفسه، ٤ ورقة ١٠٩ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٢ ل ب السخاوي، نفسه ٢/ ١٢٦.

(٢) ابن حجر، الدرر، ٢/ ٢٢٨، السخاوي، نفسه، ١٢٦/٢.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ١٢٦/٢، ويقصد بعبارة فبطل بالكلية أمرهم أي أمر الشيعة الإمامية الاثنا عشرية .

ومن خلال الاطلاع على بعض المصادر المعاصـرة في العصر المملوكي تبين لنا أن للمذهب الشافعي الغلبة في الانتشار في معظم فترات العصر المملوكي، وهذا يفسر لنا تعـيين عدد كبير من القـضاة والأئمة والخطباء في المدينة من فـقهاء هذا المذهب. وقدم معظم أتباع هذا المذهب من مصر والشام وفارس، ويليه من حيث الكثـرة المذهب المالكي، وقدم مـعظم أفراده من المغـرب والأندلس، ثم المذهب الحنفي، وقدم أتباعه من شمال العراق وبلاد الروم، وما وراء النهر، والهند، ثم المذهب الجعفري الإمـامي الاثني عشري، ومعظم أتباعه ينـتمون لأشراف المدينة الحسـينيين وبعض سكان المدينة، وجـماعـات أخرى قـدمت من العراق، يلـيه المذهب الحنبلي وهو أقل المذاهب من حيث عدد أتباعه في المدينة[١].

ومن المعلوم أن المذهب الإمامي الاثني عشري كان الأكثر انتشاراً قبل العصر المملوكي، يتضح ذلك فيما أورده ابن فـرحون عن شخصية أبي بكر بن يوسف المحوجب النجار[٢]؛ فقد ذكـر سبطه عبدالله بن عمـر الخراز أن المذكور حين قدم المدينة لأول مرة سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، لم يكن بها من يتسمى باسم أبي بكر أو عائشة، فقرر أن يغير اسمه ثم عدل عن ذلك[٣].

وهذا يدل على مدى انتـشار مذهب الشـيعة الإمامـية خلال تلك الفتـرة؛ فمن المعلوم أن الشيـعة يكرهون التسمي بـأبي بكر وعائشة، والسؤال الذي يطرح نفـسه هل انتشر المذهب الإمامي الشيعي خلال العصرين الفاطمي والأيوبي بين بعض أهل المدينة وأشرافها فقط أم شمل بعض المجاورين الذين وفدوا إليها خلال تلك الفترة؟

(١) شمل ذلك الاطـلاع على عدد من المصـادر التاريخيـة مثل كـتب التراجم والطبـقات، أمـا الدراسة الإحصائية فشملت كتابي ابن فرحون، نصيحة المشاور، والسخاوي، التحفة اللطيفة .

(٢) هو أبو بكر بن يوسف المحوجب العسقـلاني الأصل المصري، كان نجاراً ولد سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م، وقدم المدينة سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م مـرسلاً من السلطان المملوكي الظاهر بيـبرس ومعه المنبـر المجدد للحرم النبوي توفى سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م تقريباً، ابن حجر، الدرر، ١/ ٥٠٣ .

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٠ ل ب، ورقة ٧١ ل أ.

مهما يكن من أمر، فإنه يمكن القـول: إن الهجرات التي تمت أواخر العصر الأيوبي وأوائل العصر المملوكي إلى المدينة من مخـتلف البلدان الإسلامية، كان لها أكبر الأثر في زيادة نسبة السنة على حساب الشيعة.

لقد كان أفراد تـلك الهجرات من خلفيات اجتـماعية ومذهبيـة متعددة، إلا أنها تتفق في انتمائها لأهل السنة والجماعة، وكان لدعم السلطة المملوكية للسنة في المدينة بتقليـد الوظائف الدينية المختلفة ومـشيخة الحرم لـه أثره في إضعاف شوكة الشيعة بصورة مـتزايدة، وكان المذهب الشافعي أسبق مذاهب أهل السنة في الانتشار بالمدينة، وهذا يـعود لكثرة فقهاء الشـافعية بمصر، وتقليـد بعضهم للوظائف بالمدينة كمـا سبق[1]، على أن المذاهب الأخرى نالت حظاً وافراً من الانتشار، وعلى رأسهـا المذهب المالكي، فقد كان لبعض فـقهائه دور في نشره في المدينة، خلال النصف الأول من القرن الثامن الهجري .

ومن المعلوم أن الإمام مالك بن أنـس ظهر في المدينة، غير أن مذهبـه انتشر بشكل أساسي فـي بلاد المغرب والأندلس، ثم ما لبث المـذهب المالكي أن عاد إلى الحجـاز، على يد عدد من فـقهـاء المغرب وعلى رأس هؤلاء أبو عـبدالله محمد بن غصن (مـحصن) الأنصاري القصري[2]، والشيخ أبو عبدالله محمد ابن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري الجياني التونسي[3] .

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٣ / ٢٢٤.

(٢) من أهل تونس جاور بالمدينة ثلاث مرات (٧٠٩هـ/٧١٨هـ/ ٧٢٠هـ) عالم بالقراءات توفي بالقدس ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، ابن فرحون، نفسه، ٣٣ ل أ- ٣٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٧٠٢-٧٠٥ .

(٣) والد عبدالله بن فرحون، مؤلف كتاب نصيحة المشاور، ولد بتونس ونزح إلى المدينة، وكانت وفاته بهـا ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، ابن فـرحـون، نفـسـه، ورقـة ٣٩ ل أ، ورقـة ١١٣ ل أ- ١١٤ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣/ ٧٠٦-٧١٠.

وقد أدى الخلاف حول تدريس الفقه المالكي بين القاضي عمر السراج والعالمين المذكورين إلى تعاظم نفوذ المذهب المالكي، ووجه الخلاف يتلخص حول قيام محمد بن فرحون بالتدريس للطلبة في المدرسة الشهابية، ومن هؤلاء طلبة مالكية وشافعية، مما أثار القاضي السراج وأغاظه، فضيق عليه وأخرجه من المدرسة، فأشار عليه أبو عبدالله محمد القصري بالتدريس في الحرم النبوي، كما تلقى دعم ومساندة شيخ الخدام بالحرم ظهير الدين، فكثر أتباعه على مذهب مالك، وبعد وفاة محمد بن فرحون سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م ضعف شأن المالكية لفترة قصيرة؛ نتيجة توقف التدريس بهذا المذهب، وتدخل السراج لمنع فقهاء المالكية من تدريسه لكن تولي عبدالله بن محمد بن فرحون التدريس أعاد للمذهب المالكي نشاطه وانتشاره(١). ويذكر البرهان إبراهيم بن فرحون(٢) في طبقاته «أنه بهمة وسياسة عبدالله بن فرحون أزال الله تعالى أحكام الطائفة الإمامية من المدينة فعزلت قضاتهم، وانكسرت شوكتهم وخمدت نارهم»، ابتداءً من سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م « بعد أن سعى في عزل قضاتهم فارتفع نتيجة لذلك شأن أهل السنة وعلا أمرهم»(٣).

أصبح المذهبان الشافعي والمالكي هما السائدين من بين مذاهب أهل السنة حتى سنة ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م حينما جاء شمس الدين بن العجمي إلى المدينة، فأخذ عدداً من الطلبة الدارسين للمذهب الشافعي وأمرهم بدراسة مذهب أبي حنيفة(٤)

(١) ابن فرحون، نصيحة، ٣٨-٣٩ ل أ. السخاوي، تحفة، ٢/ ٤٠٥.

(٢) ابن فرحون، إبراهيم بن علي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور جـ١، (د. ط، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٤٥٦.

(٣) ابن فرحون، الديباج، ١/ ٤٥٧ .

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٦ ل ب، ورقة ٣٧ ل أ.

فبدأ منذ تلك الفترة انتشار المذهب الحنفي في المدينة، على أن هذا المذهب كان له بعض الفقـهاء في المدينة قبل ذلـك التاريخ، ومن هؤلاء الشيخ عـبدالله بن المبـارك الهـذلي المسـعودي البسـتي المعـروف بالنظام[1]، والحسن بن يعلى العمري[2].

ويلاحظ من دراسـة انتشار المذاهب في المدينة خلال العصـر المملوكي من خلال الاطلاع علـى كتابي السـخاوي؛ التحفـة اللطيفة، والـضوء اللامع أن المذهب الإمامي الاثنى عـشري ربما كانت له الغلبة على بقـية المذاهب، خلال النصف الأول من القرن السابع الهجري؛ أي قبل قيام الدولة المملوكية، غير أنه في النصف الثـاني من ذلك القـرن، نجد أن المذهب الشـافعي بدأ يقـوى على حسـاب المذهب الإمامي، فـأصبح أتباع االمذهب الشـافعي يمثلون نسـبة ٤٥٪ تقريباً، يليهم أتباع المذهب الإمامي ٤١٪ تقريباً ثم الحنبلي ٩٪ تقريباً ثم المالكي ٤,٥٪ تقريباً، ولم نجد للمذهب الحنفي أتباعاً خلال تلك الفترة.

أما في القرن الثامن الهجري فقـد تعزز المذهب الشافعي، وازداد أتباعه على حسـاب المذاهب الأخرى، حـيث أصبح يمثل نـسبة ٤٢٪ تقـريباً يليـه المذهب المالكي ٢٧/٪ تقريباً ثم المذهب الإمامي الاثنى عشري ١٤٪ تقريباً، ثم الحنفي ١١٪ تقريباً وأخيراً الحنبلي ٥٪ تقريباً.

ويلاحظ بدء انحسار نفوذ المذهب الإمامي خلال القرن الثامن الهجري نتيجة جهود السلطنة المملوكية، وفقهاء المذاهب الأخرى، والمجاورين، ابتداء من نزع

(١) (توفي سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، ابن فـرحون، نصيحة، ورقة ٧٠-٧١، القـرشي، الجواهر، ٢/ ٣٢٧.

(٢) (توفي سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م)، السخاوي، التحفة، ١/ ٤٩٩.

الوظائف الدينية منهم، وانتهاءً بنشر تدريس فقه مذاهب أهل السنة في المساجد والمدارس والأربطة، كما بدأ المذهب الحنفي في الانتشار ابتداء من العقد الثاني من القرن الثامن الهجري، ونتيجة لذلك نجد تغييراً كبيراً لصالح مذاهب أهل السنة والجماعة، وفي القرن التاسع الهجري نجد استحواذ أتباع المذهب الشافعي على نسبة ٥٠ ٪تقريباً يليهم المذهب المالكي ٢٠٪ تقريباً، ثم المذهب الحنفي ٢٠٪ تقريباً، ثم الإمامي ٨٪ تقريباً وأخيراً المذهب الحنبلي ٢٪ تقريباً، وفي النصف الأول من القرن العاشرالهجري الذي شهد انتهاء دولة المماليك شكل الشافعية نسبة ٤٤٪ تقريباً يليهم الأحناف ٢٨٪ تقريباً ثم المالكية ١١٪ تقريباً ثم الحنابلة ١١٪ تقريباً وأخيراً المذهب الإمامي ٦٪ تقريباً.

ويلاحظ مما تقدم أن المذهب الإمامي الاثنى عشري بدأ في الانحسار التدريجي منذ النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، ومع انتهاء دولة المماليك في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، نرى أن نفوذه قد ضعف وانحسر بصورة حادة، وربما اقتصر انتشاره بين العامة وخاصة الفلاحين.

إن هذه الدراسة المتواضعة تعطينا مؤشراً عن التكوين المذهبي لسكان المدينة، والوافدين إليها، خلال العصر المملوكي، ومدى انتشار المذاهب المختلفة خلال تلك الفترة وأسباب ذلك الانتشار، كما يمكن القول: إن المذهب الشافعي كانت له الغلبة طوال العصر المملوكي؛ بفضل دعم السلطنة المملوكية لهذا المذهب باعتباره المذهب الرسمي للدولة، وتشجيع تدريسه، ودعم فقهائه، وقضاته مما يجعله المذهب شبه الرسمي في المدينة خلال العصر المملوكي.

البيانات الإحصائية للمذاهب الدينية وانتشارها في المدينة خلال العصر المملوكي من خلال كتابي السخاوي؛ التحفة اللطيفة، والضوء اللامع .

أولاً : أتباع المذاهب الدينية في العصر المملوكي

المذهب	العدد
الشافعي	٢٧٧
المالكي	١٢٧
الحنفي	.٩٦
الحنبلي	.٢٠
الإمامي الاثني عشري	.٦٦
المجموع	٥٨٦

ثانياً : التوزيع حسب القرون الهجرية

القرن	الشافعي	المالكي	الحنفي	الحنبلي	الإمامي
السابع	١٠	١	–	٢	٠٩
الثامن	٨٥	٥٤	٢٣	١٠	٢٩
التاسع	١٧٤	٧٠	٦٨	٦	٢٧
العاشر	..٨	٠٢	٠٥	٢	٠١
المجموع	٢٧٧	١٢٧	٩٦	٢٠	٦٦

ثانياً : الوظائف الدينية

أ- الوظائف في المسجد النبوي

١- الأئمة والخطباء

كانت الإمامة[١] والخطابة[٢] خلال العصرين الفاطمي والأيوبي بيد الشيعة الإمامية[٣]، وأول من تولى الخطابة في العصر الأيوبي منهم أسرة آل سنان بن عبدالوهاب الحسيني[٤]، حيث توارثها الأبناء عن الآباء، وأول من تولاها منهم عبد الوهاب بن نميلة الوحادي الحسيني[٥]، ثم تلاه في منصبه ابنه شمس الدين أبو هاشم سنان الذي لم يعقب غيره، وقد أسهب ابن فرحون في الحديث عنه فقال: إنه كان «يخطب على المنبر ويترضى عن الصحابة، ثم يذهب إلى بيته فيكفر عن ذلك بكبش يذبحه ويتصدق به[٦]، يفعل ذلك كل جمعة عقب الصلاة»[٧] ونلاحظ أن ذلك جزء من عقيدة الشيعة الإمامية، وهي التقية. كما أن كثيراً من المجاورين وهم من أهل السنة كانوا يحضرون صلاة الجمعة فكان الترضي عن الصحابة نوعاً من المداراة لهؤلاء. وقد أنجب المذكور عدداً من الأبناء وهم هاشم وبه يكنى، وعلي، وعيسى، وقاسم، والنجم مهنا، ويعقوب . كما أنجب هاشم حسناً ويوسف[٨] ، وقد تولى بعض أبنائه مناصب

(١) الإمامة من أمّ وأمّ بهم: تقدمهم، والإمام كل من ائتم به قوم، ابن منظور، لسان، ١/ ١٠١.

(٢) الخطابة من الخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، ابن منظور، نفسه، ١/ ٨٥٥.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٧ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقه ٨٧ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٥.

(٥) السخاوي، التحفة، ٣/ ١١٣.

(٦) هذه العبارة فيها شيء من المبالغة .

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ل أ.

(٨) السخاوي، نفسه، ٢/ ١٩٦.

الإمامة والخطابة والقضاء، ومن هؤلاء نجم الدين مهنا بن سنان الذي كان على علاقة حسنة بالمجاورين(١).

أمـا أهل السنة فكان لهم في العـهدين الفـاطمي والأيوبي إمـام يصلي بهم الصلوات فقط(٢).

وفي أوائل العـصر المملوكي كـان هناك إمام شـافعي المذهب يؤدي الـصلاة بالناس أمام المحراب العثماني(٣)، واستمر هذا الوضع حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهـجري حين سعى طوغان شيخ الأحمـدي في إحداث محراب للحنفـية أثناء سلطة السلطان المملوكي الأشـرف اينال غيـر أن خطوته تلك لم تحقق النجاح في البداية؛ بسبب معارضة أهل المدينة لتعدد أئمة المسجد النبوي، وقد ساند هذه المعـارضة أحد وزراء الدولة المملوكيـة وهو جمال الدين يوسف ناظر الخاص، غير أن وفاة جمال الدين أضعف تلك المعارضة، فتمكن طوغان من الحصول على مـوافقة السلطان، فصدرت المراسـيم السلطانية سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م بإحداث مـحراب للحنفـية إلى جـانب محراب الشـافعية(٤). ويرى السمـهودي أن حـالة تعدد الأئمة في الحـرم النبوي قـد انتقلت إليـه من الحرم

---

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٦ ل أ، وذكـر العاملي أنـه كان حيـاً سنة ٧٢٠هـ، محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، تحقيق حسين الأمين، جـ ١٠ (د. ط، دار التعـارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ص ١٦٨.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ٥٣.

(٣) السمهودي، وفاء، ٢/ ٦٨٣.

(٤) السخاوي، التحـفة، ٢/ ٢٦٧، وكان إحداث المحـراب باقتراح من الأمين الاقصـرائي على طوغان شيخ، السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٤٥، أما الصـيرفي، فيذكـر أن إحداث محراب للحنفـية تم سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م بمرسوم من السلطان المملوكي الملك الظاهر أبي سعيد برقوق، نزهة ١/ ٤٩٣.

المكي[1]. وقد تولى إمامة المقام الحنفي عدد من الفقهاء، وبخاصة من أسرة الخجندي، فكان أول إمام حنفي هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الخجندي، واستمر في هذه الوظيفة حتى وفاته سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م[2]. ثم خلفه في منصبه ابنه أحمد الذي استمر إماماً للحنفية حتى وفاته سنة ٨٨١هـ) ١٤٧٦م[3] ثم أعقبه أخوه البرهان إبراهيم، الذي تولى إمامة الحنفية في الصلاة حتى وفاته سنة ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م[4]، ثم خلفه في الإمامة ابن أخيه محمد بن أحمد الخجندي[5]، وكان ينوب عن عمه في الإمامة في حياته[6]. وشارك محمد في الإمامة أخاه علياً وبعد وفاة أبي البقاء محمد استمر علي إماماً لمقام الحنفية حتى وفاته، وهو في طريقه من مكة إلى المدينة سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م ودفن بينبع[7].

على أنه خلال العصر المملوكي كان الإمام الأصلي للمسجد النبوي شافعي المذهب[8]، وكثيراً ما جمع إليه الخطابة أيضاً.

كانت الخطابة كما أسلفت بيد آل سنان، ثم نزعت منهم سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م في عهد السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي[9]

---

(١) وفاء، ٢/ ٦٨٣.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ٢٤٣، ٣/ ٤٥٠- ٤٥٢، السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٤٥.

(٣) السخاوي، التحفة، ١/ ٢٢١، السخاوي، الضوء، ٢/ ٦٧.

(٤) السخاوي، التحفة، ١/ ١٣٤، السخاوي، الضوء، ١/ ١١٩.

(٥) كان موجوداً سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م انظر: السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٩٤. السخاوي، الضوء، ٧/ ٤٢.

(٦) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٩٤، السخاوي، الضوء، ٧/ ٤٢.

(٧) السخاوي، التحفة، ٣/ ٢١٧، السخاوي، الضوء، ٥/ ١٧٩.

(٨) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٨ل ب، الأسنوي، طبقات، ٢/ ٧٢، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٥.

(٩) السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي تولى السلطنة بين (٦٧٨- ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩- ١٢٩٠م) المقريزي، السلوك ١/ ٦٣٣- ٨٥٧، ستانلي لين بول، الدول الاسلامية ١/ ١٧٢.

وعين لها الشيخ سراج الدين عمر بن أحمد الخضري الشافعي، فقدم إلى المدينة من مصر وجمع بين الإمامة والخطابة، ثم عزل لفترة وجيزة، وعين مكانه شمس الدين الحلبي، ثم شرف الدين السنجاري، ثم أعيد السراج لمنصبي الخطابة والإمامة واستمر بها قرابة أربعين سنة، ثم وافاه الأجل، وهو في طريقه إلى مصر للتداوي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م ثم تولى الخطابة والإمامة بعد وفاة السراج البهاء بن سلامة المصري، واستمر في منصبه مدة سنتين، فاستعفى لكونه كما يقول السخاوي(١) لم ير نفسه أهلاً لما شرطه الواقف من معرفة الفرائض والقراءات.

وخلفه في منصبي الخطابة والإمامة شرف الدين أبو الفتح محمد بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم العثماني اللخمي الأميوطي الشافعي الذي عرف بشدته على الأشراف وبسطوته على الشيعة الإمامية وسبهم على المنبر كما منعهم من الصلاة أربعاً ظهر يوم الجمعة في المسجد؛ لاعتقادهم أنه لا يجوز إقامة الجمعة إلا خلف إمام معصوم وكانت وفاته سنة ٧٤٥هـ ١٣٤٤م(٢).

وقد شهد المسجد النبوي خلال العصر المملوكي تولي عدد من الفقهاء من داخل المدينة وخارجها لمنصبي الخطابة والإمامة ومن بينهم أفراد من الأسر العلمية كأسرة المطري، حيث تولى جمال الدين محمد بن أحمد المطري الإمامة والخطابة سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م، نيابة عن الشرف الأميوطي حين غيبته بالقاهرة(٣)، ومن أسرة ابن صالح تولى الإمامة والخطابة عبد الرحمن بن محمد بن صالح (٤)،

---

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٠ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ٥٤.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩١ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٢٧٦.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٦٧.

(٤) (توفي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م)، السخاوي، الضوء، ٤/ ١٣١، السخاوي التحفة، ٢/ ٥٣٣.

كما ناب عنه أخوه محمد[١] ، ومنهم أيضاً أبو الفتح محـمد بن عبد الرحمن بن صالح [٢]، الذي أنجب أربعة أبناء كلهم عرف بمحمد تولوا الخطابة والإمامة في المسجد النبوي[٣].

ومن أسرة الكازروني تولى محمـد بن عبد السلام الكازروني (ت ٨١٥هـ/ ١٤١٢م) منصبي الخطابة والإمـامة في المسجـد النبوي[٤]. ومن أئمة وخطباء المسجد النبوي أواخر العصر المملوكي وأوائل العصـر العثماني محمد بن صالح الكيلاني[٥] ومن الملاحظ أن هناك ارتباطاً وتلازماً واضحـاً بين منصبي الإمامة والخطابة، ويحتمل أن تكون الإمامـة خاصة بصلاة الجمعة، فـيما يتناوب عدد من الأئمة الصلاة بالناس الصلوات الخمس في سـائر الأوقات. مهما يكن من أمر فإنه من الواضح أن أغلب الأئمة في المسجد كـانوا شافعية المذهب؛ يتضح ذلك أن عدداً كـبيراً مـنهم ينتمون إلى الأسـر العلميـة المعروفة بالمديـنة ومنها المطري، وابن صالح، والكازروني، وكلهـا أسر ينتمي علمـاؤها وأفرادها إلى المذهب الشافـعي، إضافة إلى الأئمـة الأحناف الذين تولوا إمامـة المقام الحنفي كمـا أسلفت، غير أني لم أجد فـيما اطلعت عليـه من مصادر، ما يشـير إلى وجود إمام للمالكية أو الحنابلة في المدينة، خلال العصر المملوكي.

---

(١) (توفي سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م)، الفاسي، العقد، ٢/ ٢٩٣- ٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٩/ ٨٦.

(٢) (توفي سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٥٥م)، ابن فـهد، معجم، ص ٢٣٢، السـخاوي، الضـوء، ٨/ ١٨٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٧٨.

(٣) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٢- ١٠٤.

(٤) (توفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م)، ابن حـجـر، إنبـاء، ٧/ ٩٣- ٩٤ السـخـاوي، الضـوء، ٨/ ٥٧ السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٤٢.

(٥) (توفي سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م)، الغزي، نجم الدين مـحمد، الكواكب السائرة بأعيان المائة العـاشرة، تحقيق جبرائيل سليمان جبور جـ ٢ (ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م) ص ٣٧.

٢- خدام المسجد النبوي والحجرة الشريفة

تعد خدمة المسجد النبوي والحجرة الشريفة من أجل الخدمات التي يطمح إليها الكثير من المسلمين، تقرباً إلى الله عز وجل.

وأصبح لهذه الخدمة تنظيم خاص، ابتداءً من العصر الأيوبي، وأصبح يطلق عليه في العصر المملوكي مشيخة الخدام، وعلى رئيسه شيخ الخدام[١]. وبالإضافة إلى الأهداف الدينية للمشيخة، فقد كان لها أهداف اقتصادية واجتماعية، كما كان لها بعض النفوذ السياسي. وعلى الرغم من أن الخدمة التطوعية في المسجد النبوي كانت موجودة في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، إلا أن استخدام الخصيان للخدمة، لم يتم إلا في عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان[٢] أو ابنه يزيد[٣]. رغم أن هناك شكاً في أن يزيد قد استخدم الخدام لوجود اضطراب في عهده. وقد ظل العمل التطوعي إلى جانب الخدمة الرسمية. وقد أشار إلى ذلك أحد المؤرخين بقوله: «إنما كان القائم بخدمة الكعبة الشريفة والحجرة المنيفة في أيام الخلفاء والدولة العباسية الفقهاء، والصوفية، وأهل العلم والفضل»[٤].

(١) الميورقي، احمد بن علي بن أبي بكر العبدري، بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج، تحقيق إبراهيم محمد الزيد (ط١، د. ن، الطائف ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م) ص ٣٤.

(٢) تولى الخلافة ما بين ٤١- ٦٠هـ/ ٦٦١- ٦٨٠م، الطبري، تاريخ، ٥/ ٣٢٤، الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد، أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح ملحس، جـ ١ (ط٣، دار الثقافة، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٢٥٤، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) ص ٢٠٠، الأنصاري، تحفة، ص ٥٣.

(٣) حكم يزيد بن أبي سفيان ما بين ٦٠ ٦٤هـ/ ٦٨٠- ٦٨٣م الطبري، تاريخ، ٥/ ٤٩٩، الأزرقي، نفسه، ١/ ٢٥٥.

(٤) الأنصاري، تحفة، ص ٥٤.

ومن هنا نطرح تساؤلاً عن مدى استمرار الخدمة في المسجد النبوي بعد معاوية ويزيد، فلا نعرف على وجه اليقين ما تم، فليس في المصادر ما يفيد وجود الخدمة الرسمية. غير أنه ابتداء من النصف الثاني من القرن السادس الهجري لدينا ما يفيد وجودَ خدام للحجرة الشريفة، يعتقد أنهم معينون من قبل السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي(١). فقد ذكر أنه في سنة ٥٥٤هـ / ١١٥٩م في إمارة القاسم بن مهنا الحسيني «وجد من الحجرة الشريفة رائحة منكرة، وكثر ذلك، حتى ذكروه للأمير فأمرهم بالنزول إلى هناك، فنزل بيان الأسود الخصي أحد خدام الحجرة الشريفة»(٢). وفي النص السابق وصف بيان الأسود الخصي بأنه أحد خدام الحجرة الشريفة.

ويعطي ابن فرحون(٣) معلومات مخالفة لما ذكر سابقاً؛ حيث يقول: «إن السلطان صلاح الدين الأيوبي هو أول من ثبت قاعدة الخدام في الحرم النبوي، وأوقف عليهم الأوقاف، وكتاب الوقف موجود عندهم إلى اليوم وكان الموقوف عليهم نحو العشرين خادماً معينين ثم من بعدهم على خدام الحرم النبوي، ثم أوقف عليهم الملك الصالح بن الملك الناصر محمد بن قلاوون وقفاً آخر، ولهم اليوم منذ تقرروا في الحرم بالجامكية(٤) نحو مائتي سنة» ويؤيده مؤرخ آخر بقوله «ولم يعهد مشيخة المسجد النبوي يليها منذ عهد السلطان صلاح الدين

(١) تولى السلطنة ما بين (٥٤١- ٥٦٩هـ/ ١١٥٦- ١١٧٣م، ابن خلكان، وفيات، ٥/ ١٨٤- ١٨٩ .

(٢) ابن النجار، الدرة، ٢/ ٣٩٦، السخاوي، التحفة، ١/ ٣٨٥.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩٩ ل ب، ويقصد بنحو مائتي سنة أي حتى عصر المؤلف ابن فرحون (النصف الثاني من القرن السابع الهجري).

(٤) الجامكية جمع جوامك، وهي الرواتب عامة، القلقشندي: صبح، ٣/ ٤٥٧ محمد البقلي، التعريف، ص٨٣.

يوسف بن أيوب إلا الخدم الطواشية»[1].

ويعطي الأنصاري تفاصيل أكثر عنهم بقوله: «وهؤلاء الطواشية[2] حادثون في آخر دولة الأكراد بني أيوب[3]، في أيام نور الدين الشهيد بواسطة بعض الخدام الطواشية الذين في خدمته. سعى في ذلك واستعان ببعض الوزراء فأجابه السلطان إلى ذلك وجعل اثنى عشر طواشياً لا غير. وشرط أن يكونوا حفاظاً للقرآن العظيم وربع العبادات، وأن يكونوا حبوشاً، وإن لم يكن فأرواماً، فإن لم يكن وعدموا فتكاررة، وإن لم يوجد فهنود. واستمروا مدة ثم صار الشرط باطلاً حتى صار غالبهم من أخس الأجناس الهنود»[4].

ويؤكد ابن إياس[5] الرأيين السابقين بقوله: «إن أول من قرر الخدام الخصيان بالمدينة الشريفة، الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان سبب ذلك، أن بني حسن لما تغلبوا على الخلفاء الفاطميين، واستولوا على المدينة الشريفة، فلما آل الأمر إلى الناصر صلاح الدين، استمال بني حسن وأغدق عليهم بالمال الجزيل والهدايا، حتى مكنوه من المدينة الشريفة، فلما ملك أمرها، جعل فيها أربعة وعشرين خادماً خصياً، وجعل عليهم شيخاً من الخدام، يقال له بدر الدين الأسدي، وأوقف على مجاوري المدينة بلدين من أعمال الصعيد، وهما نقادة، وقبالة، وهما إلى الآن جارية في أوقاف الحرمين، واستمر من يومئذ

---

(١) ابن فهد، إتحاف، ٤/ ٩٤.

(٢) الطواشية، هم المعروفون بالخدام ومفردها الطواشي وهو المملوك الخصي المعين لخدمة بيوت السلطان وحريمه، القلقشندي، صبح، ٣/ ٣٧٧، محمد دهمان، معجم ص ١٠٩.

(٣) المقصود هنا بني زنكي.

(٤) الأنصاري، تحفة، ص ٥٤.

(٥) بدائع، جـ ١ ق ١ ص ٢٤٣، انظر أيضاً، ابن دقماق، الانتصار، جـ ٥ ق ٢ ص ٤٩.

شيخ الحرم النبوي من الخدام الخصي» إلا أن أقدم نص وصف الخدمة في المسجد النبوي في العصر الأيوبي ما ذكره الرحالة ابن جبير[١] الذي زار المدينة سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، حيث تحدث عن الخدام في سياق وصفه للروضة بقوله «وفي الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود هو موضع بيت بعض السدنة الحارسين للمسجد المبارك، وسدنته فتيان أحابيش وصقالب ظراف الهيئات نظاف الملابس والشارات» .

على أن تنظيم الخدمة بالشكل الذي أصبحت عليه في العصر المملوكي، لم يبدأ إلا في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، حيث أصبح للخدام شيخ يأتمرون بأمره، ومشيخة تنظم شؤونهم. وقد وردت أول إشارة لشيخ الخدام في العصر المملوكي سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م، حين تحدث الميورقي[٢] عن شيخ الخدام بدر الدين الشهابي، وفي السنة التالية ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م ورد أن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس «قد أنعم على شيخ الخدام بالحجرة الشريفة الطواشي جمال الدين محسن الصالحي بمائتي ألف درهم»[٣]، وفي القرن الثامن الهجري نجد أن الصورة التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته عن خدام الحرم لم تتعد ما ذكره ابن جبير[٤] وكان شيخ الخدام من الخصيان حتى أواخر القرن التاسع الهجري حيث أصبح شيخهم من الفحول المرسل من قبل السلطان المملوكي في مصر فيما ظل الخدام من الخصيان. وقد ذكر السخاوي[٥] هذا التغير بقوله

(١) الرحلة، ص ١٧١- ١٧٢ .

(٢) بهجة، ص ٣٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ١/ ٥٨٠، المقريزي، الذهب المسبوك، ص ٨٨- ٨٩.

(٤) الرحلة، ص ٤١ .

(٥) التحفة، ١/٦١.

«إنهم الآن أربعون فأزيد ما بين حبشي، ورومي، وتكروري، وهندي، وهو الأكثر، وشيخهم لم يزل منهم إلا في هذه الأزمان المتأخرة فكان يلي المشيخة الفحول».

نظام مشيخة الخدام في الحرم النبوي

يمكن حصر النظام المتبع في مشيخة الخدام في العصر المملوكي في النقاط الأساسية التالية:

أ - المراتب

ب- الوظائف أو الأعمال التي يمارسها العاملون في المشيخة

جـ - طريقة التعيين والعزل .

أ- المراتب

ذكرنا سابقاً التطور على خدمة المسجد النبوي حتي العصر المملوكي حيث أصبح لها نظامها الخاص وأصبحت المشيخة تتميز بتنظيم دقيق ومكانة رفيعة في مجتمع المدينة.

وبالإضافة للخدام وشيخهم، ذكر السخاوي المباشرين وهم المسؤولون عما يدخل المسجد من مال، وقناديل وزيت، وشمع وآلات وغيرها وعددهم أربعة[1]، والبطالين[2]، وهم الذين لا يعملون داخل المسجد وإنما يكلفون، «بالأعمال الممتهنة ولا يجلسون مع الأكابر في الدكة إنما يجلسون خارجها»[3] وذكر آخر أن البطالين هم الذين «يستعملون في الأشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الأعمال الممتهنة[4]» ويظهر أن عملهم محصور في

(١) السخاوي، نفسه، ١/ ٦٣.

(٢) السخاوي، نفسه، ١/ ٦٥.

(٣) العياشي، الرحلة، ص ٢٣٠.

(٤) الورثلاني، نزهة، ص ٥١٨.

خدمة أوقاف الحرم ومنازل الأغوات وما إلى ذلك. ويطلق على الخدام الأربعين خبزيا[1]، منهم ستة عشر بواباً للحجرة المطهرة، أما البطالون فعددهم أربعون أيضاً، كلما مات واحد من الأربعين الخبزية، جلس محله واحد من الأربعين البطالين[2].

ب - وظائف العاملين في المشيخة

أورد السخاوي[3]، الوظائف التي يقوم بها العاملون في مشيخة الخدام وهي «حفظ المسجد نهاراً، ومباشرة قفل أبوابه، والمبيت فيه لحراسته . . . . . ، وتنزيل القناديل وتعليقها للتعمير والوقود، وغسلها أو مسحها، وإسراج ما يوقد منها سحراً، والدوران بعد صلاة العشاء بالقناديل، لتفقد من يخشى من مبيته، ويرجعون عليه بالمنع، ولا يبيت فيه إلا الفراش لطفي القناديل وفتح الباب للمؤذن، وكنس المسجد، والروضة، والحجرة كل جمعة، وعلوة خاصة وفرش بساط أمير المدينة، ولبخور المسجد أيام الجمع خادم يخصه». كما كان لا يسمح للخدام بالدخول من باب جبريل بل يجب أن يدخلوا من الباب الآخر المجاور له فدخولهم من هذا الباب يمكن الشيخ أو نائبه من معرفة الوقت الذي دخل فيه الشخص المكلف بأداء الخدمة من بينهم[4].

---

(١) لم أجد تعريفاً دقيقاً لهذه الكلمة إلا أنه يبدو أن المقصود أي الذين يأتيهم رزقهم ومؤونتهم من بيت المال وربما يكون الخبز أهم ما يأتيهم فسمى الخادم خبزي، الورثلاني، نفسه، ص ٥١٨.

(٢) الأنصاري، تحفة، ص ٥٦.

(٣) التحفة، ١/٦٣.

(٤) عاصم حمدان علي حمدان، حارة الأغوات (ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جده ١٤١٣هـ ١٩٩٢م) ص ٢٢.

جـ - طريقة التعيين والعزل :

نظراً لأهمية المشيخة؛ فإن تعيين شيخ الخدام في العصر المملوكي يأتي مباشرة من السلطان المملوكي في القاهرة، حيث يتم تعيينه بمرسوم منه. ويوضح القلقشندي[1] الطريقة التي يتم بها التعيين بقوله: «وقد جرت العادة أن يكون له خادم من الخصيان المعبر عنهم بالطواشية، يعين لذلك من الأبواب السلطانية، ويكتب له توقيع في قطع الثلث «المجلس السامي»[2].

وقد عبر أحد الرحالة عن السبب في اختيار وقف هذه الفئة لخدمة الحرم بقوله: «واختاروا وقف الخصي دون غيره، لكونه أطهر وأنزه وأكثر فراغاً من الأشغال، إذ لا أهل له ولا ولد مشتغل بهم، وهو أبعد من دنس الجنابة ومباشرة النساء»[3].

د- علاقات المشيخة

تمتع بعض شيوخ الخدام بالهيبة والصولة[4]، وارتبطت المشيخة بعلاقات مع مختلف القوى السياسية والاجتماعية داخل المدينة وخارجها.

١ - علاقة المشيخة بالسلطة المركزية بالقاهرة

تستمد المشيخة نفوذها وسلطتها واحترامها، علاوة على خدمتها للمسجد، وما لذلك من مكانة خاصة في نفوس المسلمين، من دعم السلطة المملوكية في القاهرة المتمثلة بالسلطان المملوكي ووزرائه وحاشيته. لقد تمتعت المشيخة وشيخ الخدام على وجه الخصوص، بالاحترام والتقدير من جانب السلطان المملوكي

(١) صبح، ١٢/ ٢٦٠.

(٢) سترد شروط تقليد أحد الطواشية مشيخة الحرم من صبح الاعشى للقلقشندي في الملاحق.

(٣) العياشي، الرحلة، ص ٢٣٠.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٧ ل أ.

نظراً لخدمته لمسجد رسول الله ﷺ، فحينما قدم شيخ الخدام الطواشي جمال الدين محسن الصالحي للقاهرة سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م «أكرمه السلطان وضرب له خيمة بشقة[(١)]. على باب الدهليز، وناله زيادة على مائتي ألف درهم نقرة، وسافر صحبة القاضي والجمال مع الركب الشامي، وجهز من الكسوة لمكة والمدينة»[(٢)].

ويشير مؤرخ آخر إلى مدى التقدير الذي يتمتع به شيخ الخدام بقوله «وكان إذا قدم على الملوك يقومون له، ويجلسونه إلى جانبهم، ويتبركون به، لقرب عهده من تلك الأماكن الشريفة»[(٣)].

ومن شيوخ الخدام، الذين كانت لهم مكانة ووجاهة واحترام، لدى سلاطين المماليك، افتخار الدين ياقوت بن عبد الله الخزنداري الرسولي، الذي تولى مشيخة الخدام سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م ذكر ابن فرحون[(٤)] أنه كان «من المشايخ الرؤساء؛ لم يقم أحد بحرمة المنصب مثله، من أكمل الناس عقلاً، وأعظمهم حرمة، مع التدين، وعبادة، وورع، ذكر أنه خدم الملوك بالديار المصرية مدة خمس وعشرين سنة»، كما وصف أنه كان «من أعيان الخدام، له وجاهة في الدول وثروة كبيرة»[(٥)].

(١) الشقة، قطعة من قماش الكتان أو شعر الماعز، توضع واحدة منها أو أكثر حول الخيمة أو على بابها لتمييزها عن سائر الخيمة، القلقشندي، صبح، ٥/ ٢٠٩ محمد البقلي، التعريف، ص ٢٠٣.

(٢) ابن عبد الظاهر، الروض، ص ٣٥٢- ٣٥٣، المقريزي، السلوك، ١/ ٥٨٠، وكانت وفاة الطواشي محسن الصالحي سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، المقريزي، نفسه، ١/ ٥٨٨.

(٣) ابن إياس، بدائع، جـ ١ ق ١ ص ٢٤٣.

(٤) نصيحة، ورقة ٢٠ ل أ.

(٥) ابن تغري بردي، النجوم، ١١/ ٢٠٢، ولتفصيلات أكثر انظر، الفيروزآبادي، المغانم (ح)، ورقة ٢٦٩ ل أ- ب، ابن حجر، الدرر، ٥/ ١٨٤.

وحينما ننظر لطبيعة موقف السلطة المركزية من علاقات مشيخة الخدام بأمراء المدينة، نجد أن السلطة المملوكـية تقف إلى جانب المشيـخة، في أي خلاف مع أمراء المدينة؛ لأن شـيخ الخدام يعد خـادماً لدى السلطان المملوكي ومـعيناً من قبله، ولأن للحـرم النبوي أهمـية ومكانة لدى المسلمين، وللسلطة المملوكـية، ومثال ذلك:

ما حدث سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، حينما دخل أمير المدينة مقبل بن جماز في صراع مع أخـيه منصـور سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م، مما أرهق مقبـلاً اقتـصادياً، فاضطر للاسـتعانة بخدام الحـرم الخيرين - وكان عـددهم أربعين من كل واحد منهم ألف درهم، فامتنعوا فعاقبهم، بأن أنزل بعضاً منهم في إحدى الآبار، مما أثار السلطان المملوكي، الذي أوعـز لأميـر الحاج المصـري بالقبض على أمـير المدينة، وإحضاره لمصر[1].

٢- علاقة المشيخة بالأشراف

لم تكن العلاقة بين مـشيخة الخدام وأشـراف المدينة مستقرة، وثابتـة، فتارة تكون حسنة، وطوراً تكون سيئة، تبعاً للظروف السياسية والاقتصادية السائدة، غيـر أنه من الواضح أن بعضـاً من شيوخ الخـدام قد ارتبط بعـلاقات ودية مع الأشراف، من الأمـراء وغيرهم، ومن هؤلاء شيخ الخـدام عزيز الدولة الملقب بالعزيزي[2]، كان كما وصف «يوالي الأشراف، ويحسن إليـهم إحساناً كثيراً، حتى اتهم بمذهبـهم، لاختلاطه بهم وقضـاء حوايجهم»[3]، والمقصود اتـهامه بمذهبهم أي اعتناقه لمذهب الأشراف الإمامي الاثني عشري.

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٠٥ ل أ.

(٢) (توفي سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م، السخاوي، التحفة، ٣/ ١٨٧، الأنصاري، تحفة، ص ٥٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٥ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٥١ ل أ.

كما تمتع بعض شيوخ الخدام بالقوة والشجاعة، في مواجهة أمراء المدينة من الأشراف، ومن هؤلاء شيخ الخدام ظهير الدين مختار الأشرفي[1]، الذي كانت له مواقف شجاعة مع أشراف المدينة، فقد «أدخل الرعب في قلوب الشرفاء والأمراء، واستخلص من أيديهم أوقافاً وأملاكاً كانوا هم وآباؤهم فيها، كالمارستان اليوم، والفرن، والحوش الذي بإزائه، ودار المدرسة الشهابية، ونخيل، وغير ذلك، ولأجل هيبته عز المجاورون والخدام وقويت حرمتهم» ومن شيوخ الخدام أيضاً، الذين وقفوا في وجه الأشراف، وحاول منعهم من التعدي على أوقاف الحرم ومضايقة الناس، عز الدين دينار[2]؛ وقد وصف «بشدته في الدين على الأشراف مع شدة على الرافضة وقيام في الأمور الشرعية» كما كانت له أعمال جليلة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية.

٣- علاقة المشيخة بسكان المدينة :

ارتبطت مشيخة الخدام بعلاقة حسنة مع سكان المدينة من أهلها والمجاورين؛ بل قدموا الدعم والمساعدة المادية والمعنوية لهم، فشيخ الخدام عزيز الدولة السابق الذكر، كان كما وصف «كثير الخير أوقف من النخيل شيئاً، وحرر من الأرقاء جمعاً غفيراً»[3].

كما كان شيخ الخدام شبل الدولة، كافور المظفري المعروف بالحريري[4] يهتم

(١) توفي سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م انظر : ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٧ ل أ.

(٢) توفي سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٨ - ١٩، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٠- ٤٣.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٥ ل ب.

(٤) توفي سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٦ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم، (خ) ورقة ٢٥٧ ل أ- ب، ٢٥٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٣٤٧.

بالمجاورين ويحسن إليهم ويقضي حوائجهم أمـا شيخ الخدام مختار الأشرفي[1] فقد قويت في عهده شوكة المجاورين والخدام في مواجهة الأشراف.

كما أن لشيخ الخدام عز الدين دينار[2] مآثر عظيمة في المدينة، وله إسهاماته الاجتماعية الواضحة، فقد «جاهد نفسه بالصيام، والقيام، والصدقة والإحسان وأوقف أملاكاً ما بين نخيل ودور وأعتق خدامـاً وعبيداً وإماءً يزيد عددهم على الثلاثين، وعلق القنـاديل من خدامه في الحـرم السبعة، وكـفل أيتاماً وحـرماً، ونعمهم بالمآكل والملابس والمساكن حتى كانوا يعدون من عياله» ولم تقتصر هذه المآثر على أهل المدينة بل شمل أيضاً المسجد النبـوي والأوقاف التابعة له، فمن المآثر المعدودة لشيخ الخدام كافـور المظفري المنارة التي على باب السلام التي قام ببنائها سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م كـما منع الخدام والفـراشين من استعمـال الجريد شعلاً يطوفون بها في المسجد بعد صلاة العشاء لكي لا يسودوا المسجد. وجعل بدلاً منها الفوانيس[3]. أما شيخ الخـدام مختار الأشرفي؛ فـقد اهتم بالأوقاف وتعميرها[4]، وسلك نهجه في تعمير الأوقاف شرف الدين مختص الديري[5].

ساهم رؤساء المشيخة في أوجه الأنشطة العـامة في المدينة؛ فمثلاً انتزع شيخ

(١) توفي سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، ابن فـرحون، نفـسه، ورقة ١٦ ل أ، وذكـر ابن حجـر، أن مخـتار الأشرفي قام بالمشـيخة أحسن قيام وتعـصب لأهل السنة وقمع الرافضة وكثـر في أيامه المجاورون، وعمرت الأوقاف، نفسه، ٥/ ١١٤.

(٢) توفي سنة ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٧ ل ب. الفيروزآبادي، المغانم، (خ)، ورقة ٢٤٠ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٠ .

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٦ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم، ورقة ٢٥٧ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/٣٤٧، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٢٥ .

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٧ ل أ، ابن حجر، نفسه، ٥ ١١٤.

(٥) الفيروزآبادي، نفسه (خ)، ورقة ٢٧١ ل ب، ابن حجر، نفسه، ٥/ ١١٣.

الخدام مختار الأشرفي المارستان من أيـدي الأشراف؛ لأنهم استخدموه في غير الغرض الذي بنى من أجله، كـما انتزع منهم المدرسـة الشهابية، وفـتح أبوابها لتعليم طلاب العلم[1].

وقد أوقف سلاطين المماليك الأوقاف الكثـيرة؛ سواء على الحرم النبوي، أو على خـدام الحرم. وممن أوقف على خـدام الحرم، السلطان المملوكي النـاصر محـمد بن قلاوون، الذي أوقف أمـلاكاً في نقادة وسنديس في مـصر، وعين على تلك الأوقاف مباشراً، يشرف على تحصيلها وإرسالها للمدينة[2].

٣- المؤذنـــون

تعد وظيـفة الأذان من الوظائف الأسـاسيـة؛ لكون الأذان إشعـاراً بدخول الصلاة، ونظراً للأهمية الدينيـة للمسجد النبوي، فقد كان يتم اخـتيار القائمين بهذه الوظيـفة اختـياراً دقيقـاً؛ فلابد أن يكونوا من أهل التـقى والصلاح ومن العارفين بكتاب الله والمواقيت.

وفي أوائل العصـر المملوكي لم يكن بالمدينة كما يقـول ابن فرحون[3] «من يوثق به في معرفة الأوقات، وتحريها، فبـعثوا لها من مصر ثلاثة؛ أحدهم والد الشيخ جـمال الدين أحمد بن خلف، والثـاني الشيخ إبراهيم والد محـمد بن إبراهيم، والثـالث عز الدين المؤذن» ويمكن أن نفـهم من ذلك أن الثلاثـة كانوا يتناوبون الأذان بالمسجد النبوي، أو يؤذن كل منهم بإحدى منارات المسجد، أما الأول فـهو أحـمـد بن خلف بن عـيسى الأنصـاري الخزرجي، الـعبـادي، الساعدي، المطري نسبة للمطرية من مـصر، كان والده خلف من الطور فانتقل

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ١٦ ل أ.

(٢) السخاوي، التحفة، ٦٣/١.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل أ- ب.

منها إلى المطرية فولد له بها أحمد المذكور، ثم انتقل أحمد إلى المدينة وصار رئيس المؤذنين بالمسجد النبوي(١). أما الثاني فهو إبراهيم بن محمد بن مرتضى الكناني العسقلاني ثم المصري، الذي أصبح أيضاً رئيساً للمؤذنين(٢). وفي راوية أخرى أن الذي انتقل من مصر إلى المدينة هو محمد بن مرتضى والد المذكور(٣).

أما الثالث فهو عز الدين المؤذن الذي استمر في وظيفته في الأذان حتى كبر في السن(٤).

واستمرت وظيفة الأذان في أسرتي المطري، والمرتضى الكناني، يتولاها الأبناء عن الآباء؛ فخلف أحمد بن خلف المطري في رئاسة الأذان ابنه أبو عبدالله جمال الدين محمد الذي كان من أحسن الناس صوتاً، وناب كذلك في الحكم والخطابة(٥).

وخلفه في رئاسة الأذان، ابنه أبو السيادة عفيف الدين عبد الله المطري وقيل: إنه كبر بالحرم خمسين سنة، وأضاف إلى هذه الوظيفة مشيخة الحديث والصوفية بالمدينة ومكة(٦). ثم تولى بعده وظيفة الأذان أخوه أبو الحرم عبدالرحمن المطري(٧) ثم أعقبه في رئاسة الأذان ابنه أبو حامد محمد المطري

(١) السخاوي، نفسه، ١/ ١٧٨.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٢ ل ب، السخاوي، نفسه، ١/ ١٤٣.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٩.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل ب.

(٥) توفي سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٢ ل أ- ب، ٦٣ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٦٢ ل ب، ٢٦٣ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٤٠٣ - ٤٠٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٦٦- ٤٦٧.

(٦) توفي سنة ٧٦٥ هـ/ ١٣٦٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، السبكي، طبقات، ٦/ ١٠٣- ١٠٤، الفيروزآبادي، نفسه، رقة ٢٤٨ ل أ- ب، ابن حجر، نفسه، ٢/ ٣٩١، السخاوي، نفسه، ٢/ ٣٨٧.

(٧) توفي سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ- ب، ابن حجر، نفسه، ٢/ ٤٤٩، السخاوي، نفسه ٢/ ٥٣٠.

وقد أضيف إليه في سنة وفاته قضاء المدينة وخطابتها وإمامتها[1]، وقد ناب ابنه المحب محمد المطري عنه في رئاسة الأذان، والقضاء، والخطابة، والإمامة في حياته، ثم خلفه في رئاسة الأذان، وبقية وظائفه، بعد وفاته واستمر فيها حتى وفاته سنة ٨٥٦هـ/ ١٤٥٢م[2].

أما أسرة المرتضى الكناني فقد تعاقب أفرادها على وظيفة الأذان في المسجد النبوي، فبعد وفاة إبراهيم بن محمد بن مرتضى[3] تولى رئاسة الأذان مكانه ابنه الشمس أبو عبد الله محمد[4] وكان كما وصف، حسن الصوت[5] كما كان أمين الحكم[6] أثناء ولاية سراج الدين عمر بن أحمد السويدادي القضاء بالمدينة[7]. وبعد وفاته استقر في رئاسة الأذان ابنه الجمال أبو محمد عبدالله[8] وقد أثنى عليه ابن فرحون[9]؛ وذكر أن «له وجاهة عند آل جماز أمراء المدينة فانتفع الناس بشفاعته». خلفه في وظيفة الأذان ابنه شهاب الدين أبو العباس

(١) توفي سنة ٨١١ هـ/ ١٤٠٨م، السخاوي، الضوء، ٧/٢٩٩- ٣٠٠، السخاوي، التحفة، ٢/ ٦٢٧- ٦٢٩.

(٢) السخاوي، الضوء، ٩/١٠١- ١٠٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل ب، السخاوي، التحفة، ١/ ١٤٣.

(٤) توفي سنة ٧٢٩ هـ/ ١٣٢٨م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٤ ل ب .

(٥) السخاوي، التحفة، ٣/٤٥٨.

(٦) ربما يكون المقصود كاتب القاضي فهو الأمين على كتابة أحكامه.

(٧) توفي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٤ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٦٤ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٢- ٣١٧.

(٨) توفي في سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٤ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٣٨٩، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٨٣- ٣٨٤.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٤ ل ب.

أحمد المدني الحنفي الذي تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة[1] كما وصف بأنه من «أعيان جماعة المؤذنين»[2] وتولى رئاسة الأذان بعده ابنه عبد الغني[3]. ثم أعقبه في هذه الوظيفة ابنه أحمد بن عبد الغني المدني الحنفي[4]. وفي سنة ٨٦١ هـ/ ١٤٥٦م تولى عبد الغني بن أحمد بن عبد الغني بن المرتضى الكناني رئاسة الأذان، مشاركاً لأسرة بني الخطيب المصرية؛ التي بدأ أفرادها في تولي وظيفة الأذان أوائل القرن التاسع الهجري[5]، وعند ما عجز عبد الغني عن منصبه ناب عنه سعد النفطي ثم الشمس الخياط[6].

أما الرجل الثالث الذي قدم من مصر للأذان بالمسجد النبوي وهو عز الدين المؤذن فيظهر أنه توفي سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م من غير عقب[7].

وقد تحدث ابن فرحون عن أسرة مدنية؛ مارست وظيفة الأذان منذ النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وتنتسب هذه الأسرة إلى أحمد بن قاسم المعروف بابن القطان المدني الشافعي، وقد أنجب ولدين هما حسن وأحمد مارسا الأذان في المسجد النبوي[8]، كما أنجب حسن ولدين، أحدهما حسين استقر في وظيفة أبيه، وكان كما ذكر ابن فرحون «صيتاً حسن الأذان»[9]، وقد

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٥ ل أ.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ١٩٣.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٨، وذكره باسم عبد الغفار والأصح أن اسمه عبد الغني انظر السخاوي، التحفة، ١/ ٥٢.

(٤) السخاوي، التحفة، ١/ ١٩١.

(٥) سيرد ذكر لهذه الأسرة لاحقاً.

(٦) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٩، السخاوي، الضوء، ٤/ ٢٤٥.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة، ٦٢ ل ب، ٦٣ ل أ.

(٨) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٦ ل ب، السخاوي، التحفة، ١/ ٢١٢، ٢٨٢، ٥٠١- ٥٠٢.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل أ، وكان موجوداً في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. وانظر: أيضاً السخاوي، التحفة، ١/ ٥٠٥.

خلفه في وظيفته ابنه عبد الرحمن، الذي مارس إضافة إلى ذلك التدريس والإقراء[1]. أنجب عبد الرحمن عدداً من الأبناء؛ هم إبراهيم وعلي ومحمد، مارس بعضهم وظائف أبيهم في الأذان والتدريس[2].

كما مارس الأذان أفراد من أسر أخرى، كانت لهم مهن متعددة، كأسرة مشكور المكية الأصل، التي كانت تعمل في العطارة، فقد عمل عبدالرحمن بن مشكور مؤذناً[3].

وأسرة الشكيلي أو الكجار المكية الأصل أيضاً، التي مارست العطارة والتجارة والزراعة؛ وبرز عدد من المؤذنين أبرزهم حميدان بن محمد بن مسعود الكجار، الذي أصبح رئيساً للمؤذنين بالحرم النبوي، ومحمد بن حسن بن مسعود الشكيلي الكجار المؤذن بالحرم النبوي وأحمد بن محمد بن حسن الكجار[4]. أما أسرة بني الخطيب فلم تشارك في وظيفة الأذان إلا في أوائل القرن التاسع الهجري بتقرير من السلطان المملوكي الناصر فرج[5].

وتعود أصول هذه الأسرة إلى القاهرة بمصر، وأول من تولى رئاسة الأذان من هذه الأسرة؛ الشمس محمد بن محمد بن محمد القاهري ثم المدني وعرف

---

(١) توفي ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٨٢- ٤٨٤، السخاوي، الضوء، ٤/ ٧٥.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ١٢٢، ٣/ ٢٣٨- ٢٤٠، ٦٢٠، السخاوي، الضوء، ١/ ٥٧- ٥٨، ٥/ ٢٣٥.

(٣) توفي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٧ ل ب، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٤٢، ٣/ ١٣٨.

(٤) توفي حميدان سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، أما محمد بن حسن فقد توفي سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٦٩، ٢/ ٥٣٤.

(٥) تولى السلطنة ما بين (٨٠١هـ- ٨١٥هـ/ ١٣٩٩- ١٤١٢م) المقريزي السلوك، ص ٣/ ٩٥٩- ٤/ ٢٤٣.

بابن الريس[1]، ثم تلاه في رئاسة الأذان ابنه الشهاب أبو العباس أحمد[2]، ثم تولّى رئاسة الأذان بعده ابنه الشمس أبو السعادات محمد[3] وشاركه في الوظيفة أخوه إبراهيم[4] وهناك عدد كبير من المؤذنين الآخرين، منهم أبو عبدالله محمد ابن محمد الغرناطي[5]، والشيخ على بن معبد المصري الشهير بالقدسي[6]، وسراج الدين عمر بن الأعمى [7] وإبراهيم بن محمد الجنابي الذي أصبح رئيساً للمؤذنين[8]، ومحمد بن عبد الرحمن المؤذن[9] الذي تسلم هذه الوظيفة عن والده وجده[10].

٤- الفراشون، والبوابون :

الفراشون هم القائمون على نظافة المسجد وفرشه، وقد حدد السخاوي[11] عددهم في المسجد النبوي في عصره بأربعين شخصاً، كما حدد وظائفهم التي تتضمن «فرش الروضة، وجهة باب السلام شتاء وصيفاً. وتزاد الروضة أيام

(١) كان موجوداً أوائل القرن التاسع الهجري)، السخاوي، التحفة، ١/ ٥٢ .

(٢) توفي ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م، السخاوي، الضوء، ٢/ ٢٠١، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) توفي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٠٦- ٥٠٨، السخاوي، الضوء، ٧/ ٩٣- ٩٤ .

(٤) توفي سنة ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م، السخاوي، التحفة، ١/ ١٠٧، السخاوي، الضوء، ١/ ٢٥ .

(٥) توفي سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٥ ل ب، ٦٦ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم، (خ)، ورقة ٢٦١ ل أ- ب، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٣٥٥ .

(٦) توفي سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٦٣ .

(٧) توفي سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٦٥ - ٣٦٦.

(٨) السخاوي، نفسه، ١/ ١٤٥.

(٩) توفي سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، الفيروزآبادي، نفسه (خ)، ورقة ٢٦٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٤١- ٦٤٢.

(١٠) السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٥٥.

(١١) التحفة، ١/ ٦١.

الجمع، ونصب الستائر على الأبواب الأربعة للحجرة، وللمحرابين النبوي والعثماني والمنبر، وكذا لأبواب المسجد، لكن في المهمات خاصة؛ كقدوم أمير المدينة، وفرش بساط شيخ الخدام، وحمل السناجق ونصبها، وإخراج الشمع في كل ليلة، ويزاد في رمضان. وقمّ داخل المسجد وخارج أبوابه كل جمعة، وتعمير القناديل نهاراً، وإسراجها مع المغرب، وأطفائها صباحاً ومساءً، وإخراج الزيت من الحاصل وإدخاله له، وفتح أبواب المسجد سحراً» يتضح من النص السابق أن الفراشين لهم مهمات كثيرة وعديدة داخل المسجد النبوي، ويعدون في أعمالهم مكملين لخدام المسجد النبوي، وهناك بعض المهام التي يقومون بها ضمن أعمال خدام المسجد النبوي كتعمير القناديل وإسراجها[1] ويمكن القول إن الفراشين فئتان؛ فئة بأجر تمارس العمل من خلال وظيفة، وفئة تمارس العمل تطوعاً، وربما يأخذ بعض الأجر على عمله ولكن ليس بصورة دائمة أو مستمرة.

وفي القرن الثامن الهجري تحدث ابن فرحون عن اثني عشر فراشاً مارسوا الخدمة تطوعاً وبعضهم من طلبة العلم مثل علي الحجار الفراش والشيخ عبدالله الخضري، وأحمد الأميني، وعلي بن ميمون، وسعيد الهندي، وعمير السوارقي، وعمر الفراش ويوسف الصعيدي الذي كان يلبس خطيب المسجد النبوي ثوب الخطابة[2]. ومن الفراشين الآخرين أيضاً عبد الوهاب بن مسعود المخلص، وبردة الحاج، وريحان، وأبو الفتح، ومحمد بن عمر الحلبي[3]، ومن الفراشين القائمين على إيقاد القناديل والسرج علي بن محمد الحجار[4].

(١) السخاوي، نفسه، ١/ ٦١.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٢ ل ب، ٨٣ ل أ- ب.

(٣) السخاوي، التحفة، ١/ ٣٦٦، ٢/ ٧٢، ٤٤١، ٣/ ١١٣، ٢٦٥، ٦٩٥.

(٤) ابن حجر، الدرر، ٣/ ١٩٨.

وللفراشين شيوخ أو رؤساء، يشرفون على تنظيم العمل في المسجد، وتحديد المهام التي يقوم بها كل شخص، ومن هؤلاء أحمد بن عبدالوهاب بن كرباجة، وعبدالسلام بن أحمد المريس، الذي خلفه في مشيخة الفراشين محمد بن ضرغام السابقي، ثم خلفه في المشيخة محمد عمير الهلالي، والشهاب الحبيشي، وجميعهم في القرن التاسع الهجري[1].

وللفراشين أوقاف معلومة، يصرف ريعها عليهم، وكان وقفهم أواخر القرن التاسع الهجري تحت نظر شخص من مصر شافعي المذهب[2].

أما البوابون فهم القائمون على خدمة أبواب المسجد ومراقبة دخول وخروج المصلين منه، ومن هؤلاء عبد الله الزيلعي الذي كان بواب باب الرحمة أحد أبواب المسجد النبوي[3]. وسليمان البواب بباب السلام[4]، وأحمد بن محمد اليماني ثم المدني البواب[5].

٥- السقاؤون :

هم القائمون على تزويد المسجد النبوي بالماء اللازم للشرب سواء من السقايات الموجودة داخل المسجد أو خارجه[6]، وكان السقاؤون يملؤون الدوارق بالماء ويضعونها أمام المصلين، ومن هؤلاء محمد السقا[7]، الذي لم يكن يأخذ

(١) السخاوي، نفسه، ١/ ٦١، ١٩٧، ٣/ ٥، ٥٨٨، ٧٠٠.

(٢) السخاوي، نفسه، ١/ ٦١.

(٣) السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٤١.

(٤) كان موجوداً في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، السخاوي، نفسه، ٢/ ١٩١.

(٥) توفي سنة ٨٧٧هـ/ ١٤٧٢م، السخاوي نفسه، ١/ ٢٦٧.

(٦) ابن النجار، الدرة، ٢/ ٣٧٧، السمهودي، وفاء، ٢/ ٦٧٨- ٦٧٩.

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٣ ل ب.

أجراً على عمله، ومن هؤلاء أيضاً حسين بن علي بن رستم الشيرازي[١] وابناه حسن[٢]، ومحمد[٣] اللذان خلفا أباهما في مهنة السقاية، وممن عمل أيضاً بمهنة السقاية بالحرم عبد الرحمن بن مبارك بن سعيد[٤] ومحمد بن حسين العجمي[٥].

٦- وظائف أخرى:

لقد جمع بعض الأشخاص بين أكثر من منصب في شؤون الحرم النبوي ومن هؤلاء شاهين الجمالي[٦] الذي عينه السلطان الملك الأشرف برسباي سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م متولياً عمارة المسجد النبوي، بعد عزله لمتولي العمارة، لما لاحظ منه «من استعمـاله مؤناً غير صالحـة» ثم أضاف إليه مشيخـة الخدام في نفس العام، ونظر المسجد النبوي، ونظر السماط[٧]، كما أنيط به مهمـة ترميم حصن أمير المدينة، وبعض السور المحيط بها، كما فوض بعمارة القبة التي على الحجرة النبوية[٨].

وممن جمع بين أكثر من وظيفـة علي بن محـمد الحجـار، الذي جمع بين وظيفة الفراش، والوقاد لقناديل المسجد النبوي[٩].

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ٥١٢.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ، السخاوي، نفسه، ١/ ٤٧٨.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٤ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٤٨ السخاوي، نفسه، ٣/ ٥٦٠- ٥٦١.

(٤) كان موجوداً سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م، السخاوي، نفسه، ٢/ ٥٢٨- ٥٢٩.

(٥) السخاوي، نفسه، ٣/ ٥٦١.

(٦) هو الأمير شجـاع الدين شاهين الجمالي الرومي ثم القاهري الحنفي أحـد الأمراء العشروات ولد سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م وملكه الجمالي سنة ٨٥٣ هـ/ ١٤٤٩م، وعمل في وظائف مـتعددة بالمدينة ونائباً في جدة وناظر على عمارة المسجد الحرام والنبوي وعلى المقام الحنفي وسقيا العباس بمكة، ابن فهد، إتحاف، ٤/ ٤٨٢ - ٤٨٣، السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٩٣، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢١٠ - ٢١٣.

(٧) السمهودي، وفاء، ٢/ ٦٤٦.

(٨) السخاوي، التحفة، ٢/ ٢١٢.

(٩) السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٦١.

ومن الوظائف الأخرى المهمة في المسجد النبوي، ناظر الحرم النبوي، الذي تولاها كما سبق شاهين الجمالي، على أن المسجد النبوي كان له ناظر خاص متفرغ للوظيفة مثل محمد بن أحمد الجبرتي(١). وأحمد الشهاب السندوبي(٢) الذي خلفه في وظيفته محمد بن أبي بكر بن أيوب المحرومي المحرقي(٣).

ومن الوظائف الأخرى بالحرم النبوي أمين حواصل الحرم وهو ما يدخل المسجد من أموال وأدوات، وممن تولى هذه الوظيفة أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي(٤)، وأحمد بن محمد بن عبد الله الشهاب النفطي المدني الذي كان أميناً على حواصل الحرم النبوي، وخدام الحرم(٥) كما كانت هناك وظيفة ناظر كسوة الحرمين والمقصود بها كسوة الكعبة المشرفة، والحجرة الشريفة، وممن تولاها الأمير علاء الدين بن الطبلاوي استادار خاص الخاص سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م ويظهر أن المذكور كان مقيماً بالقاهرة، وغير متفرغ للوظيفة فقد تولى إلى جانبها نظارة الأوقاف إضافة إلى ما بيده «من الحجوبية والتحدث في الولاية»(٦). وأما كسوة الحجرة الشريفة فأول من بدأ بوضعها الحسين بن أبي الهيجاء وزير الفاطميين(٧). ثم استمرت كسوتها تأتي من العراق ومصر حتى العصر المملوكي حيث أصبحت تصل بصورة دائمة من مصر. وفي عهد

(١) توفي سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٩٤م، ابن حجر، الدرر، ٣/٤١٦، السخاوي، التحفة، ٣/٤٧٦.

(٢) توفي سنة ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م، السخاوي، التحفة، ١/٢٧٧ وذكره السخاوي في موضع آخر باسم الهاب أحمد السيدوني، التحفة، ٣/٥٣١ .

(٣) السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣١ الذي ذكر أن المحرقي نسبة إلى المحرقية قرية بالجيزة بمصر.

(٤) توفي سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٥ ل ب، ٦٦ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٦١ ل أ - ب.

(٥) توفي سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م، السخاوي، الضوء، ٢/١٣٩، السخاوي، التحفة، ١/٢٣٩.

(٦) ابن قاضي شهبة، تاريخ، ٣/ ٥٧٤.

(٧) السمهودي، وفاء، ٢/ ٥٨١ .

السلطان المملوكي الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون[1]، اشترى قرية يقال لها سندبيس بنواحي القاهرة في طرف القليوبية وأوقفها على كسوة الكعبة في كل سنة، وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوي في كل خمس سنين مرة[2] وذكر السمهودي[3] أن «عادتهم إذا وردت كسوة جديدة قسم شيخ الخدام الكسوة العتيقة على الخدام ومن يراه من غيرهم، ويحمل إلى السلطان بمصر منها جانباً».

ب- قضاة المدينة :

كان القضاء[4] في المدينة قبل العصر المملوكي بأيدي الشيعة الإمامية من بني سنان، وتولى القضاء كما هي الخطابة عدد من أفراد هذه الأسرة؛ من بينهم جد الأسرة عبد الوهاب بن نميلة السابق الذكر[5] وخلفه في منصبه ابنه سنان[6]. كما تولى بعض أبناء سنان منصب القضاء، ومن بينهم علي الذي لم يكن أحد

(١) تولى الملك الصالح إسماعيل السلطنة بين (٧٤٣- ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢- ١٣٤٥م) المقريزي، السلوك، ٢/ ٦١٩- ٦٨٠ ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ٢/ ١٧٣- ١٧٥.

(٢) الفاسي، شفاء، ١/ ١٢٣، السخاوي، التحفة، ١/ ٣١٩- ٣٢٠، السمهوذي، وفاء، ٢/ ٥٨٤. وذكر المقريزي، أن السلطان الملك الصالح إسماعيل قد أوقف في سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م «ثلثي ناحية سندبيس من القليوبية على ستة عشر خادماً لخدمة الضريح الشريف النبوي، فتمت عدة خدام الضريح الشريف أربعون خادماً» السلوك، ٢/ ٦٣٣.

(٣) وفاء، ٢/ ٥٨٤.

(٤) القضاء: الحكم... والجمع الأقضية... قال أهل الحجاز القاضي معناه في اللغة القاطع للأمور، ابن منظور، لسان، ٣/ ١١١.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٨ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ١١٣.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٩٦.

من أهل السنة يجسر على عقد نكاح، ولا يفصل في خصومة إلا بعلمه، وبعد أن يعطى بعض المال نظير موافقته على ذلك فيكتب لأحد فقهاء السنة بأن يعقد نكاح فلان على فلانة[1]. وممن تولى من أبناء سنان القضاء أيضاً عيسى[2]، وقاسم[3]، ونجم الدين مهنا[4]، الذي ذكر ابن فرحون[5]، أنه «كان هو القاضي في الحقيقة من بين ساير قرابته، وبه يناط الحل والعقد، وإليه ترجع محاكمات الشيعة وأنكحتهم وعقودهم». واستمر القضاء في أيدي الشيعة الإمامية من بني سنان حتى أواخر القرن السابع الهجري أي في الفترة الأولى للعصر المملوكي وفي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠هـ تولى مشيخة الخدام بالحرم النبوي شبل الدولة كافور المظفري المعروف بالحريري وكان يوالي المجاورين ويحسن إليهم ولأجل هيبته عز المجاورون وقويت حرمتهم كما كثر عددهم[6]، فكتبوا إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون بأن يكون لأهل السنة قاض يحكم بينهم على مذاهب أهل السنة والجماعة، فأصدر السلطان المملوكي تقليده لسراج الدين عمر السويداوي الشافعي خطيب المسجد النبوي، مع خلعة وألف درهم[7]. غير أن السراج لم يتولى هذا المنصب إلا بعد موافقة أمير المدينة منصور بن جماز.

غير أن صلاحيات القاضي الجديد كانت محدودة ومحصورة في الفصل في

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٨ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٢٤.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٨٢.

(٣) السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٠٠.

(٤) توفي سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٦ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم، ورقة ١٢٦٧ ل أ.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٦ ل أ، انظر: أيضاً، الفيروزآبادي، نفسه، ورقة ٢٦٧ ل أ.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١٦ ل ب، ورقة ١٧ ل أ.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٥.

الأحكام بين أهل السنة، فيـما بقيت أمور الحبس وغـيرها بيد آل سنان، بل إن قضـاة الشيعة يحكمـون بين أهل السنة ممن يتقدمـون إليهم[١]. وتولى القضاء بعده شرف الدين محمد بن محـمد الأميوطي، الذي رغم شدته على الأشراف والشيعـة لم يستطع أن يتعرض لقـضاتهم بل كانوا يحكمون بين رعـاياهم كما كان القـاضي الأميوطي يحـبس في نفس الحبس الذي يحبس فـيه الشيـعة في ساحة القلعة[٢]. وخلف الأميوطي في منصب القضاء تقي الدين عبد الرحمن ابن عبد المؤمن بن عبد الملك الهوريني القاهري الشافعي، إلا أنه لم يستمر في منصبـه سوى ثلاث سنوات فعـزل سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م ثم أعيد إلى منصـبه سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م[٣]، وبين فترة عـزله وإعادته إلى منصبه، تـولى القضاء البدر حسن بن أحمد القيسي، ثم تولى بعده شمس الدين محمد بن عبدالمعطي الكناني العـسقـلاني المصري المعــروف بابن السبــع، حـتى عودة القـاضي الهوريني إلى القضاء[٤]، وكان القاضي المذكور يستنيب في غيابه البدر عبد الله ابن محمـد بن فرحون، ففي سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م سافر الهـوريني إلى مصر ليقدح عينيه فأناب عنه البدر بن فرحون، فسار في منصبه سيراً حسناً، مما أدى إلى ابتعـاد الناس عن قضاة الإماميـة، الذين كانوا يأخذون مـالاً من الأخصام ليحكمـوا بينهم، كمـا شدد على الإمامـية في نكاح المتـعة، ونكل بفـاعلها، وحمل الناس كمـا يقول «على مذهب مالك، وأخمدت نار البـدعة، وأظهرت نور السنة، وعزرت من تكلم في الصحابة فلم يزد الناس إلا طاعة وإقبالاً»[٥].

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٩ ل أ، السخاوي، نفسه، ٣/ ٣١٥.

(٢) توفي سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٠ ل ب، ٩١ ل أ

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٢ ل أ، ورقة ٢٤٧ ل أ- ب السخاوي، نفسه، ٢/ ٥٠٨- ٥٠٩.

(٤) السخاوي، التحفة، ١/ ٥٥، ٢/ ٥٠٨- ٥١٠.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩٢ ل أ، السخاوي، نفسه، ٢/ ٥٠٩.

وبعد وفاة القاضي الهوريني سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٥٨م(١)، تولى القضاء محمد بن عثمان الصرخدي الكركري الشافعي(٢). واستمر في منصبه حتى سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م(٣) حيث عزل وتولى منصب القضاء شمس الدين محمد بن سليمان الحكري المصري الشافعي(٤).

إن أغلب من تولى القضاء خلال تلك الفترة باشر الإمامة والخطابة أيضاً، كما أن جميع من تولى القضاء جاءوا من مصر وكانوا على المذهب الشافعي، واستمر القضاء يتولاه قاضٍ واحد حتى سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م، حيث تتحدث المصادر عن تولى نور الدين علي بن يوسف الزرندي قضاء الحنفية والتدريس بها مع الحسبة وقيل بل تولى القضاء سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م(٥)، وهو كما يقال أول قضاة الحنفية بالمدينة(٦). ثم خلفه في قضاء الحنفية ابنه فتح الدين أبو الفتح محمد الذي استمر في قضاء الحنفية حتى سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م حين توفي القاضي المذكور، فخلفه في منصب قضاء الحنفية أخوه أبو الفرج عبد الرحمن

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٥ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/٤٤٢- ٤٤٣.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٥ ل ب، ٩٦ ل أ، ابن حجر، الدرر ٤/ ١٦٥، السخاوي، نفسه، ٢/ ٥١٠، ٣/٦٦٣- ٦٦٦.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٦ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٦٦ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤/ ١٦٥.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٩٦ ل ب، الفيروز أبادي، المغانم (خ) ورقه ٢٦٥ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٧١، ابن حجر، إنباء، ٢/ ٤٠ السخاوي، نفسه، ٣/ ٥٨٠- ٥٨١.

(٥) توفي سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م تقريباً، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/٢١٧.

(٦) الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٥٥ ل أ- ب، المقريزي، السلوك، ٣/ ١٩٣، السخاوي، التحفة، ٣/٢٦٨- ٢٧٢.

ابن علي مع حسبة المدينة[1]، وفي رواية أخرى أن ولايته للقضاء كانت سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م[2] ثم عزل عنها سنة ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م ، وأعيد إليها بعد ذلك حتى وفاته سنة٨١٧هـ/ ١٤١٤م[3] فتولى قضاء الحنفية بعده النور أبو الحسن علي بن محمد بن علي الزرندي[4]، ثم تولاه أخوه النجم يوسف[5]. ثم اعتزل، فخلفه ابن عمه فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الوهاب بن علي ابن محمد بن علي الزرندي[6]، ثم خلفه ابنه سعد الدين سعد[7]، ثم أخوه الجمال سعيد[8]، ثم ابنه النور علي بن سعيد[9]. كما أضيف منصب الحسبة إلى هؤلاء القضاة. وممن تولى قضاء الحنفية يحيى بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخجندي[10].

أما قضاء المالكية فأغلب من تولاه أفراد من أسرة ابن فرحون، وأول من تسلمه البدر عبدالله بن فرحون، الذي ناب في قضاء المدينة عن التقي عبدالرحمن بن عبد المؤمن الهوريني، كما أسلفت، ثم استقل بقضاء المالكية

(١) ابن حجر، إنباء، ٢/ ٨١، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥١٩.

(٢) ابن حجر، نفسه، ٧/ ١٥٦، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥١٩.

(٣) السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٢٠، السخاوي، الضوء، ٤/ ١٠٥.

(٤) توفي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، السخاوي، الضوء، ٥/ ٣٢٧، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٥٠- ٢٥١.

(٥) توفي سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م، السخاوي، التحفة، ١/ ٥٨، السخاوي، الضوء، ١٠/ ٣٣٢.

(٦) توفي سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٥٨، السخاوي، الضوء، ٨/ ١٣٥.

(٧) توفي سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٣٧، السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٥٣.

(٨) توفي سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٥٦- ١٥٧، السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٥٦.

(٩) توفي سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٢٢- ٢٢٣، السخاوي، الضوء، ٥/ ٢٢٤- ٢٢٥.

(١٠) الغزي، الكواكب، ص ٢٥٨.

سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م حتى وفاته سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م[١]. خلفه في منصبه في قضاء المالكية ابنه المحب أبو عبد الله محمد بن فرحون، واستمر في منصبه فترة طويلة، عزل في أثنائها عدة مرات، وكانت وفاته وهو في طريقه إلى القاهرة سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م[٢]. واستقر بعده في قضاء المالكية أخوه الشهاب أبو العباس أحمد بن عبد الله بن فرحون، وكان بمصر، فقدم إلى المدينة وتولى القضاء، غير أنه لم يستمر في منصبه سوى فترة قصيرة، فقد توفي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[٣]، وظل المنصب شاغراً لفترة قصيرة ثم تولاه إبراهيم بن علي بن فرحون سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م حتى وفاته سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[٤].

ومن فقهاء هذه الأسرة الذين تولوا قضاء المالكية في المدينة أبو اليمن محمد ابن إبراهيم بن علي بن فرحون[٥] وناصر الدين أبو البركات محمد بن محمد ابن عبد الله بن فرحون[٦] والبدر أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون[٧] ومن خارج أسرة ابن فرحون تولى قضاء المالكية محمد بن علي بن معبد القدسي المعروف بالمدني، وكان مؤذناً بالمسجد النبوي، ولي قضاء المالكية مرتين؛ الأولى سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، والثانية بعد ذلك، ثم عزل سنة

(١) الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٥٢ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/٤٠٦- ٤٠٧ السخاوي، التحفة، ٢/٤٠٤.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/٦١٢.

(٣) السخاوي، التحفة، ١/١٩٤- ١٩٥.

(٤) ابن حجر، الدرر، ١/٤٩، إنباء، ٣/٣٣٨، السخاوي، التحفة، ١/١٣٢.

(٥) توفي سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م، السخاوي، الضوء، ٦/٢٦٤، ٩/١٢٧، السخاوي، التحفة، ٣/٤٥٦.

(٦) توفي سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م، السخاوي، الضوء، ٩/١٢٧.

(٧) توفي سنة ٨٥٩ هـ/ ١٤٥٤م، السخاوي، الضوء، ٥/٥٥، السخاوي، التحفة، ٢/٣٩٥.

٨١٦هـ/ ١٤١٣م[١]، ويبدو أن تعيينه في هذا المنصب نتيجة خلوه من أفراد يتولونه من أسرة ابن فرحون المالكية المذهب.

كما تولى قضاء المالكية أيضاً كل من الجمال يوسف البساطي، وأحمد الأموي[٢] إلا أنه في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري ظهرت في المدينة أسرة مالكية المذهب هي أسرة السخاوي، تقلد بعض أفرادها منصب القضاء وتنسب هذه الأسرة إلى شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى السخاوي[٣] ويعرف بابن القصبي، وقد انتقل المذكور من القاهرة إلى المدينة سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م متقلداً منصب قضاء المالكية بها[٤]. وبعد إصابته بالفالج خلفه في منصبه ابنه خير الدين محمد سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م[٥]، أما قضاء الشافعية فقد تولاه عدد كبير من الفقهاء، وأغلبهم من الأسر العلمية بالمدينة، فمن أسرة المطري محمد بن عبد الرحمن المطري[٦].

ومن أسرة الزرندي تولى قضاء الشافعية محمد بن محمد بن علي الزرندي الذي ولي قضاء الشافعية بالمدينة سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م[٧] وتعد أسرة

(١) القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى، توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق وتقديم أحمد الشتيوي، (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٢١٥، بابا التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة (ط١، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٩٨٩م) ص ٢٨٦.

(٢) كان موجوداً أوائل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، القرافي، توشيح، ص ٢١٥.

(٣) توفي سنة ٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م، السخاوي، الضوء، ٧/ ١١٠- ١١١.

(٤) السخاوي، الضوء، ٧/ ١١٠- ١١١، السخاوي، التحفة، ٣/٥٠٨- ٥١٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ٩/ ٤٧ .

(٦) توفي سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م، الفاسي، العقد، ٢/١٠٥- ١٠٦، إنباء ٦/١٢٨ - ١٣٠، السخاوي، الضوء، ٧/٢٩٩- ٣٠٠، السخاوي، التحفة، ٣/٦٢٧- ٦٢٩.

(٧) توفي سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩، ابن حجر، إنباء، ٧/ ٣٧٠، السخاوي، الضوء، ٩/١٦٧.

ابن صالح أكثر الأسر العلمية في المدينة تقلداً لوظيفة قضاء الشافعية، ومن هؤلاء عبدالرحمن بن محمد بن صالح الذي تقلد هذا المنصب نائباً عن قاضي الشافعية ثم استقل به سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[١] كما ناب عنه أخوه محمد بن محمد بن صالح في قضاء الشافعية[٢]. وممن تولى أيضاً قضاء الشافعية من هذه الأسرة أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح الذي ناب أولاً عن والده في هذا المنصب، ثم استقل به سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م[٣] ثم تنازل لأخيه عن هذا المنصب سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م[٤]. كما تقلد صلاح الدين محمد بن محمد ابن عبد الرحمن بن صالح منصب قضاء الشافعية سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م[٥].

ومن أسرة الكازروني تولى قضاء الشافعية الجمال محمد بن أحمد الكازروني (ت ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م الذي تقلد هذا المنصب أكثر من مرة[٦]. كما ناب عنه في القضاء ابن عمه محمد بن عبد السلام الكازروني[٧].

ومن أسرة المراغي؛ تولى قضاء الشافعية مؤسس الأسرة بالمدينة أبو بكر بن الحسين المراغي، الذي تقلد هذه الوظيفة سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م، ثم عزل عنها سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م[٨]، كما ناب عنه ابنه أبو اليمن الشمس محمد في

(١) توفي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤١٩م السخاوي، الضوء، ٤/ ١٣١، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٣٣.

(٢) توفي سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١هـ، الفاسي، العقد، ٢/ ٢٩٣- ٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٩/ ٨٦.

(٣) توفي سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، ابن فهد، معجم، ص ٢٣٢، السخاوي، الضوء، ٨/ ٣٤- ٣٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٣٢.

(٤) السخاوي، الضوء، ٨/ ٣٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٣٣.

(٥) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٣.

(٦) توفي سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، السخاوي، الضوء، ٧/ ٩٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٠٠.

(٧) توفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، السخاوي، الضوء، ٨/ ٥٧، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٤٢.

(٨) توفي سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م السخاوي، الضوء، ١١/ ٢٩.

قضاء الشافعية [1].

أما قـضاة الحنابلة بالمدينة فكانوا قلة، وأول من تولى هـذا المنصب القاضي سراج الدين عـبد اللطيف بن أبي الفـتح الحسني الفـاسي المكي، تقلد منصب القضاء بها سنة ٨٤٧هـ/ ١٤٤٣م إضافة إلى قضاء الحنابلة بمكة[2]. ويظهر من ذلك أن عدد الحنابلة بالمدينة كـان في تلك الفترة قليلاً، كـما اتضح من دراسة انتشـار المذاهب في المدينة خلال العصـر المملوكي، مما لا يسمح بتعـيين قاض مستقل لهم[3].

ويظهـر أنه بعـد وفاة القـاضي سـراج الدين عبـد اللطيف لم يعين قـاضٍ للحنابـلة بالمدينة، إلا في سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠هـــ، حين تم تقليـد المحـيـوي عبدالقادر بن عبد اللطيف الفاسي ابن القاضي السابق، واستمر في منصبه حتى وفاته بالمدينة سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م[4]. وخلفه في منـصبه أحـمد بن علي بن أحمد الشيشـيني الأصل، القاهري، الحنبلي، الذي تقلد منصب قضاء الحنابلة في سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م، وكـانت إقـامتـه بمكة، ويتـردد في أثناء السنة إلى المدينة، واستمـر قاضياً للحنابلة بالحـرمين حتى سنة ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، حيث عين قاضياً للحنابلة بالقاهرة حتى وفاته بها سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م[5].

إضافة إلى قضـاة المذاهب الأربعة فقد كان هناك منصب قـاضي القضاة وقد

(١) توفي سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦٢، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣٣.

(٢) ابن فهد، إتحاف، ٤/ ٢٩١، السخاوي، الضوء، ٤/ ٣٣٣، السخاوي، التحفة، ١/ ٦٠، ٢/ ٦٨- ٦٩ السخاوي، التبر، ص ٢٨١، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٧/ ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) يذكر السخـاوي، أن قضاة المدينة كلهم مـقيمون إلا القاضي الحنـبلي لكون قضاء مكة معـه فيوزع اقامته بين المدينتين التحفة، ١/ ٦٠.

(٤) السخاوي، الضوء، ٤/ ٢٧٢- ٢٧٣، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥١- ٥٢.

(٥) السخاوي، التحفة، ١/ ٢٠٠- ٢٠٢.

تولاه عدد من القضاة والفقهاء؛ ومن هؤلاء الزين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين الكردي، المصري، الشافعي، ويعرف بالعراقي الذي ولي قضاء المدينة سنة ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م واستمر في منصبه حتى سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م حيث عزل[١]، وأصدر السلطان المملوكي المنصور قلاوون تقليداً للقاضي شمس الدين السرسني، الشافعي، وولاه منصب قاضي القضاة بالمدينة[٢]. ويعد ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح أول من تقلد منصب قاضي القضاة من أهل المدينة[٣]، يقول في ذلك السخاوي[٤] «وكان أول من ولي القضاء الأكبر من أهل المدينة».

ويلاحظ أن بعض القضاة كانوا يواجهون معارضة من بعض أهل المدينة؛ فقد أدى عدم رضا بعض أهل المدينة عن قاضيها الشمس محمد بن عبد المعطي الكناني العسقلاني المصري المعروف بابن السبع[٥]، إلى ذهابهم لمصر يشكونه إلى السلطان المملوكي، مما أدى إلى عزله سنة ٧٥٤ هـ/ ١٣٥٣م[٦] وتقليد

(١) السخاوي، الضوء، ٤/ ١٧٤، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٦٣- ٥٦٤.

(٢) ابن الفرات، تاريخ، مج ٩ جـ ١ ص ١٤٥- ١٤٦.

(٣) توفي سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م، ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش (د. ط، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص ٢٩٣، ابن حجر، إنباء، ٨/ ٣٠، ابن تغري بردي، النجوم، ١١٦/١٥، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٣٤، السخاوي، الضوء، ٤/ ١٣١.

(٤) التحفة، ٢/ ٥٣٣.

(٥) ولد ابن السبع بالقاهرة سنة ٦٨٠ هـ/ ١٢٨١م وتولى القضاء والخطابة والإمامة بالمسجد النبوي سنة ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م وعزل سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م وأعيد إليها سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م حتى سنة ٧٥٩ هـ/ ١٣٥٧م حين عزل للمرة الثانية، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٩٣ ل أ-ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٦٣ ل أ، ابن حجر، الدرر، ١٤٩/٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٥٤- ٦٥٧.

(٦) السخاوي، التحفة، ١/ ٥٥، ٣/ ٦٥٤- ٦٥٧ .

بدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عيسى الخشاب[1] عوضاً عنه، غير أن القاضي الخشـاب اشتـرط عدم الإقـامة بـالمدينة سوى سنة واحـدة، وأن تبقى وظائفـه بالقاهرة بيد نوابه، فأجيب إلى طلبه وتولى قضاء المدينة[2].

(١) ولد بدر الدين الخشـاب سنـة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م وولي القـضـاء بحلب، ثم بالمديـنة سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م وكانت وفـاته بمصر سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م، الفـيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٤ ل ب، ورقـة ٢٣٥ ل أ، ابن حجـر، الدرر، ١/ ١٣، ابن حـجر، إنبـاء، ١/ ٨٣، السـخاوي، نفسـه، ١/ ١٠٢- ١٠٤.

(٣) المقريزي، السلوك، ٢/ ٧٩٢.

الفصل الخامس

الحركة العلمية

أ- مراكز التعليم في المدينة المنورة

١ - التعليم الأولي في المكاتب أو الكتاتيب.

٢ - نظم التعليم ومناهجه في المسجد النبوي.

٣- المدارس.

٤ - المنازل والأربطة .

ب- العلماء وأثرهم العلمي .

جـ - الأسر العلمية.

د- الرحلات العلمية.

هـ- العلوم والمؤلفات العلمية.

و - المكتبات أو خزائن الكتب.

ز - الموارد المالية للعلماء وطلبة العلم.

١ - الأوقاف، والهبات، والصدقات، والوصايا

٢ - مهن طلبة العلم

أ- مراكز التعليم في المدينة المنورة

١- التعليم الأولي في المكاتب والكتاتيب

واكبت الإسلام منذ ظهوره حركة علمية أظلت بلاد العرب وغيرها من البلاد، ولأن تعليم الصبية هو اللبنة الأولى لنظام التعليم؛ فقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه من بعده على إرساء قاعدة التعليم على أرض صلبة، بالاهتمام بهؤلاء. ومن الأمثلة على ذلك، ما ورد أنه صلى الله عليه وسلم عرض على أسرى بدر أن يفتدي من يرغب منهم نفسه بتعليم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة(١)، ثم اتخذت بعد ذلك أماكن لتعليم الصبيان القرآن، والقراءة والكتابة، ومبادئ الحساب، وأطلق على تلك الأماكن الكتاتيب؛ وهو جمع كـتّاب، ويعني المكان الذي يتعلم فيه الصبيان، ومن اللغويين من يقول أن الكتاب هم الصبيان أنفسهم(٢).

أما المكان الذي يتعلم فيه الصبية فهو المكتب، ويقال لصبيان المكتب الفرقان أيضاً(٣).

وقد وردت إشارات عن وجود الكتاب منذ عهد الرسول ﷺ فقد ورد في بعض كتب الحسبة، أنه لا يجوز تعليم الأطفال في المسجد؛ «لأن النبي ﷺ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها، وينجسون

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٢٦/٢، سامي الصقار، لمحات، ٢/ ٤٠، ٥٦.

(٢) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي جـ ١ (ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م) ص ٢٥٦، الزمخشري، جار الله ابن القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، تحقيق، عبد الرحمن محمود (د. ط، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ص ٣٨٦ الفيروزآبادي، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة (ط٢، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ١٦٥.

(٣) ابن منظور، لسان، ٢١٧/٣.

أرضهـا، إذ لا يحتـرزون من البول وسـائر النجاسات. بـل يتخذون للتـعليم مواضع شرحـة من أطراف الأسواق، ويمنعون أيضاً من التـعليم في بيوتهم»[١] على أن هناك من يرى أن الـكتاتيـب لم تبدأ إلا فـي عهـد الخليـفـة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٢]، وقيل في عهد الخليـفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كـان أول من أمـر ببناء بيـوت المكـاتب، ونصب الرجـال لتـعليم الصبيان وتأديبهم[٣]. ومن شواهد النهي عن استخدام المسـاجد لتعليم الصبية: عند مـا سئل مـالك[٤] عن ذلك فـقال: «لا أرى ذلك يجـوز لأن الأطفال لا يتحفظون من النجاسة»[٥].

وقد اشـترطت في تعلم الكتـاب شروط ذكرت في كـتب الحسـبة[٦]. وقد حددت تلك الشـروط آداب المؤدب وما يأمر به المؤدب الصـبي من الآداب وما يجري داخل المكتب والموضوعات التي تدرس[٧].

ومنذ العصر الإسلامي المبكر لم يكن تعليم القرآن مقتصراً على الصغار فقط بل شمل الكبـار أيضاً[٨]. مهـما يكن من أمر فقـد استمـر الكتاب يؤدي دوره

(١) ابن الأخوة، محمد بن محمد القرشي، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م) ص ٢٦٠.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٢/٢٠٧.

(٣) عبد الحي بن عبد الكبير الكتابي، التراتيب الإدارية (د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت د. ت) ص ٢٩٤.

(٤) مالك بن أنس بن مـالك بن عامر، إمـام دار الهجرة توفي بالمدينة سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م ابن سـعد، الطبقات، القسم المتمم ص ٤٣٣- ٤٤٤.

(٥) ابن سحنون، محمد، آداب المعلمين (د. ط، د. ن، تونس د. ت) ص ٨٣.

(٦) ابن الأخوة، معالم، ص ٢٦٠ - ٢٦٢.

(٧) لتفـصيلات عن هذا الموضـوع انظر، ابن الحاج، أبو عـبد الله محـمد بن محـمد العبـدري الفاسي المالكي، المدخل جـ ٢ (د، ط، دار الحديث، القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٣٠٥- ٣٣٤.

(٨) ابن عبـد البر، يوسف بن عـبد البـر القرطبي، جامع بيـان العلم وفضله، جـ ٢ (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت) ص ٦.

التعليمي عبر العصور الإسلامية؛ ففي العصر المملوكي نجد أن الكتاب في المدينة يمثل المرحلة الأولى التي تهيئ الصبي للانتقال إلى نظام الحلقة في المسجد النبوي أو إلى مؤسسات التعليم الأخرى كالرباط والمدرسة. وكان يقوم بتعليم الصبية شخص يدعى المعلم أو المؤدب. إن الهدف من إنشاء معظم الكتاتيب في العصر المملوكي كان تعليم الأيتام. لهذا السبب أقبل الخيرون على إقامتها وحبس الأوقاف عليها، وأطلق عليها مكاتب السبيل أو مكاتب الأيتام، وقد وجدت إشارات عديدة حول وجود الكتاب لتعليم الصبيان ومنها المكتب الذي أنشأه السلطان المملوكي قايتباي ضمن مرافق أخرى قام ببنائها في المدينة حول المسجد النبوي بعد إعادة إعماره في أعقاب الحريق الذي حصل له سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م[١].

ومن أبرز معلمي الكتاب في المدينة في العصر المملوكي، محمد بن عبد الله السبتي[٢] - الذي يعد من طلبة أبي عبد الله محمد بن غصن القصري عالم القراءات في عصره بالمدينة - وقد ذكر أن بكتابه أكثر من مائة متعلم؛ ما بين صبي يفاع وصغير يراع. وكان له نظام خاص في هذا الكتاب، فقد رتبهم على شكل مجموعات، حسب المستوى العقلي والعمري، وجعل على كل مجموعة عريفاً، وكانت له فراسة وقدرة على التعامل مع الصبيان، كما استخدم الشدة في معاملتهم بالتخويف والتهديد وقد تخرج على يديه عدد كبير من المجاورين[٣].

(١) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤١٠، السمهودي، وفاء، ٢/ ٦٤٤، حمد الجاسر، رسائل في تاريخ المدينة (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص ٥١ .

(٢) توفي سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، السخاوي، نفسه، ٣/٦١٧، والسبتي نسبة إلى سبتة وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، مقابل جزيرة الأندلس، ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ١٨٢ .

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٤ ل ب ٧٥ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٦١ (ب- ٢٦١ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦١٦- ٦١٧.

ورغم النهي عن تدريس القرآن في المسجد، فقد استمر تدريسه في المسجد النبوي، بل أن بعض المعلمين قاموا بتدريس القرآن للكبار والصغار على السواء، ومن هؤلاء عبد الحميد بن علي الموغاني(١) حيث كانت له حلقة لتدريس القرآن في الحرم النبوي لمختلف الأعمار. وممن درس القرآن في الحرم النبوي يحيى القسنطيني(٢). وممن كان له كتاب لتعليم الصبيان سراج الدين عمر بن الأعمى الذي درس الخط لأولاد المجاورين احتساباً(٣)، وإبراهيم بن أحمد بن غنائم البعلي المدني المقرئ، الذي وصف بأنه مؤدب الأبناء ومقرئ، وكان يؤذن بالمسجد النبوي أيضاً(٤).

ويظهر أن وظيفة إبراهيم البعلي الأساسية كانت الأذان بالحرم النبوي، مع قيامه بتعليم خاص لأبناء الأمراء والأشراف والوجهاء من أهل المدينة؛ فيمكن القول إنه كان معلماً خاصاً لهؤلاء. كما تحدثت بعض المصادر عن عدد آخر من المؤدبين من بينهم عمر بن سالم بن بدر السراج الوراقلي المغربي(٥). وصالح بن مسعود بن محمد التميمي العثمي الشافعي المؤدب(٦) وإبراهيم بن عبد الله بن أحمد النفطي المؤدب(٧) وأيوب بن سليمان المغراوي المؤدب(٨).

---

(١) الصواب موقان بطبرستان، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٢٢٥، وقيل موقان بأذربيجان، الفيروزآبادي، نفسه (خ) ورقة ٢٥٠ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/٤٥٨- ٤٥٩، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٥٨- ٥٠ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة، ٦١ ل أ.

(٣) توفي سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٦ ل ب، الفيروزآبادي، نفسه (خ) ورقة ٢٥٢ ل أ، السخاوي التحفة، ٣/ ٣٦٥- ٣٦٦.

(٤) كان موجوداً سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م، السخاوي، الضوء، ١/ ٢٢، السخاوي التحفة، ١/ ١٠٤ .

(٥) كان موجوداً سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٤٢، وذكر اسمه عمر بن سالم بن بدر الداريلي المغربي، وفي هامش الدرر ذكرت وفاته سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م وانظر أيضاً السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٣٠.

(٦) كان موجوداً في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٣٥.

(٧) كان موجوداً في القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي، السخاوي، التحفة، ١/ ١٢٤.

(٨) كان موجوداً سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، السخاوي، الضوء، ٢/ ١٣١، السخاوي، التحفة، ١/ ٣٦١.

٢- نظم التعليم ومناهجه في المسجد النبوي

أ- حلقات العلم في المسجد النبوي.

تمثل مكة والمدينة مركزين هامين من مراكز العلم في الدول الإسلامية. ويعد الحرمان الشريفان أبرز المراكز العلمية في هاتين المدينتين. كانت حلقات العلم في المسجد النبوي تمثل أبرز مظاهر النشاط العلمي في المدينة، فقد أدت تلك الحلقات دوراً بارزاً في إثراء الحركة العلمية ليس في المدينة فحسب بل في الحجاز وبقية أنحاء الجزيرة.

ونظام الحلقة هي تلك التي يتحلق فيها الطلاب حول شيخهم، وتعود بداياتها لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم[١]. واستمرت حلقات التدريس في المسجد النبوي بعد ذلك عبر العصور الإسلامية؛ ففي العصر المملوكي كانت حلقات العلم مزدهرة، فكان لكل عالم حلقته، ويصف ابن فرحون[٢] الحرم الشريف وما يدور فيه من حركة علمية بقوله «كان للحرم الشريف أبهة عظيمة ومنظر بهي، كنت إذا دخلت المسجد الشريف وجدت الروضة المشرفة قد غصت بالمشايخ» ويذكر ابن رشيد[٣]، أنه تلقى العلم على يد اثنين من أصحاب تلك الحلقات؛ وهي حلقة أبي محمد وأبي القاسم الزجاجيين وكان

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه (د.ط، د. ت، القاهرة ١٩٧٧م) ص ٢٨٣-٢٨٤، ولتفصيلات أكثر انظر د. سامي الصقار: لمحات عن نشوء الحركة العلمية في الحجاز في صدر الإسلام دارسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث جـ ٢ (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض: ١٤١هـ/ ١٩٨٩م) ص ٥٤- ٥٥، عبد العزيز صالح الهلابي، الحركة الثقافية في الجزيرة العربية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث حـ ٢ (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ص ٧- ٨ .

(٢) نصيحة، ورقة ٨٢ ل أ- ب .

(٣) ملء العيبة، ٥/ ٢٦.

موضع حلقتهما «حد الجدار الجوفي الأصلي قبل الزيادة من مسجد المصطفى صلى الله عليه وسلم». ويفهم مما قاله ابن رشيد أنه يمكن أن تكون لبعض الحلقات العلمية أكثر من شيخ.

أما البلوي[(١)] فيتحدث عن إحدى حلقات الحرم النبوي، وهي حلقة أبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشافعي[(٢)]. حيث سمع منه كتابه المسمى«الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز، وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين» وأجاز له وأذن له في روايته.

ولم يقتصر التدريس في تلك الفترة على الحرم بل شَمل جهات أخرى مثل المنازل، فقد تحدث ابن فرحون[(٣)]، عن أحد علماء عصره وهو بهاء الدين عمر ابن محمد الهندي الحنفي[(٤)]، الذي كان منقطعاً للتدريس في المسجد النبوي غالب النهار، وكان من حرصه على تلاميذه أنه كان يبعث للطالب إذا تأخر عن الحضور، كما كان يقرأ عليه بعض الطلبة في بيته بالليل. وممن كان يقضي معظم نهار اليوم في المسجد للتدريس أيضاً إبراهيم التلمساني الذي كانت له حلقة في المسجد النبوي لتدريس الفقه الشافعي، وكان لا يدخل بيته إلا وقت الوضوء[(٥)].

(١) البلوي، تاج المفرق، ١/ ٢٩١- ٢٩٣.

(٢) هو عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني، «صاحب المصنفات الكثيرة والنظم الكثير» توفي بمكة سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م انظر السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٦ (ط٢، دار المعرفة، بيروت، د. ت/ ص ١٠٣ ابن، حجر، الدرر، ٢٥/ ٢٤٧، الفاسي، العقد، ٥/ ١٠٤- ١١٥.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٣ ل ب.

(٤) عمر بن محمد بن أحمد بن منصور بهاء الدين الهندي الحنفي نزيل الحرم النبوي، كان عالماً بالفقه والأصول، جاور بالمدينة مدة، توفي سنة ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٣ ل ب، الفاسي، العقد، ٦/ ٣٥٤- ٣٥٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٥٦- ٣٥٧.

(٥) توفي سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧١ ل أ .

على أن ابن بطوطة[1] الذي زار المدينة ٧٢٧هـ / ١٣٢٦م ذكر أن حلقات العلم تستمر ليلاً في ضمن المسجد بعد أن يوقدوا الشموع.

لقد اجتذبت تلك الحلقات أعداداً كبيرة من طلاب العلم من داخل المدينة وخارجها، فكان الحجاج والزائرون والرحالة وطلاب العلم يتلقون علومهم في تلك الحلقات التي كانت تعقد يومياً.

ب- طريقة التعليم :

كانت طريقة التعليم في الحرم النبوي تقوم كما أسلفنا على نظام الحلقات، فكان الشيخ هو الذي يقرر الموضوعات التي يرغب في تدريسها، والطريقة الملائمة للتعليم، كما كان الطالب يختار الشيخ الذي يريد، والموضوع الذي يرغب فيه، وربما ينتقل من حلقة إلى أخرى حسب رغبته، حتى يستقر به الأمر في النهاية مع الاتجاه والموضوع والشيخ الذي يلائم استعداداته وميوله[2] . كان الشيخ وطلبته يجلسون ببساطة على حصيرة في جو علمي وديني، ويستمع خلالها الطلبة بكل إنصات وهدوء إلى شيخهم، الذي بعد أن ينهي حديثه يبدأ النقاش بين الأستاذ وطلبته، وتستخدم في الدراسة طريقة الإملاء والقراءة[3]. لقد تعددت الموضوعات التي تدرس في الحرم النبوي ومنها الحديث[4] ، والتفسير وعلم القراءات والفقه والأدب وعلوم العربية والتصوف[5] . بل إن بعضاً من علماء الحرم برع في علوم أخرى؛ كالفرائض والحساب والجبر والمقابلة

(١) الرحلة : ص ١٤٦ ، وهذا يؤكد أن المسجد النبوي لم يكن يغلق ليلاً في تلك الفترة.

(٢) عبد الرحمن صالح عبد الله، تاريخ التعليم في مكة (د. ط، دار الشروق، جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٣٧.

(٣) سليمان مالكي، بلاد الحجاز، ص ١٨٨ .

(٤) العبدري، الرحلة، ص ٢٠٧ .

(٥) البلوي، تاج المفرق، ١/ ٢٩٢- ٢٩٣، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٧- ٣٨.

والمنطق[1]. ومن طرق التعليم الأخرى بالمسجد النبوي .

- مجالس السماع ومنها ما سمعه ابن رشيد على عالم المدينة عفيفي الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بالحرم النبوي جميع ثلاثيات البخاري، وصحيح مسلم وغيرها[2].

ونتوقع وجود مجالس للأمالي بحيث يملي الشيخ على تلاميذه بعض علومه.

جـ- الإجازات[3] العلمية:

لقد لاحظنا فيما سبق، كيف أن الطلبة ينتظمون في حلقات الدرس حول معلميهم، ويحرصون على حضور تلك الدروس، ولم يكن الطلاب يحصلون على شهادات دراسية جماعية، بل كانوا يحصلون على إجازات علمية فردية كما هو الحال في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وكان علماء الحرم يتبعون في منح هذه الإجازات التقاليد العلمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي منذ القرون الأولى للهجرة[4]، فإذا ما تحقق الشيخ من استيعاب الطالب للعلم، كتب له شهادة على الورقة الأولى والأخيرة من الكتاب الذي قام بدراسته معه؛ تفيد بأنه قرأ الكتاب على شيخه، وأتقن ما فيه، وتلك الشهادة تعد دليلاً على أن الطالب قد استوعب موضوع الكتاب وأنه مجاز بتدريسه وروايته للآخرين وتسمى تلك الشهادة «إجازة». ولم تكن تمنح تلك الإجازات إلا بعد التحقق من كفاءة الدارسين. ويشترط أن يكون المجيز عالماً، متقناً لغته، ثقة في دينه،

(١) الفاسي، العقد، ١/٣٠٩، بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص ٤٨٥.

(٢) ملء العيبة، ٥/ ٦٠- ٦١.

(٣) مفردها إجازة وتعني «إذناً من الاستاذ بتلميذه أن يروي عنه مروياته ومسموعاته أو بعضاً منها»، عثمان موافي، منهج النقد التاريخي، (ط٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية ١٩٧٦م) ص ٨٢.

(٤) محمد عبد الرحمن الشامخ، التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني (ط١، دار العلوم، مكتبة النهضة الرياض ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ص ١٨- ١٩.

وأن يكون المستجيز من أهل العلم[1]. وغالباً ما يحصل الطالب على أكثر من إجازة من عدة شيوخ، وفي موضوعات مختلفة.

وفي ظل هذا النشاط العلمي في المسجد النبوي كثرت الإجازات العلمية التي تمنح طلبةَ العلم ومن أمثلتها الإجازة التي أعطاها أحد علماء المدينة وهو محمد بن أحمد التونسي المعروف بالوانوغي أحدَ علماء ومؤرخي مكة، وهو الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، فقد روى الفاسي أن الشيخ المذكور قد أذن له في تلك الإجازة بالإفتاء والتدريس في المذهب المالكي/ كما يبدي الوانوغي في إجازته إعجابه بالفاسي وبعلمه وفضله حيث يقول «فإني لم أر في فقهاء المالكية بالحجاز من يقاربه في جميع ما ذكر» ثم يختم إجازته بقوله «وقد أجزت له من ذلك أن يروي عني جميع ما يصح لي روايته من مروي ومصنف بشرطه، قاله وكتبه العبد المسمى أوله محمد بن أحمد الوانوغي المالكي نزيل الحرمين الشريفين بتاريخ ثاني ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وثمانمائة»[2].

وكان للنساء نصيب في الحركة العلمية والتدريس ومنح الإجازات العلمية، كما يتضح من الإجازة العلمية التي حصل عليها الرحالة ابن رشيد من امرأة تدعى أم الخير فاطمة البطائحي[3]. ولم تكن المذكورة مقيمة في المدينة بل أتتها زائرة حين قدمت للحج فجلست في المسجد النبوي وتصدت للتدريس فيه وأجازت عدداً من طلبة العلم ومنهم ابن رشيد[4].

---

(١) طرفة العبيكان، الحياة العلمية والإجتماعية في مكة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة (رسالة ماجستير، غير منشوره)، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الملك سعود ١٤٠٦هـ) ص ٨٣.

(٢) العقد، ١/ ٣١٣- ٣١٥.

(٣) هي فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي، ولدت سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م «وسمعت الصحيح من ابن الزبيدي، وسمعت من غيره، وحدثت قديماً» توفيت سنة ٧١١هـ/ ١٣١٠م، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٣٠١، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٦/ ٢٨.

(٤) ملء العيبة، ٥/ ٢١.

٣ - المدارس :

ساهمت المدينة كغيرها من المدن والحواضر الإسلامية بنصيب وافر في الحركة العلميـة؛ حيث أنشئت بهـا العديد من المدارس، التي ساهم في إنشـائها الملوك والأمراء والوجهاء والتجار، وكان معظمها يقع بالقرب من المسجد النبوي. ومن أبرز المدارس التي قامت في المدينة، المدرسة الشهـابية؛ التي أنشأها الملك المظفر شـهاب الدين غـازي[1]. وأوقـفهـا على المذاهب الأربعـة، ورغم أننا لا نعلم بالتحديد تاريخ إنشائها إلا أنه من المؤكد أن ذلك تم في النصف الأول من القرن السابع الهجري، ووقف عليهـا أوقافاً بميافارقين[2]، ووقفاً بدمشق، كما أوقف عليها نخلاً بالمدينة[3]. ويتضح أن الهدف من تلك الأوقاف أن تكون للمدرسة موارد مستمرة للصـرف منها على المدرسين، والطلبة وترميم المدرسة، وتزويدها بما تحتاجه من أدوات ومستلزمات، وبالمدرسة قاعتان: كبرى، وصغرى[4].

وقـد أوقفت بهـا الكثيـر من الكتب[5]، ومن ضـمن من أوقف عليهـا من الكتب يحـيى بن زكريا المعـروف بابن زكري[6]، وإبراهيم بن حـماد[6]. لقد

(١) هو الملك المظفر غـازي بن أبي بكر العادل بن أيوب صـاحب ميافـارقين وخلاط والرها وإربل، من ملوك الدولة الأيوبيـة كـانت وفـاته سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، المقـريزي، السلوك، ١/ ٢١٥، ٣١١، ٣٣٢، وقيل سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٥/ ٢٣٣ .
وانظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ٦/ ٢٥٥، ٢٥٧، خير الدين الزركلي، **الأعلام**، جـ ٥ (ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م) ص ١١٢ .

(٢) ميافارقين، أشهر مدينة بديار بكر، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ٢٣٥.

(٣) السمهودي، وفاء، ١/ ٢٦٥، ٤/ ١٢٩٨، خلاصة، ص ٣٥٢.

(٤) السمهودي، وفاء، ١/ ٢٦٥.

(٥) السخاوي، التحفة، ١/ ٦٤، السمهودي، وفاء، ١/ ٢٦٥.

(٦) الفاسي، العـقد، ٧/ ٤٣٥ الذي ذكر وفـاتـه سنـة ٧٢١هـ / ١٣٢١م، ويعرف أيضـاً بمحيي الدين الحوراني، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٧ ل أ، وحوران «كورة واسعة من أعـمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار» ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٣١٧.

(٧) السخاوي، نفسه، ١/ ١١٣- ١١٥ .

استخـدمت المدرسة الشهابية لغـرضين؛ فقد كان الهدف الأسـاسي من إنشائها التعليم، ثم استخدمت للسكن وخاصة طلاب العلم، والوافدين إلى المدينة من المجاورين، الذين لا مـسكن لهم، حيث يقيم بعـضهم في الأربطة والمدارس، حتى يهيئوا لهم مكاناً للإقامـة، وبعضهم يقيم في تلك الأربطة والمدارس حتى عودته أو وفاته[1]. ونظراً لشهرة المدرسـة الشهابية وأهميتـها؛ فلم يكن تعيين مدرس للتدريس بهـا أمراً سهلاً، بل يتطلب الأمر مـوافقة السلطان المملوكي، فقد سَعَى علي بن فرحون لدى قاضي القضاة بمصر لإصدار أمر بتعيينه بوظيفة مدرس بالمدرسة، فلم تتم الموافقة على ذلك إلا بعد إثبات أهليته لذلك المنصب فصدر له مرسوم من السلطان المملوكي النـاصر محمد بن قلاوون[2]. ويتضح من ذلك أن السلطنة المـملوكيـة كان لهـا حق الإشـراف في تلك الفتـرة على المدرسة فيتم تعيين المشرف عليها، والمدرسين، من قبل السلطان المملوكي.

ولم تقتصـر الأوقاف التي أوقفت على المدرسة على وقفيـات المظفر غازي، بل كان لبعض أهل الخيـر دور هام فيها، فبعضهم اقتـصرت أوقافه على بعض المذاهب، مثل يعقـوب التونسي، الذي أوصى بإخراج خمـسائة دينار من ماله لشراء وقف بالمدينة يصرف ريعـه على من بالمدرسة الشهابيـة من الطلبة المالكية والشافعية[3]، كما أوقف شمس الدين بن العجمـي حديقة تسمى غشاوة على الطلبة الحنفية بالمدرسة[4].

وممن درس بالمدرسة الشهابية شخص يدعى عبد المنعم، يعتقد أنه كان وزيراً

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل أ، ٣١ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٤ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٦ ل أ.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة، ٣٧ ل أ.

لأمير المدينة يروى أنه «كان يجلس للتدريس والسيف معروض بين يديه»[1]. كما ذكر أن مدرس الفقه المالكي في المدرسة يدعى أبا اسحاق[2]. ومن مدرسي الشهابية الحسن بن علي الأسواني[3] وأخوه شرف الدين الزبير[4]. وكان للمدرسة بواب يقوم على خدمتها ومن هؤلاء شخص يدعى سعيداً[5].

ومن المدارس التي أنشئت في المدينة خلال تلك الفترة المدرسة الشيرازية ويظهر أن مؤسسها من أهل شيراز، غير أن المصادر لم تحدد فترة إنشائها، إلا أنه من الواضح أنها كانت موجودة أوائل القرن الثامن الهجري، وكان المشرف والقائم عليها الشيخ إبراهيم العريان؛ الذي أقام بها مدة خمسين سنة، وأسهم في ترميمها وعمارتها، كما اشترى نخلاً أوقفه عليها[6]، وبعد وفاته خلفه في إدارتها الشيخ سليمان الونشريسي[7].

ومن المدارس التي أسهم في إنشائها سلاطين وأمراء الهند المدرسة البنجالية التي أنشأها السلطان غياث الدين أبو المظفر أعظم شاه صاحب بنجالة في

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٧ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٧ ل ب.

(٣) هو الحسن بن علي بن سيد الكل، العز الأسواني، جاور بالمدينة نحو العشرين سنة . ابن حجر، الدرر، ٢/ ١١٣، السخاوي، التحفة، ١/ ٤٨٥.

(٤) الزبير بن علي بن سيد الكل الأسواني أبو عبد الله المصري، ولد سنة ٦٦٠ هـ/ ١٢٦١م وتوفي بالمدينة سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ابن حجر، نفسه، ٢/ ٢٠٥- ٢٠٦، السخاوي، نفسه، ٢/ ٧٦- ٧٨، وعن تدريس المذكورين في الشهابية انظر، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩- ٤٠.

(٥) السخاوي، نفسه، ٢/ ١٦٤.

(٦) توفي بالمدينة سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٧ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ١٥٤.

(٧) توفي سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٧ ل ب، السخاوي، نفسه، ٢/ ١٨٩.

الهند[1] وكان موقعها بمكان يقال له الحصن العتيق[2] عند باب السلام[3]، وقيل عند باب الرحمة[4] وهما من أبواب الحرم «ورتب بها مدرسين وطلبة، وجعل لها وقفاً»[5]. كما أنشأ السلطان شهاب الدين أبو المغازي أحمد شاه[6] سلطان كليرجة بالهند مدرسة بالمدينة قرب باب الرحمة سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م وذكر أن السلطان المذكور بعث مالاً جزيلاً ليعمر له مدارس بمكة والمدينة والقدس[7].

ومن المدارس التي أنشئت في العصر المملوكي؛ المدرسة الأشرفية التي أمر بإنشائها السلطان المملوكي الأشرف قيتباي ضمن مشروع عمارة المسجد النبوي بعد الحريق الذي أصابه سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م، وكان موقعها بين بابي السلام

(١) هو أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين غياث الدين أبي المظفر السجستاني الأصل «كان حنفياً ذا حظ من العلم والخير محباً في الفقهاء والصالحين شجاعاً كريماً جواداً» مات سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م، الفاسي، العقد، ٣/ ٣٢٠- ٣٢١ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، دراسة وتحقيق محمد كمال الدين علي، جـ ٢ (ط ١، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص ٥٠٩، السخاوي، الضوء، ٢/٣١٣، السخاوي، التحفة، ١/٣٣٣.

(٢) هذا المكان أحد أحياء المدينة في العصر المملوكي سبق ذكره في الفصل الثالث.

(٣) الفاسي، العقد، ٣/٣٢٢، السخاوي، الضوء، ٢/٣١٣، التميمي، تقي الدين بن عبد القادر، الطبقات السنية، في تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، جـ ٢ (ط١، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٤) السخاوي، التحفة، ١/ ٣٣٣.

(٥) السخاوي، التحفة، ١/ ٣٣٣ وذكر أن إنشاءها تم حوالي سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م.

(٦) «أحمد شاه بن أحمد شاه بن حسن شاه بن بهمن شاه شهاب الدين المغازي صاحب كلبرجة وما ولاها من بلاد الهند .. مات في رجب ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م» المقريزي، السلوك، ٤/ ٧٧٥ السخاوي، الضوء، ١/ ٢١٠.

(٧) ابن فهد، إتحاف، ٣/٦٤٣، السخاوي، التحفة، ١/ ٦٤، ٢٧٧.

والرحمة، وأرسل إليها السلطان خزانة كبيرة وكتباً، كما ألحق بها بعض المرافق والمؤسسات التعليمية الأخرى، ومنها مكتب للأيتام، وسبيل، ويظهر أن السلطان أراد من إلحاق المكتب أو الكتاب بالمدرسة أن يواصل الطالب تعليمه في المدرسة بعد تخرجه من الكتاب[1]، وقد استمرت المدرسة حتى العهد العثماني. وقد وصفها النابلسي[2] بأنها «على شكل قاعة بأربعة أووابن كلها بالحجارة المنحوتة الملونة والشبابيك الكبار من النحاس الأصفر وفي وسطها الميدان المفروش بالبلاط المنقوش مرتفعة يصعد إليها بدرج ودهليز مبلط وشبابيكها مطلة على داخل الحرم النبوي من جهة الغرب قبالة الحجرة وفيها الخلوات للمجاورين، ولها شباك مطل على باب السلام».

ومن المدارس، المدرسة الباسطية التي أنشأها الزيني عبدالباسط[3]، والمدرسة الازكجية[4]، والمدرسة المزهرية للزيني كاتب السر[5]، والمدرسة السنجارية المقابلة لباب النساء[6]، ورغم أننا لا نعلم شيئاً عن تلك المدارس إلا أنه من المحتمل أن يكون بناؤها ونظام التعليم فيها مشابهاً للمدارس الأخرى.

(١) السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٠٧، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤١٠- ٤١١ السمهودي، وفاء، ٢/ ٦٤٣، السمهودي، خلاصة، ص ٣٢٦- ٣٢٧ ابن إياس، بدائع، ٣/ ٣٢٩.

(٢) النابلسي، الرحلة، ص ٣٣٥ وقد أصبحت في عصر النابلسي (القرن الثاني عشر الهجري) محكمة.

(٣) ربما يكون عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الزين الدمشقي ثم القاهري ولد سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م بدمشق وتوفي بالقاهرة سنة ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠م دخل في سلك وظائف الدولة المملوكية ولا زال يترقى إلى أن أثرى، وعمّر الاملاك الجليلة ومنها مدارس بالقاهرة ومكة والمدينة، السخاوي، الضوء، ٤/ ٢٤- ٢٧ السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٤٣- ٤٤٨.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣١ ل ب، وقد استمرت المدرسة إلى أوائل القرن العاشر الهجري انظر السخاوي، التحفة، ١/ ٦٤.

(٥) السخاوي، التحفة، ١/ ٦٤.

(٦) السخاوي، التحفة، ١/ ٦٤.

والمدرسة الجوبانية التي ابتناها جوبان بن تدوان نائب السلطان المغولي(١) سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م، وجعل له فيها تربة ملاصقة لجدار المسجد بين جدار الشباك والحصن العتيق، على أمل أن يدفن فيها بعد وفاته، لكن لم يتم له ذلك لامتناع أمير المدينة عن دفنه فيها(٢). إلا أنه من خلال الاطلاع على المصادر التي تحدثت عن مدارس مكة، كالبنجالية والقلبرجية التي بني مثيل لها في المدينة، يمكن القول إن المدارس في المدينة إما أن تكون أربطة سابقة، أو منازل هدمت وأعيد بناؤها في موضعها، ليتناسب وأغراض المدرسة، وتقع أغلب تلك المدارس بجوار المسجد النبوي، وربما تتكون في الغالب من طابقين، يسكن الأعلى منها الطلبة، والأسفل المدرسون والمسؤولون عنها، ويكون في المدرسة في العادة قاعة كبيرة، أو قاعتان، كما هو الحال في المدرسة الشهابية، وذلك في الطابق الأسفل، وتخصص القاعة الكبيرة لإلقاء الدروس، فضلاً عن بعض المرافق الأخرى كالخلاوي وصهاريج المياه(٣).

أما عن الموضوعات التي تدرس في تلك المدارس فتشمل القرآن وتفسيره، والحديث، والفقه، والعقائد، والتصوف(٤). يضاف إلى ذلك وجود مدارس تختص بمذاهب معينة، فمنها مدرسة للشافعية بناها الأمير

(١) جوبان بن تروان نائب القان أبو سعيد بن خربندا، قتل على يد أبي سعيد سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٨ ل أ، ب ورقة ٢٣٩ ل أ، الفاسي، العقد، ٣/ ٤٤٦- ٤٤٨، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٧٨- ٧٩ ابن فهد، إتحاف، ٣/ ١٨٥؛ السخاوي، التحفة، ١/ ٤٣١- ٤٣٢.

(٢) السمهودي، وفاء، ٢/ ٧٠٢.

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر، الفاسي، العقد، ١/ ١١٨، الفاسي، شفاء ١/ ٣٣٠، ابن فهد، إتحاف، ٣/ ٥٤، ٤ / ٣٧٢، ٤٣٢- ٤٣٣.

(٤) ابن جابر الوادي آشي، شمس الدين محمد بن جابر، برنامج ابن جابر الوادي آشي، تحقيق محمد الحبيب الهيلة (د. ط، جامعة أم القرى، تونس ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ص ٤٩.

خيري بك[1]، وعهد إلى أحد فقهاء الشافعية بالمدينة وهو علي بن عبد الله السمهودي بالتدريس فيها[2]. ومن المدارس الحنفية المدرسة التي «بناها يازكوح[3] أحد أمراء الشام، وعمل له فيها مشهداً نقل إليه من الشام»[4]. ومن الجدير بالذكر أن العطلات الدراسية كانت الثلاثاء والجمعة[5].

٤- المنازل والأربطة :

تعد المنازل من المراكز الهامة لطلب العلم في مختلف العصور الإسلامية وفي المدينة تلقى بعض طلبة العلم بعض علومهم على العلماء في منازلهم ومن هؤلاء الرحالة ابن رشيد الذي قرأ على الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن يحيى الفاسي في داره بالمدينة سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م[6].

وبحكم أن الأربطة يسكنها بعض من جاؤوا لطلب العلم، وانقطعوا إليه فنتوقع أن يكون فيها بعض الدروس سواءً للساكنين، أو لمن يأتي إليهم ويتدارس معهم في علم أو فن من الفنون[7].

---

(١) لم أتوصل إلى المعرفة الأكيدة لشخصية خيري بك، فقد وردت عدة شخصيات بهذا الاسم جميعهم أمراء عشرات في دولة المماليك خلال القرن التاسع الهجري وهم خير بك بن حتحيث، السخاوي، التحفة، ٢/٢٨، السخاوي، الضوء، ٣/٢٠٧، خير بك الأشرفي برسباي، السخاوي، الضوء، ٣/٢٠٨، خير بك الأشرفي اينال، السخاوي، الضوء، ٣/٢٠٨ خير بك الظاهري خشقدم، السخاوي، الضوء، ٣/٢٠٨- ٢٠٩، خير بك القصروي، وخير بك المؤيدي، السخاوي، الضوء، ٣/٢٠٩.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/٢٣٣.

(٣) لم أتوصل إلى معرفة شخصيته فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) السمهودي، وفاء، ٢/٦٩٢، وفي السمهودي، خلاصة، ص ٣٤١، يا زكوش، وفي هامش الصفحة يازكوج.

(٥) العياشي، الرحلة، ص ٢٠٤.

(٦) ابن رشيد، ملء العيبة، ٥/٣٧.

(٧) عن الأربطة انظر: الفصل الثالث، الحياة الاجتماعية، السكن.

ب- العلماء وأثرهم العلمي

لقد شهـدت المدينة في العصر المملوكي حركة علمـية واسعة؛ نتيجـة لهجرة أعداد كبيرة من العلماء وطلبة العلم إليها من مختلف أقطار العالم الإسلامي إما للإقامة الدائمة فيها، أو للمجاورة لفترة من الزمن، أو لتلقي العلم بها، كما مر بها عدد من العلماء والرحالة الذين قـدموا للحج والعمرة والزيارة، يضاف إلى ذلك قدوم عدد من العلماء لتولي وظائف دينيـة أو إدارية. ساهم هؤلاء جميعاً في إثراء الحـركة العلمـيـة في المدينة. وعلى هذا يمكن القـول إن المدينة بحكم موقعـها وأهميتـها الدينية، تعد من المراكـز العلمية الهامة فـي العالم الإسلامي خلال تلك الفـترة، وكان لتـعدد مؤسسـات التعليم بهـا من أبرز العوامل التي دفعت طلبة العلم للقدوم إليها؛ ومن أهمها المسجد النبوي بما يحتويه من حلقات العلم، والمدارس والأربطة بما تحويه من خزائن كتب وبما تضمه من مدرسين.

من أبرز العلماء الذين ساهموا بنصيب وافر في الحركة العلمية الإمام العلامة سراج الدين عمر بن أحمد بن ظافر بن طراد بن أبي الفتوح الخضري الأنصاري الشافـعي المعروف بـالسراج(1). وقـدم المدينة من مصـر سنة ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م متـولياً الخطابة، وكانت الخطابة قبل ذلـك ومنذ أن تولى الفاطميون على مـصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م بأيدي آل سنان، ولم يلـبث أن أضيف له القـضاء، كـان السراج يجلس في المسجد النبوي لإلقاء دروسه على طلبة العلم وقد وصفه ابن فرحون؛ بأنه «كان رحمه الله فقيهاً مجيداً أصولياً نحوياً متقناً في علوم جمة»(2) كما أثنت مصادر أخرى عليه وذكرت براعته في الفقه والأصول(3).

---

(1) توفي سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١٤ .

(2) نصيحة، ورقة ٣٧ ل أ، ورقة ٨٧ ل أ.

(3) الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢/ ٧٢ وأشار إليه بالسراج السويداوي، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٤٨- ٢٤٩، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٢٢٤- ٢٢٥ السخاوي، نفسه، ٣/ ٣١٢- ٣١٧.

ومن علماء المدينة أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجريين محمد ابن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي المالكي الذي درس الفقه المالكي في المدرسة الشهابية، والمسجد النبوي[1]، وخلفه في علمه والتدريس ابنه البدر عبد الله[2] وقد أدى الخلاف بين السراج ومحمد بن فرحون وابنه عبدالله على التدريس في المدرسة الشهابية والمسجد إلى تعزيز الفقه المالكي، وانتشار المذهب المالكي في المدينة. وقد عبر عن ذلك ابن فرحون بقوله «ومن يومئذ استمر حال المالكية وظهر أمرهم وقوي مذهبهم وكثرت جماعتهم وأولادهم فقرؤوا الكتب المطولة وفقهوا»[3].

ومن العلماء الذين كان لهم تأثير واضح في الحركة العلمية في المدينة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف الأنصاري الخزرجي العبادي المعروف بالمطري[4]، الذي وصفه ابن فرحون «بالإمام العلامة أقضى القضاة... كان إماماً في الحديث والتاريخ والفقه والمشاركة في العلوم»[5].

وقد تولى رئاسة الأذان بالمسجد النبوي، ثم نيابة القضاء والخطابة والإمامة، وكانت له مشاركة في كثير من العلوم ومنها التاريخ حيث صنف كتاباً في

(١) توفي سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٧ ل ب - ٣٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/٧٠٦- ٧١٠.

(٢) توفي سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، ابن فرحون، الديباج، ١/ ٤٥٤ - ٤٥٩ وقد وصفه بأن «كان من أكابر الأئمة الأعلام ومصابيح الظلام عالماً بالفقه والتفسير وفقه الحديث ومعانيه».

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٩ ل أ.

(٤) توفي ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٦٧.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٢ ل أ.

تاريخ المدينة[١]. وقد التقى به الرحالة البلوي[٢] بالمسجد النبوي وسمع عليه الكثير من أحاديث الرسول ﷺ، ووصفه بأنه «من أعظمهم رياسة وأكرمهم سيادة وسياسة».

ومن العلماء الذين استقروا في المدينة لبعض الوقت، وكان له تأثير في علمائها وطلبة العلم بها، عفيف أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي[٣] وصفه ابن فرحون[٤] بأن «مناقب الشيخ وكراماته وأحواله وعلومه ومصنفاته ومجاهداته لا يحصرها حد ولا تنتهي بالعد». وقد صنف في التصوف وأصول الدين[٥].

ومن العلماء الذين جاوروا بالمدينة لأكثر من خمسين سنة، وأصبحت لهم مكانة علمية بها الشيخ عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري، ثم المدني الحنبلي[٦] الملقب بالتمار، وقد التقى به الرحالة العبدري في المدينة فاستجازه فأجازه لفظاً في كل ما يحمل من العلم[٧]. كما لقيه ابن رشيد في رحلته إلى المدينة فاستجازه فأجازه وأسمعه بعض الأحاديث وشيئاً من شعره[٨]، وتعده بعض المصادر محدث المدينة خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري[٩].

(١) الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٦٢ ل ب، ٢٦٣ ل أ، ابن حجر الدرر، ٣/٤٠٣- ٤٠٤.

(٢) تاج المفرق، ١/ ٢٩٤.

(٣) نفسه ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م، السخاوي، التحفة، ٢/٢٩٦.

(٤) نصيحة، ورقة ٥٧ ل ب، ٥٨ ل أ.

(٥) السبكي، طبقات، ٦/١٠٣، الاسنوي، طبقات، ٢/٥٧٩ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ٣/٩٥- ٩٦، ابن حجر، الدرر، ٢/٣٥٢- ٣٥٤ السخاوي، نفسه، ٢/٢٩٤- ٢٩٧.

(٦) توفي سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، السخاوي، التحفة، ٣/١٧- ١٨.

(٧) الرحلة، ص ٢٠٧.

(٨) ملء العيبة، ٥/ ٦٠- ٦٣.

(٩) الفاسي، العقد، ٥/ ٤٢٩- ٤٣٠، السخاوي، نفسه، ٣/١٧- ١٨.

ويعطي ابن فرحون[1] صورة عن الحركة العلمية في المسجد النبوي، حيث تحدث عن ازدحامه بالعلماء وبخاصة في الروضة الشريفة، وتعدد حلقات العلم، وقد ذكر ما يقرب من ٢٥٠ عالماً وطالب علم عاصرهم وسمع منهم وذكر السخاوي[2] أعداداً من العلماء وطلبة العلم في المدينة خلال العصر المملوكي. أما الفاسي[3] فرغم أنه خصص كتابه العقد الثمين لتراجم أعيان وعلماء مكة، فقد ترجم لبعض علماء المدينة ممن لهم صلة بمكة، أو طلبة علم وعلماء مكيين وفدوا إلى المدينة، حيث ذكر ما يصل إلى خمسين ترجمة بينهم امرأتان[4] أسهمتا في الحركة العلمية في المدينة. كما ذكر أكثر من عشرين قاضياً تولوا القضاء في المدينة خلال تلك الفترة، كما أشار في كتابه الآخر ذيل التقييد[5] إلى عدد من علماء المدينة أو ممن وفد إليها.

ومثل هذا العدد الوفير من العلماء الذي أوردته تلك المصادر وغيرها، لابد أن يكون له تأثير بالغ في الحركة العلمية، ورغم الفروق الزمنية التي تفصل بين ابن فرحون والفاسي، والسخاوي؛ فإن هناك استمرارية في العطاء العلمي للحركة العلمية في المدينة. كما ازدهرت حركة التأليف، ونمت المؤسسات التعليمية الأخرى، كالمدارس والأربطة والمكتبات، وعزز ذلك كله مكانة المدينة العلمية بين أقرانها من المدن الإسلامية.

(١) نصيحة ورقة ٨٢ ل أ - ب.

(٢) من خلال كتابيه التحفة اللطيفة، والضوء اللامع.

(٣) سبق ذكر بعضهم وسيرد ذكر البعض الآخر لاحقاً.

(٤) هما أم ريم بنت علي بن ثاقب، القرشية السهمية المكية، الفاسي، العقد، ٨/ ٣٤٢ وأم الخير، عائشة بنت القاضي شهاب الدين الطبري، الفاسي، العقد، ٨/ ٣٣٨.

(٥) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق محمد صالح المراد جـ ١ (ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ص ٥٧ - ٥٨، ٦٧، ٧٩، ٨٨- ٨٩، ٢٢٢، ٢٨١- ٢٨٢.

جـ - الأسر العلمية

نظراً للمكانة الدينية والعلمية للمدينة؛ التي تقوم على وجود المسجد النبوي بالدرجة الأولى، ثم رعاية سلاطين المماليك بما خصصوه من أوقاف للحرم النبوي، والمدارس، والأربطة والمرافق الاجتماعية الأخرى، فقد اجتذبت أعداداً كبيرة من الناس الذين تولى بعضهم وظائف دينية وإدارية، وتلقى البعض الآخر العلم على يد علمائها، فاستقر البعض منهم فيها وتزوجوا وتناسلوا، فعدوا من أهلها فبرز في أبنائهم وأحفادهم علماء وفقهاء، تولى بعضهم مناصب دينية رفيعة في المدينة، ومهر أبناؤهم وأحفادهم من بعدهم فأصبح لهم شأن في مختلف العلوم والفنون، وساهموا بنصيب وافر في إثراء الحركة العلمية في المدينة، فتكونت نتيجة لذلك أسر علمية وضح أثرها في العصر المملوكي واستمر الأثر العلمي والاجتماعي لبعضها حتى العصر العثماني ومنها:

١ - أسرة المطري :

تنسب هذه الأسرة إلى أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي الأنصاري الخزرجي العبادي الساعدي المطري[١].

وفي أوائل العصر المملوكي لم يكن بالمدينة «من يوثق به في معرفة الأوقات وتحريها. فبعثوا لها ثلاثة من المؤذنين من بينهم أحمد بن خلف فقطن المدينة وصار رئيس المؤذنين بها[٢]. وولد له سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م[٣] ابنه محمد فنشأ نشأة دينية صالحة، وخلف والده في رئاسة المؤذنين بالمسجد النبوي، وكان كما وصف «إماماً في الحديث والتاريخ والفقه والمشاركة في العلوم»[٤]. أنجب

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل أ.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/١٧٨.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٣ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٦٢ ل أ، ٢٦٣ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٣/٤٠٣، السخاوي، نفسه، ٣/٤٦٦- ٤٦٩.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، وقد سبق الحديث عن علمه ووظائفه وسيرد لاحقاً عن مؤلفاته.

محمد بن أحمد عدداً من الأبناء من بينهم الشيخ الإمام العلامة أبو السيادة عفيف الدين عبد الله، وقد ولد بالمدينة سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م وذكر أنه زاد على والده «بالمشيخة في الحديث ولقاء الشيوخ»[١] فقد رحل إلى العراق ومصر والشام وكثير من الأقاليم. وأصبح إماماً في علمي الرجال والحديث، وانتهت إليه مشيخة الصوفية بمكة والمدينة[٢]. وقد التقى الرحالة ابن بطوطة[٣] به وبوالده وأثنى عليهما. وكان أحد المؤذنين بالمسجد النبوي ثم أصبح رئيساً للمؤذنين[٤]. وكان على درجة كبيرة من العلم والتأليف في كثير من الفنون من بينها الفقه والحديث والتاريخ[٥].

كانت وفاته بالمدينة سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م ولم يعقب[٦].

ومن أفراد هذه الأسرة ممن كان لهم مكانة علمية محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن خلف المطري ابن أخي العفيف عبدالله السابق الذكر، وقد ولد بالمدينة سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، ولي رئاسة المؤذنين بالحرم النبوي، كجده وعمه، كما تولى قضاء المدينة وخطابتها، وحدث ودرس وأفتى ، وقد تتلمذ على يديه فقهاء ومحدثون ومؤرخون منهم التقي بن فهد، والتقي الفاسي، كانت وفاته بمكة سنة ٨١١هـ /١٤٠٨م[٧].

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، السخاوي، نفسه، ٢/٣٨٨.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦٣ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٤٨، ل أ- ب.

(٣) الرحلة، ص ١٤١.

(٤) السخاوي، نفسه، ٢/٣٨٧.

(٥) ابن حجر، نفسه، ٢/٣٩١.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٤ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم، ورقة ٢٤٨ ل ب.

(٧) ابن حجر، إنباء، ٦/ ١٢٨- ١٣٠، السخاوي، الضوء، ٧/٢٩٩- ٣٠٠، السخاوي، التحفة، ٦٢٧ - ٦٢٩، وذكر الفاسي، أن لعبدالرحمن بن محمد ولدين باسم محمد، أحدهما يلقب بالشمس كان رئيس المؤذنين بالحرم المدني وتوفي بمكة سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م والآخر يلقب بالرضي، كان قاضي المدينة وخطيبها وإمامها توفي بمكة سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨هـ العقد، ٢/١٠٥ ١٠٦.

٢- أسرة الزرندي:

تنسب هذه الأسرة إلى عز الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن عبد الله الزرندي(١).

ولد سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م ورحل في طلب العلم إلى بغداد والشام ومصر وغيرها. ثم استقر به المقام في المدينة وسكن رباط الأصبهاني، وتصدى لتدريس الحديث في المسجد النبوي، وكانت وفاته بطريق العراق سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م(٢).

أنجب يوسف ثلاثة أبناء أصبحوا من كبار العلماء وهم: شمس الدين محمد، وشهاب الدين أحمد، ونور الدين علي(٣). ولد أكبرهم شمس الدين محمد بالمدينة سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م وتعلم بها، ثم درس الحديث والفقه بالحرم النبوي، وله مؤلفات عديدة(٤) وقد ارتحل إلى شيراز(٥) فتولى بها القضاء «وكان فيها علماً يشار إليه». اتفقت المصادر على وفاته بشيراز واختلفت في سنة الوفاة(٦).

---

(١) ابن حجر، الدرر، ٥/ ٢٢٨.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤١ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٥/ ٢٢٨.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤١ ل ب.

(٤) ابن حجر، نفسه، ٥/ ٦٣، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، جـ ١ (د. ط، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٦هـ) ص ٧٤٧ علي السيد علي، الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك (ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص ١٦٨.

(٥) شيراز بلد عظيم مشهور معروف مذكور، وهو قصبة بلاد فارس وهي في وسط بلاد فارس بينها وبين نيسابور مائتان وعشرون فرسخاً. ياقوت، معجم البلدان، ٣/ ٣٨٠.

(٦) ذكر ابن فرحون، نفسه، وفاته سنة ٧٤٧ هـ/ أو ٧٤٨هـ/ ١٢٤٩ أو ١٢٥٠ م أما الفيروزآبادي، فذكر وفاته سنة ٧٥٩هـ/ ١٢٦٠م، المغانم (خ)، ورقة ٢٦٢ ل أ، وذكر ابن حجر، وفاته في بضع وخمسين وسبعمائة، نفسه ٥/ ٦٣.

خلف شمس الدين محمد عدداً من الأبناء أكبرهم سراج الدين عبد اللطيف المكي أبو أحمد، درس الحديث في الحرم بعد وفاة والده كما حدث بتاريخ المدينة للمطري، وكانت وفاته بها سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م[1]. وخلف من الأبناء، أبا طاهر أحمد، وأبا الفضل محمد، أما الأول فلم أعثر له على ترجمة، أما أبو الفضل محمد فقد كان طالب علم تتلمذ على أحد علماء المدينة وهو الجمال محمد بن أحمد الكازروني)[2].

خلف محمد ابناً اسمه عبد اللطيف وقد ولد بالمدينة سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م ودرس على كبار علمائها كأبي الفرج والزين المراغي والجمال الكازروني وغيرهم، مات مقتولاً في اللجون[3] بدرب الشام بعد سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤١م[4]. وخلف ابناً هو الشمس محمد الذي ولد سنة ٨٥٠ هـ/ ١٤٤١هـ وتلقى العلم في المدينة[5] . مما سبق يتضح أن كلا من أبي الفضل محمد وابنه عبد اللطيف وحفيده محمد لم تكن لهم مكانة علمية واضحة في المدينة ولم يتولوا وظائف دينية فيها بل كانوا طلاب علم فقط.

أما الابن الثاني لمؤسس الأسرة فهو شهاب الدين أحمد بن يوسف ولد بالمدينة سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م[6]، ولقب بالبرهان القراري الشمس أبي العباس ابن العز الأنصاري الزرندي المدني الصوفي رحل في طلب العلم إلى بغداد والقاهرة، ووصف بالشيخ الإمام العالم العامل المرحوم، أنجب ولدين أحدهما

(١) السخاوي، التحفة، ٣/ ٧٢- ٧٣.

(٢) السخاوي، الضوء، ٨/ ٧٨.

(٣) اللجون، بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلاً، ياقوت، معجم البلدان، ٥/ ١٣.

(٤) السخاوي، الضوء، ٤/ ٣٣٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٧٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ٨/ ٧٨، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٥٣.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٧٢- ٢٧٣.

عبد اللـه الذي حوى كما يذكـر ابن فرحون[1] «كل العلوم المتداولة بين الناس وحفظ اثني عشر كتاباً في فنون مـتعددة، سافر به والده إلى دمشق فرأس وبرع واشتهـر وولي الوظائف الجليلة» وقد توفي شهاب الدين أحمـد وابنه عبد الله في الطاعون بالشام سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م[2]. أما الابن الثاني لـشهاب الدين أحمد فهو محمد، فقد سافر لطلب العلم إلى العراق ومصر والشام، «وتصوف واشتغل بالعلم ولا سـيما علم الفرائض»[3]. ودرس بالمدينة بعد وفاة والده ثم رحل إلى شيراز وأقـام مع عمه محمد بن يوسـف حينما كان بها قاضـياً وبعد وفاة عمه ارتحل إلى كازرون، وبها توفي بعد ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م[4].

أما الابن الثالث لمؤسس الأسـرة فهو نور الدين على بن يوسف ولد بالمدينة واخـتلف في عـام مـولده مـا بين سنة ٧٠٣هـ و٧١٠هـ ١٣٠٣م و١٣١٠م[5] وصفـه ابن فـرحون[6] «أنه حـاز من العلوم ما لم يحـزه أخواه» أي مـحمـد وأحمد، وأصبح إمـاماً في علم اللغة والحديث والرجال، وولي قـضاء الحنفية والحسبة بالمدينة سنة ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م[7]. وقيل ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م[8]، وصفه

(١) نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٧٣.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٤٦٢.

(٤) السخاوي، نفسه، ١/ ٥١٣- ٥١٤.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٢١٧/٣، السخاوي، نفسه، ٢٦٨/٣.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ .

(٧) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل أ.

(٨) ابن حـجر، الدرر، ٣/ ٢١٧، السـخاوي، التـحفـة، ٣/ ٢٦٩، وما ذكـره ابن فرحـون هو الأصح لمعاصـرته للمذكور وذكر السـخاوي، أن المذكور تولى القـضاء والحسبـة سنة ٧٦٦ هـ أيام الناصر حسن بن الناصـر محمـد بن المنصور التحفة، ٣/ ٢٦٩ أي أن هذا التاريخ ومـا بعده يوافق سلطنة الأشـرف ناصر الدين شعـبان الثاني الذي تولى السلطنة بين ٧٦٤هـ- ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣- ١٣٧٧م،=

أبو حامد محمد بن عبد الرحمن المطري[1] «بالشيخ الإمام العلامة المحدث قاضي قضاة الحنفية». هو أول قضاة الحنفية بالمدينة كان شافعياً فتحول فصار حنفياً[2]. كانت حياته حافلة بالعلم والعمل والتأليف، توفي بالمدينة سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م[3].

أنجب نور الدين علي عدداً من الأبناء بينهم عبد الرحمن، الذي ولد بالمدينة سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، اشتغل بالفقه وولي قضاء الحنفية بالمدينة سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م كما تولى حسبة المدينة أيضاً[4]، كانت وفاته بالمدينة سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م[5].

وفي أوائل القرن التاسع الهجري برز من أفراد هذه الأسرة محمد بن محمد بن علي الزرندي الشافعي الذي ولي قضاء المدينة وخطابتها سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م ومات بالطاعون في القاهرة سنة ٨٢٢ هـ/ ١٤١٩م[6]، ومن علماء الأسرة أيضاً علي بن يوسف بن محمد بن علي الزرندي الذي ولي حسبة المدينة عوضاً عن قريبه قاضي الحنفية علي بن سعيد وكانت وفاته سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م[7].

= ابن إياس، بدائع، ١/ ٣، بينما كانت سلطنة ناصر الدين حسن الأولى بين ٧٤٨- ٧٥٢هـ/ ١٣٤٧- ١٣٥١م، والثانية بين ٧٥٥- ٧٦٢هـ/ ١٣٥٤- ١٣٦١م لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ١٧٣.

(١) السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٧٠.

(٢) ابن إياس، بدائع، ١/ ٩٤.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم، (خ) ورقة ٢٥٥ ل ب، وذكر كل من ابن حجر، والسخاوي، وفاته سنة ٧٧٢هـ الدرر، ٣/ ٢١٧، التحفة، ٣/ ٢٧٠.

(٤) ابن حجر، إنباء، ٧/ ١٥٦، وفي السخاوي، الضوء، ٤/ ١٠٦، التحفة، ٢/ ٥١٨- ٥١٩ أنه ولي القضاء سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م.

(٥) ابن حجر، إنباء، ٧/ ١٥٦.

(٦) ابن حجر، إنباء، ٧/ ٣٧٠، السخاوي، الضوء، ٩/ ١٦٧.

(٧) السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٧٣ كما سبقت الإشارة إلى عدد من أفراد الأسرة الآخرين ممن تبوؤوا وظائف دينية مثل محمد بن عبد الوهاب الزرندي وأبنائه/ سعد وسعيد، وعلي بن سعيد، ومحمد ابن سعيد.

٣- أسرة ابن فرحون

قدمت هذه الأسرة ـ كما تقدم ـ من تونس، وتنسب إلى أبي عبد الله محمد بن الفضل أبي القاسم فرحون بن محمد اليعمري الأبدي الجياني التونسي. ولد في تونس ونشأ بها واشتغل بالعلم على شيوخ بلده، وبرع في الفقه والأصول والعربية وشارك في علوم عديدة، ثم استوطن المدينة قبل سنة ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م وتزوج بها، فرزق خمسة ذكور، وشارك مشاركة فعالة في الحركة العلمية في المدينة فدّرس بالمسجد النبوي والمدرسة الشهابية، وكان له أثر كبير في نشر المذهب المالكي بالمدينة، وكانت وفاته سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م[١].

خلفه في علمه وفقهه ابنه الأكبر البدر عبد الله، فقد ولد بالمدينة سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م وتفقه على والده، كما تلقى العلم على كثير من علماء المدينة وفقهائها وصفه ابن أخيه البرهان إبراهيم[٢] في طبقاته بقوله «كان من أكابر الأئمة الأعلام، ومصابيح الظلام، عالماً بالفقه والتفسير، وفقه الحديث ومعانيه... وكان بارعاً في علم العربية، وتآليفه فيها شاهدة له بذلك.. وكانت مشاركته في أصول الدين مشاركه حسنة، وحدث ودرس وأفاد، وإليه انتهت الرياسة بالمدينة، أقام مدرساً للطائفة المالكية، ومتصدراً للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وانفرد في آخر عمره بعلو الإسناد، فلم يكن في المدينة أعلى سناً وسنداً منه، وكان صبوراً على السماع والأشغال، وكان كهفاً لأهل السنة، يذب عنهم، ويناضل الأمراء والأشراف» هذا الوصف البليغ لهذه الشخصية العلمية، يدل على علو مكانته ومنزلته عند أهل المدينة، وما أداه من دور في مجتمع المدينة خلال النصف الأول من القرن الثامن الهجري؛ من دفاعه عن

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١١- ١١٤.

(٢) الديباج، ١/ ٤٥٤- ٤٥٥.

عقيدة أهل السنة في وجه مناوئيها من الأشراف وقضاة الإمامية المتنفذين، فكان دوره كبيراً في إضعاف شأن القضاة الإمـامية ثم عزلهم كليةً عن القضاء بعد أن ناب في القضاء ابتداءً من سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م[١] وله مؤلفات كثيرة أوردتها بعض المصادر[٢]، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م[٣] .

أما الابن الثاني نور الدين علي بن محمد بن فرحون فقد ولد سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م في المدينة، وتعلم على والده، كما أخذ العلم على عـدد من فقهائها، ثم ارتحل لطلب العلم إلى القدس ودمشق ومصر والمغرب، وعاد بعد ذلك إلى المدينة فتصدى لتدريس الفقه والعربية في المسجد النبوي واشتغل في آخر عمره بالنظر في كتب التصوف، وقد ذكره أخوه ابن فرحون[٤] بقوله «أخي نور الدين أبو الحسن علي واسمه من العلو والدين مع مـا حوى من علمي الفقه والأصول والعربية والحديث واللغة والمعاني والبيـان مع المشاركة العظيمة في ساير العلوم» ويبدو أن له مكانة عند أمراء المدينة من الأشراف فقد ذكر صاحب الديباج[٥] أنه «كانت له وجاهة عظيمـة عند أمراء المدينة، وكان مقصداً للشفـاعات إليهم فلا ترد له شفاعة في غالب الأمر»[٦] وقد توفي في المدينة سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م.

(١) ابن فرحون، نصيحة، ١/ ٤٥٦- ٤٥٧، الفيروزآبادي المغانم (خ) ورقة ٢٥٢ ل ب الفاسي، العقد، ٢/ ٢٩٤ ابن حجر، الدرر، ٢/ ٤٠٦- ٤٠٧، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٠٧.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ١/ ٤٥٧، السخاوي، نفسه، ٢/ ٤٠٨.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ١/ ٤٥٩، السخاوي، نفسه ٢/ ٤٠٤ محمـد مخلوف، شجرة، ص ٢٠٣، إسماعيل البغدادي، هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين جـ ١ (د. ط، مكتبة المثنى - بغداد د. ت) ص ٤٦٧.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٤ ل ب.

(٥) ابن فرحون، الديباج، ٢/ ١٢٥.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٥ ل أ، ابن فرحون، الديباج، ٢/ ١٢٦ ابن حجر، الدرر، ٣/ ١٩١، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٥٣، محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٠٣.

خلف علياً من الأبنـاء إبراهيم الذي يعد من أبرز علماء هذه الأسـرة، وقد ولد في المدينة نحو سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م[١]، ونشأ بهـا وقرأ على علمـائها، ولي قضـاء المالكية في المدينة، في الفـقه والطبـقات وكانت وفـاته بالمدينة سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[٢].

إضافـة إلى ذلك أنجبت هذه الأسرة خلال القـرنين الثامن والتاسع الهـجريين علماء وقضاة آخرين بينهم أحمد بن عبد الله بن فرحون، الذي ولد بالمدينة وتفقه على يد علمائها ثم رحل إلى مصـر وأقام بها، صدر قرار بتعيينه قـاضياً للمالكية بالمدينة مكان أخيه المحب أبي عبد الله، وتوفي سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[٣].

ومن علماء الأسرة أبو اليـمن محمد بن إبراهيم بن علي بن فـرحون قاضي المدينة المتوفى سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م[٤]، ومحمـد بن محمد بن عـبد الله بن فرحون قاضي المدينة أيضاً للمالكية المتوفي سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م[٥].

٤- أسرة الخجندي:

تنسب هذه الأسرة لأحمد بن محمـد بن محمد الخجندي، ولد المذكور سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م بسرى بركـة بما وراء النهر وارتحل لطلب العلم إلى سـمرقند وبخارى وخوارزم والقرم ودمشق ومكة والخليل وبيت المقدس وبغداد، ثم حط

(١) ابن حجر، إنباء، ٣/ ٣٣٨، السخاوي، نفسه، ١/ ١٣١.

(٢) ابن حـجر، الدرر، ١/ ٤٩، ابن حـجر، إنبـاء، ٣/ ٣٣٨، السـخاوي، التحفة، ١/ ١٣٢، بابا التنبكتي، نيل، ص ٣٤- ٣٥، ابن عمـاد الحنبلي، شذرات، ٦/ ٣٥٧، حاجي خليـفة، كشف، ١/ ٧٦٢، محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٢٢.

(٣) ابن حجر، الدرر، ١/ ١٩٦، ابن حجر، إنباء، ٣/ ٣٧، السخاوي، التحفة، ١/ ١٩٤.

(٤) السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٦٤.

(٥) ابن حجر، ذيل الدرر، ص ٢٧٤، ابن حجر، إنباء، ٧/ ٣٧٠، السخاوي، الضوء، ٩/ ١٢٧، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٧/ ١٥٨.

الرحال أخيراً في المدينة واستوطنها سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م[١]، وأقام بها أكثر من أربعين سنة، يحدث ويدرس ويفتي فانتفع بعلمه الناس، وصنف كتباً عديدة، وكانت له مكانة علمية كبيرة في المدينة توفي بها سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م[٢].

وقد أنجبت هذه الأسرة عدداً من الفقهاء؛ بينهم عز الدين طاهر بن أحمد ابن محمد الخجندي، الذي ولد بالمدينة سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، وتفقه على يد والده وشيوخ عصره، وقد حدث ودرس بالمسجد النبوي وبمنزله، وتولى مشيخة المدرسة الكلبرجية[٣] بعد إنشائها بشرط واقفها وجعلها لذريته أيضاً[٤] توفي بالمدينة سنة ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧م[٥]. أما أخوه إبراهيم بن أحمد فقد ولد بالمدينة سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، ونشأ بها، وتتلمذ على شيوخها، «وبرع في العربية ومعاني الأدب. وجمع لنفسه ديواناً، وأنشأ عدة رسائل بحيث انفرد في طيبة بذلك. . . كما درس وحدث بالبخاري وغيره»[٦] وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٥١ هـ/ ١٤٤٧م[٧].

خلف إبراهيم ابناً اسمه محمد الذي ولد بالمدينة سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م. وبها نشأ، ودرس على شيوخ عصره، وحينما اقترح الأمين الأقصرائي على

---

(١) السخاوي، التحفة، ١/ ٢٥٣-٢٦٤.

(٢) ابن حجر، إنباء، ٤/ ١٥٤، السخاوي، الضوء، ٢ / ١٩٤، وفي التميمي أن وفاته سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م، الطبقات ٢/ ٨٩ .

(٣) سبق ذكرها وهي للشهاب أحمد صاحب كلبرجة بالهند، السخاوي، التحفة، ١/ ٦٤.

(٤) السخاوي، التحفة، ٢/ ٢٥٦ .

(٥) السخاوي، الضوء، ٤/ ٣، التميمي، نفسه، ٤/ ١٠٥- ١٠٦.

(٦) السخاوي، التحفة، ١/ ١٠٥- ١٠٦.

(٧) السخاوي، الضوء، ١/ ٢٥، التميمي، الطبقات، ١/ ١٧٦- ١٧٧ .

طوغان شيخ سنة ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م إحداث إمام للحنفية بالمدينة تقرر أن تكون بين المذكور ومحمد بن علي بن محمد بن علي الزرندي، غير أن الزرندي لم يباشرها، فقام بها محمد الخجندي حتى وفاته سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م[١].

ومن علماء الأسرة الخجندية محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الخجندي ولد بالمدينة سنة ٨٧٣/ ١٤٦٨م، ونشأ بها، ودرس على شيوخ عصره؛ ومنهم علي بن عبد الله السمهودي فقيه المدينة وعالمها[٢]، ورحل إلى مصر لطلب العلم، ثم أصبح بعدها إماماً لمقام الحنفية بالمسجد النبوي خلفاً لعمه البرهان إبراهيم، وشاركه في الإمامة أخوه علي[٣]، ولم تحدد المصادر تاريخ وفاة محمد الخجندي أما أخوه علي فقد درس وأفتى وناب في القضاء، وكانت وفاته بينبع سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م[٤].

٥- أسرة ابن صالح

تنسب هذه الأسرة إلى صالح بن إسماعيل بن إبراهيم الكناني المصري الأصل ثم المدني، الذي كان يعمل صانعاً مبيضاً بالحرم النبوي الشريف[٥]، غير أن أبناءه وأحفاده حرصوا على طلب العلم، فبرز منهم علماء، تولى بعضهم وظائف دينية مختلفة. أنجب المذكور ولدين أحدهما يدعى علياً كان رجلاً صالحاً خدم في مشهد حمزة بن عبد المطلب بالقرب من جبل أحد[٦].

(١) السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٤٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٥٠- ٤٥٢.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٢٧- ٢٣٥.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٩٤.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣/ ٢١٧.

(٥) السخاوي، نفسه، ٢/ ٢٢٨- ٢٢٩.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٥ ل ب، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٢٤.

أما الآخر فهو محمد الذي ولد بالمدينة سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م ونشأ وتعلم بها وصفه ابن حجر[١] بأنه «كان عارفاً بالقراءات فاضلاً خطب بالمسجد النبوي وأم به» وذكره السخاوي بقوله «كان فاضلاً خيراً عارفاً بالقراءات ذا خبرة، شيخ القراء بطيبة، بل وصفه بعضهم بالشيخ المسند». ويتضح مما ذكرته المصادر أنه كان من شيوخ القراءات بالمدينة، وقد انتفع بعلمه أهلها والقادمون إليها. كما ناب في الخطابة والإمامة بالحرم الشريف، وله مؤلف في تاريخ المدينة، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م[٢].

ومن علماء هذه الأسرة عبد الرحمن بن محمد بن صالح، ولد[٣] ونشأ بالمدينة، وتفقه على علماء المدينة من بينهم جده لأمه البدر عبد الله بن محمد ابن فرحون، وناب في القضاء الشافعي بالمدينة ثم استقل به منذ سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[٤] كما ناب في الإمامة والخطابة ثم وليها سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م، غير أن ابن حجر[٥] وصفه بأنه «كان مزجي البضاعة»[٦]، إلا أن غيره وصفه بالفضل[٧]، كانت وفاته بالمدينة سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م[٨].

أما أخوه محمد، فقد ولد في المدينة سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، ونشأ بها، وقرأ علومه على فقهائها، ومن بينهم بدر الدين بن الخشاب قاضي المدينة،

---

(١) ابن حجر، الدرر، ٤/ ٧٦.

(٢) ابن حجر، إنباء، ٢/ ١٥١، السخاوي، نفسه، ٣/ ٥٨٥ ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٦/ ٢٨٩.

(٣) لم تحدد المصادر عام مولده.

(٤) السخاوي، الضوء، ٤/ ١٣١، السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٣٣.

(٥) ذيل الدرر، ص ٢٩٣، إنباء، ٨/ ٣٠.

(٦) «المزجي البضاعة أي قليل البضاعة» ابن منظور، لسان، ٢/ ١٣.

(٧) السخاوي، الضوء، ٤/ ١٣١- ١٣٢.

(٨) السخاوي، التحفة، ٢/ ٥٣٤.

الذي سمع عليه الحديث وناب عن عبد الرحمن في القضاء، والخطابة والإمامة ووصف بالنباهة في الفقه وغيره، وكانت وفاته بمكة سنة ٨١٤هـ/ ١٤١١م(١).

ومن أفرادها محـمد بن علي بن صالح، الذي خلف أباه في خدمة مـشهد حمزة بن عـبد المطلب، وكان له حظ من العلم، فقـد ورد أنه «أجار للتقي بن فهد وبيض لترجمته»(٢)، ومن علماء هذه الأسرة أبو الفتح فـتح الدين محمد ابن عبد الـرحمن بن محمـد بن صالح، ولد في المدينة سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م ونشأ بها، وسمع من والده، ومن علمـاء المدينة والقادمين إليها، ونال مناصب دينية رفيـعة، فقد ناب عن والده في الـقضاء والخطابة والإمامة، ثـم استقل به سنة ٨٢٦هـ/ ١٤٢٢م وفي نظر المسجد النبوي، ورغم أنه ترك وظـيفة القضاء لأخيه أبي عبد الله محمد سنة ٨٤٤ هـ/ ١٤٤٠م؛ إلا أن «أخاه في القضاء لم يكن إلا صورة» توفي في المدينة سنة ٨٦٠ هـ/ ١٤٥٥م(٣).

أمـا أخوه أبو عـبـد الله محـمـد فقـد ولي القـضاء وشـارك في الخطابة، والإمامة، وكان «جيد الخطابة» وكانت وفاته سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م(٤).

أما الابن الثالث لعبد الرحمن بن محـمد بن صالح فهو عبد الله الذي ولد سنة ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م(٥)، ونشأ وتعلم بها، غير أن حظه من العلم كان قليلاً، فقد ذكر أنه لم يختم القرآن، ولا عرف الخط، بل قيل أنه عامي(٦)، ويظهر أن المذكور كانت له خـبرة في أمور الدنيا، ومصـالح أسرته، فكان والده يقول له

(١) الفاسي، العقد، ٢/ ٢٩٣- ٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٩/ ٨٦.

(٢) السخاوي، الضوء، ٨/ ١٨٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٧٨.

(٣) ابن فهد، معجم، ص ٢٣٢، السخاوي، الضوء، ٨/ ٣٤- ٣٥ السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٣٢.

(٤) السخاوي، الضوء، ٨/ ٣٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٣٣.

(٥) السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٤٧، وقيل ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م السخاوي، الضوء، ٥/ ٢٣.

(٦) السخاوي، الضوء، ٥/ ٢٣، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٤٧- ٣٤٨ .

«أنت ولدي وأبو الفتح ـ يعني أخاه ـ ولد نفسه، وأبو عبد الله ـ يعني أخاهم ـ ولد الشيطان»[1] ويلاحظ أن تفضيل والده له راجع إلى اشتغاله بخدمته، والنظر في مصالحه[2]، غير أن السخاوي[3] خلافاً للآخرين وصفه بأنه «كان خاتمة مسندي المدينة» توفي بها سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٣٠م[4].

أنجب فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن أربعة أبناء، كلهم عرف بمحمد، كان لهم جميعاً حظ وافر من العلم، أولهم زكي الدين محمد، ولد بالمدينة سنة ٨٣٦هـ/ ١٤٣٢م، ونشأ وتعلم بها، وتقلد منصبي الخطابة والإمامة والنظر في المسجد النبوي، وناب في القضاء حين سافر أخوه صلاح الدين محمد إلى اليمن سنة ٨٨٠ هـ/ ١٤٧٥م، سافر إلى كل من القاهرة وبلاد الروم، اغتيل سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م عند باب المسجد النبوي[5]. أما أخوه صلاح الدين محمد فقد ولد بالمدينة سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، ونشأ وتعلم بها، ثم سافر لطلب العلم إلى مكة والقاهرة وبيت المقدس، وخطب وأم الناس بالمسجد الأقصى بالقدس، ثم سافر إلى الخليل، وعاد بعدها إلى المدينة ليتولى بها قضاء الشافعية بعد استعفاء عمه ولي الدين أبي عبد الله محمد، كما شارك بقية إخوته وولده في الخطابة والإمامة في المسجد النبوي، والنظر فيه، كما قرره الأمير خير بك في تدريس الشافعية بالمدينة[6].

(١) هذه العبارة لا تطابق واقع وحياة وعمل كل من أبي الفتح محمد، وأبي عبد الله محمد كما اتضح سابقاً، حيث كان لهما حظ وافر من العلم وتقلدا وظائف دينية، السخاوي، الضوء، ٨/ ٣٥.

(٢) السخاوي، الضوء، ٥/ ٢٣.

(٣) هذا لا يتفق مع ما ذكر عنه سابقاً أنه كان عامياً.

(٤) السخاوي، الضوء، ٥/ ٢٤، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٤٨.

(٥) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٢- ١٠٣.

(٦) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠٣ .

أما الأخ الثالث فهو مجد الدين محمد بن محمد، ولد سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م، وشارك إخوته في الخطابة والإمامة للشافعية بالمسجد النبوي، سافر لطلب العلم إلى الشام ومصر والروم[١]. أما الأخ الرابع فهو شمس الدين محمد بن محمد، الذي شارك إخوته في الخطابة والإمامة، لكنه لم يباشر ذلك. سافر لطلب العلم إلى الشام ومصر والروم واليمن وغيرها. وقد وصف بأنه كان «ذكياً شهماً كريماً» توفي سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م[٢] أنجب زكي الدين محمد ابن محمد بن محمد بن عبد الرحمن ابناً اسمه محمد، والملقب بأبي الفضل وأبي العز، ولد ونشأ بالمدينة، وقرأ على علمائها، كما قرأ على المؤرخ السخاوي سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م، سافر إلى الشام والعراق وبلاد الروم، كما شارك أعمامه في الخطابة والإمامة[٣].

أما ابن عمه محمد بن الشمس محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، فقد ولد ونشأ وتعلم في المدينة، ويظهر أنه ناب في الإمامة والقضاء للشافعية بالمدينة كما سافر لطلب العلم إلى القاهرة واليمن[٤]. وللإخوة الأربعة السابقين أبناء أبي الفتح محمد بن عبد الرحمن بن صالح أخ خامس يدعى إبراهيم هو أكبرهم، غير أنه ليس شقيقاً لهم، ولد بالمدينة سنة ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م، ونشأ وتعلم بها، وأجاز له جماعة من الفقهاء، وسافر لطلب العلم إلى القاهرة، والروم، والشام، وحلب ، واليمن، وأم الناس لصلاة التراويح في رمضان بالمسجد النبوي، كما ناب في الخطابة أيضاً[٥].

(١) وقد ذكر أنه كان بالشام سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م السخاوي، نفسه ٩/ ١٠٤ .

(٢) السخاوي، نفسه، ٩/ ١٠٤ .

(٣) السخاوي، نفسه، ٩/ ٢٢٦ .

(٤) السخاوي، الضوء، ٩/ ٢٢٦.

(٥) السخاوي، الضوء، ١/ ١٤٨- ١٤٩، السخاوي، التحفة، ١/ ١٤٠- ١٤١.

٦- أسرة الكازروني :

تنسب هذه الأسرة إلى محـمد بن روزبة بن محمـود بن أحمد الكازروني، الملقب بالشمس أبي الأيادي بن الجمال أبي الـثناء، المدني الشافعي، أثنى عليه ابن فرحون، وكان قد صحبـه لفترة طويلة، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م[١] أنجب محمد بن روزبـة الكازروني عدداً من الأبناء منهم أبو الصفي أحمد والد العالم الشهير جمال الديـن محمد بن أحمد الكازروني، والعز عبد السلام، وعبد الله.

يعـد أبو الصفي أحـمد أكـبر أبناء مـحمـد الكازروني، ولد سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م بالمدينة، ونشأ وتعلـم بها، ثم ارتحل لطلب العلم إلى دمشق أكـثر من مرة، وبعـد عودته جلس للتدريس، كمـا كان كثيـر العبادة «بحيث لم يـتفرغ للتصنيف»[٢]. أثنى عليه وعلى أخيه عبد السـلام ابن فرحون، فقـال «إنهما درسا بالحـرم الشريف»[٣] كانت وفـاة الصفي أحمـد في المدينة سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م[٤].

أما أخـوه عبد السـلام فقد ولد بالمدينة سنـة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م ونشأ وتعلـم بها، على شيوخ عـصره، ثم اتجه للتعليم فحدث ودرس، كـما كان له باع في الفتيا. كانت وفاته بمكة سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م[٥].

على أن أبرز شخصية علمية في هذه الأسرة تبوأت مكانة علمية في المدينة،

---

(١) نصيحة، ورقة ٤٥ ل ب . وانظر أيضاً، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٦٧.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ٢٣١- ٢٣٣.

(٣) نصيحة، ورقة ٤٥ ل ب، ورقة ٤٦ ل أ.

(٤) السخاوي، نفسه، ١/ ٢٣٤.

(٥) الفاسي، العقد، ٥/ ٢٢٨- ٤٢٩، السخاوي، نفسه، ٣/ ١١- ١٢.

وتقلدت عدة وظائف علمية ودينية هي: شخصية محمد بن أحمد بن محمد ابن روزبة الملقب بجمال الدين، فهو كما يتضح حفيد مؤسس الأسرة. ولد المذكور في بيئة علمية سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م ومات أبوه وهو صغير فكفله عمه العز عبد السلام الذي خلف أخاه أحمد في التدريس بالحرم النبوي، نشأ جمال الدين محمد وتعلم في المدينة، على يد علمائها والقادمين إليها، غير أنه لم يرض بهذا القدر من التعليم بل شد الرحال لطلب العلم فسافر إلى مصر والشام وغيرهما، فأجازه كثير من العلماء، ثم عاد إلى بلده، «فدرس وحدث وأفتى، وانتفع به الفضلاء، وكثر الآخذون عنه من أهل بلده القادمين إليها»[١] فصار فقيه المدينة وعالمها ومدار الفتيا بها[٢]. ثم تولى قضاء الشافعية أكثر من مرة انقطع بعدها للعبادة حتى وفاته بالمدينة سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م[٣].

وممن تلقى العلم على يديه من المدينة أبو الفرج المراغي[٤]، ومن مكة التقى محمد بن فهد، وابنه النجم عمر؛ وهما من كبار مؤرخي مكة[٥]. ومن فقهاء هذه الأسرة عبد العزيز بن عبد السلام بن محمد الكازروني مارس التدريس في المسجد النبوي[٦]. أما أخوه محمد بن عبد السلام فقد ناب في القضاء والخطابة والإمامة عن ابن عمه الجمال الكازروني[٧]، وقد ولد المذكور في

(١) السخاوي، الضوء، ٧/ ٩٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٠٠.

(٢) ذكر ابن حجر أنه «قد انتهت إليه رياسة العلم بالمدينة ولم يبق هناك من يقاربه. إنباء، ٩/ ١١٧.

(٣) السخاوي، الضوء، ٧/ ٩٧، الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع جـ٢ (د. ط، مكتبة ابن تيمية، القاهرة د. ت) ص ١٢١.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٠١.

(٥) ابن فهد، معجم، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٦) السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٢.

(٧) السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٤٢.

المدينة سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م ونشأ وتعلم بها، ووصفه أبو الفتح المراغي بالفقيه العالم أقضى القضاة[١]، وذكر ابن حجر[٢] أنه كان نبيهاً في الفقه، كانت وفاته بالمدينة سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م[٣]. وممن اهتم بالأدب من هذه الأسرة، أحمد ابن مسدد بن محمد الكازروني ولد بالمدينة سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م مارس النظم والنثر وله بعض المؤلفات فيها[٤].

٧- أسرة المراغي :

تنسب هذه الأسرة إلى زين الدين أبي بكر الحسين بن عمر بن محمد بن يونس بن محمد بن عبد الرحمن الأموي العثماني المراغي[٥]. ثم المصري الشافعي[٦].

ولد بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م[٧]، ونشأ وتعلم بها، ثم ارتحل إلى الحجاز واستوطن المدينة نحو خمسين سنة، وخلال إقامته الطويلة تلقى المراغي العلم على يد علمائها والقادمين إليها، وبعد أن اكتملت أهليته للتدريس جلس للتدريس بالحرم النبوي وتفرغ لذلك، ويظهر أن تفرغه للتدريس كان نتيجة قيام بعض أهل الخير بالإنفاق عليه وعلى أهله، يقول ابن حجر[٨] في ذلك «ثم تحول إلى المدينة الشريفة فسكنها وحصل بها بعض جهات تقوم بحاله» وقد

(١) السخاوي، الضوء، ٨/ ٥٧.

(٢) إنباء، ٧/ ٩٣- ٩٤.

(٣) السخاوي، الضوء، ٨/ ٥٧ السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٤٣.

(٤) السخاوي، الضوء، ٢/ ٢٢٥، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٦٧- ٢٦٨.

(٥) ابن حجر، ذيل الدرر، ص ٢٢٨، ابن قاضي شهبة، طبقات، ٤/ ٧.

(٦) ابن حجر، نفسه، ص ٢٢٩، السخاوي، نفسه، ١١/ ٢٨.

(٧) ابن حجر، ننفسه، ص ٢٣٠، المقريزي، درر، ١/ ١٧١.

(٨) ابن حجر، نفسه، ص ٢٣٠.

أصبح نتيـجة تصديه للتدريس لفتـرة طويلة شيخاً للحديث، فهـو كما وصف «شيخها المشار إليه»[(١)] و«الشيخ الفقيه الإمـام العالم العامل مفتي المسلمين»[(٢)] في سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م ولي قضـاء المدينة للشافعية، والخـطابة والإمامة ثم عزل عن تلك المناصب سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م[(٣)]. جاور بمكة بين عامي ٨١٤-٨١٥هـ/ ١٤١١- ١٤١٢م وحدث بها[(٤)]، ثم عاد إلى المدينة حيث كانت وفاته بها سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م[(٥)].

خلف أبو بكر المراغي أربعة أبناء كلهم حمل اسم محمد وهم:

- أبو اليمـن الشمس[(٦)] مـحمـد بن أبي بكر، ولد بـالمدينة سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م أو التي بعدها، ونشأ وتعلم وتفقه على يد والده وعلماء عصره بالمدينة وأجازه بعضهم[(٧)]، كما رحل إلى القاهرة، لطلب العلم فـأخذ عن ابن حجر العسقـلاني، ثم عاد إلى بلده وناب عن والده في القضـاء والخطابة والإمامة. كان «إماماً عالماً، كثير التواد. ظريف المحاضرة والمحادثة بارعاً في الأدب»[(٨)].

قتل في طريق الـشام سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م على يد بعض اللصـوص وقتل معه ابناه أبو الرضا محمد، وأبو عبد الله الحسين[(٩)].

---

(١) السخاوي، الضوء، ١١/ ٢٩.

(٢) السخاوي، الضوء، ١١/ ٣٠.

(٣) السخاوي، الضوء، ١١/ ٢٩.

(٤) ابن قـاضي شهـبـة، طبقـات، ٤/ ٨، ابن حجـر، ذيل الدرر، ص ٢٣٠، السـخاوي، الضـوء، ١١/ ٢٩.

(٥) ابن قاضي شهبة، نفسه، ٤/ ٨، ابن حجر، نفسه، ص ٢٣٠، السخاوي، الضوء، ١١/ ٢٩.

(٦) السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦١، وقد ذكر له ألقاباً أخرى هي البدر، والنبيه، والجمال.

(٧) السخاوي، الضوء، وذكر السخاوي أيضاً، ان بعضهم لم يجزه، التحفة، ٣/ ٥٣٢.

(٨) السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣٣.

(٩) السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦٢.

- أبو الفتح الشرف محمد بن أبي بكر(1)، وهو الابن الثاني لمؤسس الأسرة ولد بالمدينة أواخر عام ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م، ونشأ وتعلم بها على شيوخها والقادمين إليها، ثم رحل في طلب العلم إلى مكة والقاهرة، كما رحل إلى اليمن مراراً، فحدث ودرس بها «وبنى لأجله بعض ملوكه بها مدرسة، وجعل له فيها معلوماً كان يحمل إليه بعد انتقاله عنها برهة»(2) وتردد على مكة مراراً وحدث بها، ثم استقر في مشيخة الخانقاه الزمامية بها، بعد موت شيخها أحمد الوسيط سنة ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م(3).

ثم عينه الجمال الخاص في مشيخته سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، وبعد حياة حافلة بالعلم والعمل(4)، كانت وفاته بمكة سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٥م(5).

- الابن الثالث هو أبو الفضل الكمال محمد بن أبي بكر، ولد بالمدينة سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م ونشأ واشتغل بالعلم بها، ثم رحل لطلب العلم إلى مصر ثم استقر في المدينة، ودرس بها، وممن روى عنه النجم بن فهد(6).

مات مقتولاً بالعوالي قرب المدينة سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م(7).

- الابن الرابع هو أبو الفرج ناصر الدين محمد بن أبي بكر، ولد بالمدينة سنة ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٣م، ونشأ ودرس على يد عدد من فقهاء الشافعية والحنفية

(1) السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣٥، وقد كناه بعض طلبة أبيه بفتح الدين أبو الفتح، الشوكاني، البدر، ١٤٦/٢.

(2) السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦٤.

(3) السخاوي، التحفة، ٣/٥٣٧، وفي السخاوي، بعد موت شيخها أحمد الواعظ، الضوء، ٧/ ١٦٥.

(4) تتلمذ على يديه النجم عمر بن فهد، انظر ابن فهد، معجم، ص ٢٢٠- ٢٢٢.

(5) السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦٥، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣٨.

(6) معجم، ص ٢٢٢.

(7) السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦٢، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣٤.

والمالكية بها، ثم رحل لطلب العلم إلى مكة والقاهرة[١]، وبعد عودته للمدينة تصدى للتدريس في المسجد النبوي، فأخذ عنه أهل بلده من طلبة العلم ومن الوافدين إليها، «وصار شيخ المدينة النبوية ومسندها دون مدافع»[٢]. وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م[٣].

ومن علماء هذه الأسرة أبو بكر بن ناصر الدين أبو الفرج محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي، حفيد مؤسس الأسرة ويدعى أيضاً محمداً، ولد في المدينة قبل سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م، ونشأ وتعلم بها واشتغل بالعلم قليلاً، لكن علمه لا يرقى إلى ما وصل إليه جده ووالده وأعمامه، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م[٤].

كما أنجبت هذه الأسرة علماء وطلبة علم آخرين، ومن هؤلاء محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن الحسين المراغي، ولد بالمدينة سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م عام وفاة والده ونشأ وتعلم بها ثم ارتحل إلى عدة بلدان من بينها الهند، وعاد إلى بلاده، ليتولى وظيفة في أوقاف الحرم، فسافر إلى بلاد الروم لقبض حاصل أوقافها الموقوفة على الحرم المدني غير أنه توفي في إحدى رحلاته إليها سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م[٥]، وخلف عبد الحفيظ الذي ولد ونشأ في المدينة وسافر إلى القاهرة، وتقلد بها عدة وظائف، وتوفي بها سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م[٦].

(١) السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣٩.

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٤١.

(٣) السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦٧.

(٤) السخاوي، الضوء، ١١/ ٧٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ٧/ ١٩٠.

(٦) السخاوي، الضوء، ٤/ ٣٦ وقد ذكر أن المذكور سمع منه بالمدينة. وانظر أيضاً السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٥١- ٤٥٢.

٨- أسرة السخاوي.

ليس لهذه الأسرة دور كبير في تاريخ الحركة العلمية في المدينة، مقارنة بالأسر الأخرى، إلا أن بعض أفرادها كان لهم نشاط علمي، كما تقلد البعض الآخر منصب القضاء، وتنسب هذه الأسرة إلى الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد السخاوي ويعرف بابن القصبي، ولد المذكور سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م ببلدة سخا، ونشأ ودرس بها، ثم انتقل إلى القاهرة سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م، وأقام بها أكثر من سبع سنوات، درس خلالها على يد عدد من فقهائها والقادمين إليها، ثم عاد إلى بلده سخا واستمر بها إلى سنة ٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م، حين عاد مرة أخرى إلى القاهرة، حيث التقى خلالها بعدد من فقهاء المذاهب.

وفي سنة ٨٦٠هـ انتقل إلى المدينة متقلداً منصب قضاء المالكية بها، ثم أصيب بالفالج، فاستقر مكانه في منصبه ابنه خير الدين محمد، الذي وصفه السخاوي بأنه كان «أفضل منه وامتن تدبيراً ورأياً في القضاء»[١]، وقد توفي الشمس محمد السخاوي سنة ٨٩٥ هـ/ ١٤٨٩م[٢].

أما ابنه خير الدين محمد، فقد ولد سنة ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، ونشأ ودرس على يد شيوخها، كما تتلمذ في القاهرة على علماء الشافعية والمالكية، كما رحل إلى القدس والخليل لطلب العلم، ثم استقر في الفيوم نائباً للقضاء، وانتقل بعدها مع والده إلى المدينة، واستقر مكانه سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٦م في منصب القضاء[٣]. أما أخوه أحمد بن محمد الشمس فلم ينل حظاً وافراً من

(١) السخاوي، الضوء، ٧/ ١١٠- ١١١،

(٢) السخاوي، التحفة، ٣/٥٠٨- ٥١٢.

(٢) السخاوي، الضوء، ٩/ ٤٧.

العلم، وممن ســمع منه المؤرخ الســخاوي الذي ذكـر أنه كــان «يصلح بين الأخصام»[١]، وكانت وفاته سنة ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م[٢].

وقد رزق بعدة أولاد أبرزهم عبد المعطي وعبد الحفيظ، أما عبد المعطي فقد ولد سنة ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م بالمدينة، ونشـأ وتعلم بها، ولازم المؤرخ الســخاوي فتـرة، ثم تصدى لـلتدريس في الروضـة الشريفـة، وكانت وفـاته بالمدينة سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م[٣].

٩- أسرة الششتري أو التستري.

ينسب إلى تستر كثير من العلماء والفضلاء، أما الأسرة التي سنتحدث عنها فتنسب إلى أحمد بن عثمان بن عبد الغني التـستري أو الششتري. ويتضح فيما ذكـره ابن فرحـون وغيـره أن المذكور كـان متـصوفـاً، صحب الشـيخ أبا بكر الشيرازي، الذي كان من أصـحاب السيد أبي العباس المرسي تلـميذ الشيخ أبي الحسن الشاذلي، والأخـيران من أصحاب الطرق الصـوفية المعروفـة في مصر، غير أن أحمـد التستري لـم يترك أثراً علمياً واضــحاً، وكانت وفاته بالمدينة سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م[٤]. خلف المذكور ابناً اسمه محمد ولد بالمدينة سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م ونشأ ودرس على يد علمائها، ثم ارتحل لطلب العـلم، وأجاز له كثير من العلماء، ثم استـقر بحلب فترة فـحدث بها سنة ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م[٥]. أثنى عليه ابن فرحون[٦] بقوله «شمس الدين مـحمد بن أحمد التسـتري على خير

(١) السخاوي، التحفة، ١٠/ ٢٣٠.

(٢) السخاوي، الضوء، ٢/ ٩١، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٣٠.

(٣) السخاوي، التحفة، ٣/ ٧٧.

(٤) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٤ ل ب.

(٥) ابن حجر، الدرر، ٣/ ٤٢٨.

(٦) ابن فرحون، نصيحة ورقة ٤٤ ل ب.

وعفة وصلاح واشتغال بالعلم وسماع الحديث، سافر وارتحل، وله بالمدينة آثار حسنة، ومعالم مستحسنة، ومن ذلك رباط[1] بالقرب من المسجد الشريف، وهو عش الصالحين نفع الله به»، كانت وفاته بالمدينة سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م[2].

أنجب شمس الدين محمد التستري ابناً يدعى أحمد، كان طالب علم، ذكر أنه تلقى علومه في المدينة، فدرس على العفيف المطري سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م الجزء الذي خرجه له الذهبي[3].

ويتضح مما سبق، أن اهتمام هذه الأسرة بالعلم كان قليلاً، كما لم يتسلم أي من أفرادها وظيفة هامة. ومن غير أفراد تلك الأسرة ممن استقر بالمدينة وينتسب إلى تستر أحمد بن الجمال عبد الله محمد الششتري المدني، كان له إلمام بالقراءات[4]، كان موجوداً وإبراهيم بن محمد بن محمد الششتري المدني صهر الشمس محمد بن الجلال أحمد الخجندي المدني السابق الذكر[5]، كان المذكور طالب علم أثنى عليه بعض العلماء[6] وكانت وفاته بالمدينة سنة ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م[7].

ومن هؤلاء إبراهيم بن مبارك الششتري، كان موجوداً سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م[8] ومنهم أحمد بن علي بن عقيل بن راجح بن مهنا الششتري المدني

(١) هو المعروف برباط الشمس الششتري، انظر، السخاوي، التحفة، ١/ ٦٥.

(٢) الفاسي، ذيل التقييد، ١/ ٩٨٨، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٤٢٨، ابن حجر، إنباء، ٢/ ١٥٠- ١٥١، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٧٨، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٦/ ٢٨٨- ٢٨٩.

(٣) السخاوي، نفسه، ١/ ٢٢٦.

(٤) كان موجوداً سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م، السخاوي، الضوء، ١/ ٣٧٠، السخاوي، التحفة، ١/ ١٩٥.

(٥) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٧١.

(٦) السخاوي، الضوء، ١/ ١٦٥، حيث ذكر الثناء عليه من صاحبه ابن العماد وغيره.

(٧) السخاوي، التحفة، ١/ ١٤٣.

(٨) السخاوي، التحفة، ١/ ١٣٤.

وصفه السخاوي[1] «بالعلامة السيد»، استقر بكازرون فترة وحدث بها، كان موجوداً سنة ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م[2].

من العرض السابق يتضح أن الأسر العلمية في المدينة كانت أساساً أسراً وافدة، تنتمي إلى أصول مختلفة، فابن صالح والسخاوي والمطري والمراغي مصرية الأصل، والزرندي والكازروني والتستري فارسية الأصل، والخجندي تركية الأصل، وابن فرحون مغربية الأصل.

وإلى جانب تلك الأسر كانت هناك أسر علمية مقيمة بمكة بعضها له مكانة علمية ووظيفية بها فتقلد بعض أفرادها القضاء والإمامة والخطابة والحسبة ومنها القسطلاني، وبنو ظهيرة والفاسي، والنويري، والطبري، والعسقلاني وغيرهم[3].

وقد قدم بعض أفرادها أو انتقل إلى المدينة لتولي بعض الوظائف، أو لتلقي العلم على يد علمائها، فمن أسرة النويري ابن الكمال أبو الفضل محمد بن أحمد عبد العزيز الهاشمي النويري، تولى المذكور القضاء والخطابة بمكة، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء الشافعية بالأقطار الحجازية، قدم المدينة أكثر من مرة وجاور بها، توفي في مكة سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م[4].

ثم ابنه قاضي الحرمين محب الدين أحمد بن محمد النويري، خال تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، صاحب العقد انتقل محب الدين إلى المدينة قاضياً، وصحب معه ابن أخته تقي الدين، الذي تلقى العلم في صغره بالمدينة[5].

(١) السخاوي، التحفة، ١/ ٢٠٢.

(٢) ابن حجر، الدرر، ١/ ٢٣١.

(٣) لتفصيل أكثر عن تلك الأسر المكية، انظر الفاسي، العقد.

(٤) ذكر الفاسي، أن المذكور خطب بالمسجد النبوي لبعض الوقت نيابة عن ابنه القاضي محب الدين النويري، العقد، ١/ ٣٠٤، وانظر أيضاً ابن حجر، الدرر، ٣/ ٤١٥- ٤١٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٧٤- ٤٧٦.

(٥) الفاسي، نفسه، ١/ ٣٣١، ٣/ ١٢٣- ١٢٦، السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٨٨- ٤٩٢.

ومن أسـرة الفاسي المكيـة تردد على المدينة وجاور بهـا أحمـد بن علي بن محمد الفاسي وابنه التقي محمد السالف الذكر(١).

ومن أسرة القسطلاني(٢)، أحمـد بن علي بن محمـد القسطلاني المالكي، نزحت أسرته من المغرب إلى مصر، ثم جاور المذكور بمكة، وتردد إلى المدينة، وله بها مآثر جمة؛ منها إطعامه ثمانين فقيراً كل يوم، توفي بمكة سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م(٣). وخلف المذكـور ابناً يـدعى مـحـمـد، ولد بمصـر سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وانتـقل مع والده إلى مكة سنـة ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م، ورحل في طلب العلم إلى أقطار كثيرة، وتردد على المدينة لطلب العلم بها، فقرأ على أبي عبدالله محمد بن عمر بن يوسف القرطبي، توفي بمكة سنة ٦٨٠ هـ/ ٢١٢٨١م(٤).

ومن أسرة الطبري(٥) المكية التي استقر بعض أفرادها بالمدينة محمد بن أحمد ابن محمـد بن أحمد الطبري، المكي، الشـافعي، الملقب بمسند مكة، ولد في المدينة سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م، ونشـأ وتعلم بهـا، ثم انتـقل إلى مكة، ودرس بمدارسها وخاصة المدارس الرسولية، توفي في مكة سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م(٦).

(١) الفاسي، العقد، ٣/ ١٠٩- ١١١، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٠٦- ٢٠٨.

(٢) نسبة إلى قسطيلة مدينة بافريقية تدعي أيضاً توزر، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٥٧- ٥٨، ٤/ ٣٤٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات، ١/ ١٩٠.

الذهبي، العبر، ٣/ ٢٢٦، الفاسي، نفسه، ٣/ ١٠٥- ١٠٨، بابا التنبكتي، نيل، ص ٧٨، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٥/ ١٧٩ وفيها أن أهل المدينة أجدبوا فاتفق رأيهم أن يستسقوا يوماً والغرباء يوماً، فاستسقى أهل المدينة فلم يسقوا، ثم عمل هو طعاماً للضعفاء واستسقى مع المجاورين فسقوا، وانظر أيضاً، محمد مخلوف، شجرة، ص ١٦٩.

(٤) الفاسي، نفسه، ١/ ٣٢١- ٣٢٣، السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٨٧.

(٥) نسبـة إلى طبرسـتان وهي آمل وولايتـها وتتبع جنـوب بحر الخزر (قـزوين) السمـعاني، الأنساب، ٤/ ٤٥، ياقوت، نفسه، ٤/ ١٣- ١٦ السيوطي، لب اللباب، ٢/ ٨٧، حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام (ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ص ٢١٧ خريطة ١١٠ د.

(٦) الفاسي، العـقـد، ١/ ٣٦٨- ٣٧١، ابن حـجر، إنبـاء، ٧/ ٩٠، السـخاوي، الضـوء، ٧/ ٤٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٩٦- ٤٩٧.

د - الرحلات العلمية :

لقد حرص المسلمون في مختلف العصور والأقطار على الارتحال في طلب العلم، وكانوا يتكبدون المشاق في سبيل ذلك، غير أن الحجاز تمتع بميزة أخرى، تجعله أكثر جذباً للعلماء وطلاب العلم، بحكم مكانته الدينية، فأكثر من يقدم للحج أو العمرة أو الزيارة يقيم فترة للمجاورة فيهما، وللتزود ببعض العلوم الشرعية، ولقاء علماء البلدان الذين لا يتيسر لقاؤهم في غير الحجاز، وربما يطيب له المقام، فيستقر فترة من الزمن، قد تطول أو تقصر، وفي هذه الحالة يعد مجاوراً، فيستفيد من اتصاله بالعلماء، كما يفيد غيره من علمه، وهنا يمكن أن نصنف الذين قاموا بهذه الرحلات إلى نوعين.

- نوع قاموا بالرحلة لطلب العلم والإفادة من علماء عصرهم.

- والنوع الآخر ممن نال حظاً وافراً من العلم فارتحل إلى أقطار أخرى فأفاد بعلمه الآخرين؛ بالتدريس والإفتاء وتولى الوظائف العلمية والدينية.

لقد جذبت المدينة بحكم مركزها الديني والعلمي عدداً من العلماء، وطلبة العلم الذين قدموا إليها لتلقي علومهم، ومن هؤلاء المؤرخ الحسن بن عمر بن حبيب صاحب كتاب "تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه" الذي قدمها سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م والتقى بعدد من علمائها ومنهم الشيخ أبو البركات أمين بن محمد بن محمد بن محمد السعدي الأندلسي[(١)].

ومن هؤلاء المؤرخ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي مؤرخ مكة، الذي قدم المدينة صغيراً برفقة خاله قاضي الحرمين محيي الدين النويري، ثم عاد إليها

---

(١) ابن حبيب، الحسن بن عمر، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، جـ ٢ (د. ط، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م ص ٢٤٣- ٢٤٤، ٢٥٧.

لطلب العلم سنة ٧٩٠هـ/ ١٢٨٨م حيث سمع على قاضي المدينة إبراهيم بن علي فرحون «تاريخ المدينة» للمطري، كما قرأ على عدد من العلماء في فقه الإمام مالك. وكانت رحلته تلك ضمن عدة رحلات قام بها إلى جهات مختلفة منها مصر والشام[١].

ومنهم مؤرخ مكة النجم عمر بن فهد، الذي رحل في طلب العلم إلى أقطار عديدة، فرحل إلى القاهرة والشام، وتلقى العلم في المدينة على عدد من شيوخها[٢]. أما العلماء وطلبة العلم الذين قاموا برحلات من المدينة إلى غيرها من الأقطار، للإفادة بعلمهم، أو لطلب العلم، فقد حفلت المصادر بتراجم للعديد منهم.

ومن هؤلاء الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي عالم الحديث في وقته بالمدينة - لقد رحل المذكور من المدينة إلى شيراز ببلاد فارس بنية العودة، لكنه استقر بها وتولي القضاء. ومن أسرته الذين رحلوا لطلب العلم حفيداه عبد الله بن محمد بن يوسف الذي حوى كما يقال «كل العلوم المتداولة بين الناس ورحل مع والده إلى دمشق»[٣] وأخوه محمد الذي «كان متصوفاً، سلك طريق الصوفية في الاستفادة بالعلم ورحل في طلب ذلك إلى العراق ومصر والشام»[٤].

(١) الفاسي، العقد، ١/٣٣١- ٣٣٤.

(٢) انظر شيوخ ابن فهد في المدينة في معجم شيوخه، من الرجال ص ٣٨، ٧٨، ١١٨- ١١٩، ١٥٣- ١٥٤، ١٥٨، ١٩٠، ٢١٧ - ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٩، ٢٦١، ٢٦٧، ومن النساء، ص ٣١٤، ٣١٦، ٣٢٥.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة، ٤١ ل ب، ابن حبيب، تذكرة، ٢/٤٨.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل أ.

ومن العلماء المرتحلين في طلب العلم؛ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أمين ابن معاذ بن سعاد الأقشهري، ولد بأقشهر[1] سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م، وارتحل لطلب العلم إلى مصر، ثم إلى المغرب والأندلس، فأخذ عن علمائها، وجمع رحلته في كتاب من عدة أجزاء[2]، ثم استقر أخيراً مجاوراً في المدينة حتى وفاته بها سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م[3]. ومن أهل المدينة ممن ارتحل في طلب العلم جمال الدين محمد بن أحمد ابن خلف المعروف بالمطري، صاحب «تاريخ المدينة» الذي رحل إلى مصر لطلب العلم بها[4]. ونلاحظ أن اتجاه الرحلات العلمية شمل أقطار العالم الإسلامي الرئيسية؛ مثل العراق وفارس ومصر والمغرب والأندلس، وقد استفاد العلماء وطلبة العلم من رحلاتهم تلك بالاتصال بعلماء تلك الأقطار، والأخذ عنهم، ومناقشتهم، والاستفادة منهم، وقد أعطتنا تلك الرحلات صورة طيبة عن الحركة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي.

وهناك رحلات قام بها رحالة، جابوا خلالها أقطار العالم الإسلامي، بقصد الاطلاع والاستزادة من المعرفة العلمية، وزيارة البقاع المقدسة في مكة والمدينة، وكان لهذه الرحلات أثرها الواضح في التعرف على مظاهر الحركة العلمية في

(١) آقشهر تابعة لقونية في بلاد الروم «وهي من أنزه المدن وبها بساتين كثيرة وفواكه مفضلة عن قونية» انظر، ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٤١٥، وعن آقشهر أو آق شهر انظر ابن سعيد، الجغرافيا، ص ١٧١، أبي الفداء، تقويم، ص ٣٨٢- ٣٨٣.

(٢) لا يزال مفقوداً.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٢ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٦٤ ل أ. الفاسي، العقد، ١/ ٢٨٦، الفاسي، ذيل التقييد، ١/ ٥٧- ٥٨ ابن حجر، الدرر، ٣/ ٣٩٨، السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٦٠.

(٤) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٦٧.

الحجاز خلال تلك الفترة، وتعد الرحلات المغربية والأندلسية مصدراً هاماً من مصادر الحركة العلمية في الحجاز بصفة عامة والمدينة خاصة خلال العصر المملوكي[1].

ومن أولى تلك الرحلات رحلة العبدري (ت بعد ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م)، الذي وصل المدينة أواخر سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، وعلى الرغم أنه لم يقم بالمدينة سوى يوم وبعض يوم فقد وصف الحركة العلمية بها بالخمود، حين قال «ولم أر بالمدينة مع شدة البحث، وإلحاح الطلب، وتكرار السؤال، من هو بالعلم موصوف ولا من هو بفن من فنونه معروف»[2]، غير أن العبدري التقى خلال إقامته القصيرة تلك بأحد علماء العراق المجاورين بالمدينة، وهو عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري التمار، فاستجازه فأجازه، ونقل عنه أحاديث عن النبي ﷺ[3].

وفي القرن الثامن قام عدد من الرحالة المغاربة بزيارة المدينة ووصفوا الحركة العلمية بها واستفادوا من علمائها ومن هؤلاء ابن رشيد (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م) الذي زار المدينة سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م، والتقى خلالها بعددٍ من العلماء؛ منهم الإمام الفقيه النحوي عفيف الدين عبد الرحيم بن محمد بن أحمد الزجاج، وابن أخيه أبو القاسم عبد الحميد بن أحمد بن محمد بن أحمد الزجاج، قدما من بغداد حاجين[4]، وأم الخير أم محمد فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي المعروف بالبطائحي[5]، والفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى

(١) عن أهمية الرحلات المغربية والأندلسية انظر، عواطف نواب، الرحلات، ص ٢٦٠- ٣١٦.

(٢) الرحلة، ص ٢٠٦.

(٣) العبدري، الرحلة، ص ٢٠٧.

(٤) ابن رشيد، ملء العيبة، ٥/٥، ١٠، ٢٦.

(٥) ابن رشيد، نفسه، ٥/٢١- ٢٥.

ابن محمد بن يحيى الفاسي[1]، وعفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري ثم المدني الحنبلي[2]، وعماد الدين يوسف الشقاري[3]، وأحمد بن عثمان بن عمر الشافعي المصري[4].

أما البلوي (ت بعد ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م) فقد ذكر في رحلته، أنه التقى ببعض العلماء، وعلى رأسهم أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني الشافعي، فسمع وروى عنه[5]، كما التقي بعالم المدينة ومؤرخها جمال الدين محمد بن أحمد المطري، حيث أخذ عنه بعض الأحاديث[6].

أما ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) فقد تحدث في رحلته التي زار خلالها المدينة سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م) عن عدد من العلماء والمجاورين بها ووصف الحركة العلمية. وإن لم يذكر أنه استفاد من علمائها علماً أو إجازة[7].

ومن النساء اللاتي رحلن في طلب العلم أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن أبي بكر بن شكر المقدسية، فقد زارت المدينة وحدثت بها، وكانت وفاتها سنة ٧٢٢هـ[8].

أخيراً يمكن القول: إن الرحلات العلمية من وإلى المدينة من الروافد الأساسية للحركة العلمية، فقد عمقت صلة المدينة العلمية بغيرها من الأقطار الإسلامية.

(١) ابن رشيد، ملء العيبة، ٥/ ٣٧- ٣٨.

(٢) ابن رشيد، نفسه، ٥/ ٤١- ٦٣، وسبق ذكره في رحلة العبدري.

(٣) ابن رشيد، نفسه، ٥/ ٦٥- ٦٧.

(٤) ابن رشيد، نفسه، ٥/ ٦٩- ٧٠.

(٥) تاج المفرق، ٢/ ٢٩١.

(٦) البلوي، نفسه، ٢/ ٢٩٣.

(٧) ابن بطوطة، الرحلة، ص ١٤٢.

(٨) ذكر كل من المقريزي، السلوك ٢/ ٢٣٩، وابن حجر، الدرر، ٢/ ٢١٠، أنها توفيت عن أربعة وستين سنة، أما ابن عماد الحنبلي، شذرات ٦/ ٥٦، فقد ذكر أنها توفيت عن أربع وتسعين سنة.

هـ - العلوم والمؤلفات العلمية

ربما يتبادر إلى الذهن أن الحركة العلمية في المدينة كانت مقتصرة على العلوم الشرعية، بحكم كون مركزها المسجد النبوي، ومعظم رجالها من المجاورين، إلا أن دراسة تراجم علماء المدينة، أو أولئك الذين جاوروا فيها لبعض الوقت، وعلموا فيها، يكشف أن تحصيلهم العلمي يتجاوز العلوم الشرعية إلى العلوم النقلية والعقلية، وقد يبرز عالم في علم من العلوم ويشتهر به، كالفقه أو النحو أو التفسير، إلا أن علماء ذلك العصر يمكن وصفهم بعلماء شموليين؛ فعلى سبيل المثال أبو محمد عبد الله بن حجاج المغربي الشهير بمكشوف الرأس (ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م) كان كما يقال «من الشيوخ المعدودين في زمانهم من العلماء والحكماء المجدين، المطلعين على علوم الأولين من حكمة ومنطق، وهندسة، وفلسفة» إلى جانب قيامه بجمع الكتب المختلفة في التفسير والفقه والحديث والشعر والتاريخ والطب والمنطق والحكمة[١].

ومنهم محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي (ت ٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، وكان ذا معرفة بالتفسير، والأصلين، والمنطق، والعربية، والفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة. كما جمع كتباً كثيرة.

كما أن له إلماماً بالنحو والفقه، وقد أثنى عليه المؤرخون فوصفه الفاسي[٢] بـ «العلامة، المفتن، البارع»، وذكر ابن حجر[٣] أنه «عني بالعلم وبرع في الفنون مع

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٧ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٤٧ ل ب، ٢٤٨ ل آ، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣١٠- ٣١١.

(٢) العقد، ١/ ٣٠٨ .

(٣) إنباء، ٧/ ٢٣٩ .

الذكاء المفرط وقوة الفهم والمروءة التامة والبأو الزائد» كما أن له بعض المؤلفات[1].

ومنهم أحمد بن يونس بن سعيد الحميري القسنطيني المغربي المالكي (ت ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م)، كان كما يقول السخاوي[2] «إماماً في العربية والحساب والمنطق، ومشاركاً في الفقه والأصلين والمعاني والبيان والهيئة، مع إلمام بشيء من علوم الأوائل».

وعلى الرغم من إلمام بعض العلماء وطلبة العلم بكثير من العلوم النقلية والعقلية، غير أن العلوم الأساسية التي تشتمل عليها الحركة العلمية هي العلوم الشرعية؛ المشتملة على القرآن الكريم وعلومه وتفسيره، والعقيدة، والفقه على المذاهب الأربعة إضافة إلى الفقه الجعفري. كما يشتمل النشاط العلمي على اللغة العربية وعلومها. كما كان البعض يدرس علم الحساب، لحاجة الناس إليه في المعاملات من بيع وشراء.

ورغم أن بعض العلماء كان متخصصاً في علم بعينه من العلوم الشرعية، أو اللغوية فقد وجد ـ كما أسلفت ـ عدد من العلماء ممن كان له إلمام بعدة علوم، ومن هؤلاء الشيخ أبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي الذي كان «إماماً في مذهب مالك، برع في العربية وفي أصول الدين، وأصول الفقه، وتعلم علم الحساب والفرايض، مشاركاً في اللغة، وغيرها، متصدياً للاشتغال، انتفع به الطلبة من جميع المذاهب»[3].

(١) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٧٩، السخاوي، الضوء، ٧/ ٣-٤ وانظر أيضاً، ابن القاضي، أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور جـ ٢ (ط١، المكتبة العتيقة تونس، دار التراث القاهرة، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١) ص ٣٨- ٣٩، بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٤٨٥، محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٤٣.

(٢) الضوء، ٢/ ٢٥٢، التحفة، ١/ ٢٧٦.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٣ ل ب، ٧٤ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ٤٩٤- ٤٩٥.

أولاً : العلوم النقلية

١ - علم القراءات

يعد هذا العلم من العلوم الأساسية المختصة بالقرآن الكريم، وقد تحدثت المصادر عن عدد من علماء القراءات في المدينة في تلك الفترة، ففي القرن الثامن الهجري ذكر أن أبا فارس عبد العزيز بن زكنون التونسي (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) «كان من المشايخ الصلحاء القدماء في المجاورة بالحرمين. فاضلاً في علم القراءات»[(١)].

ومنهم أبو عبد الله محمد بن محصن القصري الأنصاري (ت٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) كان «عالم زمانه بالقراءات»[(٢)]. ومن كبار علماء القراءات في تلك الفترة أبو عبد الله الوادي آشي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) «كان من القراء المجودين» ألف كتاباً في علم القراءات أسماه «اختصار الكافي في القراءات» ورغم أن الكتاب صغير الحجم لكنه كان ذا فائدة عظيمة لطلبة العلم في عصره[(٣)].

ومن علماء القراءات الشيخ عبد الواحد الجزولي (ت نحو ٧١٦هـ/ ١٣١٦م)[(٤)]. ومنهم محمد العقيبي المقرئ (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، كان أحد شيوخ عصره بدمشق في القراءات، وجاور بمكة، ثم بالمدينة فتصدر للإقراء

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٩ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٤٧٩ وقد وصفه بـاشيخ القراءة بها اقرأ بالروايات»، السخاوي، نفسه، ٣/ ٢٤- ٢٥.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٣ ل أ- ب، ٣٥ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٤ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل ب، ٢٧ ل أ، ١١٤ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٥٠ ل أ. السخاوي، التحفة، ٣/ ١٠٤.

وعد إماماً في القراءات[1].

ومن هؤلاء أيضاً شرف الدين الزبير بن علي الأسواني (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) كان إماماً في علم القراءات، جاء إلى المدينة وجاور بها حتى وفاته[2].

كما برز في علم القراءات في تلك الفترة إبراهيم المكناسي (ت ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)[3]، ومن كبار علماء القراءات خلال القرن الثامن محمد بن صالح بن إسماعيل الكناني المدني، الذي درس على أبي عبد الله محمد القصري القراءات السبع فأتقنها، كما أخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد الله السبتي المغربي. ذكر ابن فرحون أنه «انتفع به أهل المدينة وغيرهم من الواردين»[4] وسلك ابنه محمد منهجه في دراسة القراءات، حيث درس على يد والده الروايات السبع في قراءة القرآن، وإذن له في الإقراء بها[5].

وفي القرن التاسع الهجري يبرز اسم الشيخ إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي الحسيني (ت ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، تصدى للإقراء بالحرمين الشريفين، وكان أحد شيوخ القراءات العشر، وهو أحد الخدام بالحجرة النبوية[6].

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٦١ ل ب، ٦٢ ل ب. ٦٢ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٠ ل ب، الاسنوي، طبقات، ١/ ١٦٩، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٩ ل أ- ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ١١٣، السخاوي، نفسه، ٢/ ٧٦ - ٧٨.

الأدفوي. أبو كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي، الطالع السعيد، الجامع أسماء نجباء الصعيد. (د. ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦م) ص ٢٤٨.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ١٥٥.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٥ ل أ، ابن حجر، الدرر ٤/ ٧٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٨٤.

(٥) الفاسي، العقد، ٢/ ٢٩٣- ٢٩٤، السخاوي، الضوء، ٥/ ٨٦.

(٦) السخاوي، الضوء، ١/ ١٤- ١٥، السخاوي، التحفة، ١/ ١٠١- ١٠٢.

٢- علم الحديث

يعد هذا العلم، من أقدم العلوم، التي نشـأت في المدينة منذ عصر الرسول صلى الله عليـه وسلم، حيث حُث الصحـابة على سماع الحـديث ثم تدوينه، ولذا فإن ازدهار هذا العلم في المدينة في العصر المملوكي يعد أمراً طبيعياً، وقد شارك في هذا الازدهار الأسر العلمية، وطلبـة علم، وعلماء قدموا إلى المدينة وجاوروا بها، وساهموا بنصيب وافـر في إبراز هذا العلم تدريساً وتأليفاً، فمن الأسر العلمية، التي برز بعض أفرادهـا في علم الحديث أسرة ابن فرحون التي ظهر منها البدر عبد الله بن محمد(١) وأخوه علي(٢).

ومن أسرة المطري، عفـيف الدين أبو السيات محمـد بن أحمد(٣)، ومحب الدين أبو المعـالي محمـد بن محمـد بن عبـد الرحمن(٤)، ومن أسرة المراغي شرف الدين أبو الفتح محـمد بن أبي بكر بن الحسين(٥)، ومن أسرة الخجندي برهان الدين إبراهم بن أحمد بن مـحمد(٦)، وأحمد بن محمـد بن محمد بن محمد(٧)، ومن العلماء الآخرين الذين استقـروا في المدينة وتميزوا بالبراعة في علم الحـديث والتـأليف فيـه أبو عـبـد الله الوادي آشي الذي له مـقدمـة في الحديث(٨).

(١) ابن فرحون، الديباج، ١/ ٤٥٤- ٤٥٥، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٥٢ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٤ ل ب، ابن فرحون، الديباج، ٢/ ١٢٥- ١٢٦.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٣ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٨٨.

(٤) السخاوي، الضوء، ٩/ ١٠١- ١٠٢.

(٥) السخاوي، الضوء، ٧/ ١٦٢- ١٦٣، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٣٥- ٥٣٩.

(٦) السخاوي، الضوء، ١/ ٢٥، السخاوي، التحفة، ١/ ١٠٥- ١٠٦.

(٧) السخاوي، الضوء، ٢/ ١٩٤- ٢٠١، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٥٣- ٢٦٤.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٥ ل أ.

والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأمين الأقشهري الأخلاطي، ذكره ابن فرحون بقوله: «قد يسر الله عليه تدوين الحديث والعلم فلا تسأله عن شيء من علم الحديث ورجاله إلا وجدت عنده منه طرفاً جيداً، صنف تصانيف كثيرة واختصر مطولات كثيرة»(١) وأثنى عليه الفيروزآبادي بقوله: «قد فتح الله عليه في مقدمة الحديث باباً سهل عليه فدخل، فعلم الحديث وتدوينه محطة ومرحلة، وصنف فيه تصانيف، وجمع وألف فيه تآليف ونفع»(٢).

ومن أبرز علماء الحديث الذين جاوروا بالمدينة محمد بن موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي المكي الشافعي (ت ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م)، وقد أثنى عليه الفاسي(٣) بقوله «وتقدم كثيراً في الحديث لجودة معرفته بالعلل وأسماء المتقدمين، والمتأخرين، المرويات والعالي والنازل، مع الحفظ لكثير من المتون، ولم يكن له في ذلك نظير بالحجاز... وخرج لنفسه أربعين حديثاً متباينة الإسناد والمتون، وكلها موافقة لأصحاب الكتب الستة».

كما أثنى على تمكنه من علم الحديث ابن حجر(٤)، والسخاوي(٥)، وله بعض المؤلفات أكمل بعضها مثل مختصر الحديث(٦).

---

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل ب.

(٢) الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٦٤ ل أ.

(٣) العقد، ٢/ ٣٦٤- ٣٦٥، ٣٦٧.

(٤) إنباء، ٧/ ٤٠١- ٤٠٣، وفي ذيل الدرر، ص ٢٨٢ ذكر وفاته سنة ٨٢٤هـ ١٤٢١م.
وانظر: ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٧/ ١٦١-١٦٢.

(٥) الضوء، ١٠/ ٥٦- ٥٨.

(٦) السخاوي، نفسه، ١٠/ ٥٧.

٣- علم الفقه

نال هذا العلم اهتماماً من علماء المدينة والوافدين إليها، وبرع كثير من أفراد الأسر العلميـة وطلبة العلم الآخرون في هذا العلم. كما كـان لانتشار المذاهب الفقهية بالمدينة أثر في تدريس الفقه.

فمثلاً من أبرز علماء الفقه المالكي الشـيخ شمس الدين محمد بن فرحون[١] وابنه عبد الله[٢] وحفـيده إبراهيم بن علي[٣] والأخير ألف كـتاباً في الأحكام أسـمـاه «منضدة الحـكام» وآخر في طبـقـات المالكيـة، «والغـواص في أوهام الخواص»، وإرشاد السالك إلى المناسك، «وذكر أن له كتاباً بعنوان «التبصرة في أدب القضاء». ومن علماء الفقه المالكي أبو الربيع سليمان الغماري، الذي أثنى عليه ابن فرحـون، ووصفه بأنه «فقيـه المدينة ومفتيهـا على مذهب مالك»[٤]، «كان إليه مرجع الفتيا على مذهب مالك».

ومن فقـهاء المالكية أبو علي الحسـن بن عيسى الحاحـائي تلميذ محـمد بن فرحون السابق الذكر، اشتغل بالتدريس في مذهب مالك، وأصول الفقه، وقد انتفع به الطلبة من جميع المذاهب[٥]. ومن علماء الفقه المالكي أيضاً خلف بن أبي بكر بن أحمد الزين التحريري المالـكي، الذي درس عليه تقي الدين محمد

---

(١) توفي سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، ابن فـرحون، نصيحـة، ورقة ١١٤ ل ب، السـخاوي، التحفـة، ٣/ ٧١٠.

(٢) توفي في سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، ابن فرحون، الديباج، ١/ ٤٥٥.

(٣) توفي ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م، ابن حجر، الدرر، ١/ ٤٩، السخاوي، نفسه، ١/ ١٣٢، القرافي، توشيح الديباج، ص ٤٥- ٤٦ ابن قاضي شهبة، تاريخ، ٣/ ٦٢٣.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٢ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٤٢ ل أ.

(٥) توفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٣ ل ب، ٧٤ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٩ ل ب.

ابن أحمد الفاسي[1]. وفي الفقه الشافعي يبرز محمد بن عيسى الأزدي الدوسي اليمني الشافعي (ت ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) الذي ألف كتاباً في الفقه سماه «المقتضب»[2].

أما عالم المدينة أبو بكر بن الحسين المراغي فله مؤلفات عديدة في الفقه منها «الحمد في شرح الزبد» و«مرشد الناسك إلى معرفة المناسك» كما أكمل شرح شيخه الأسنوي للمنهاج سماه «الوافي بتكملة الكافي»[3] وفي الفقه الحنبلي ألف أحمد بن محمد الشوبكي الحنبلي حين مجاورته المدينة كتاب «التوضيح»، جمع فيه بين المقنع لابن قدامة والتنقيح للمرادي[4].

وفي الفقه الحنفي شمس الدين محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي[5] الذي درس الفقه بالحرم النبوي، وشهاب أحمد بن عبد الله بن حمد بن إبراهيم المصري، الذي تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وصار إماماً فيه[6]. كما روى الموطأ عن الوادي آشي[7].

٤- علم التفسير

من علماء التفسير في المدينة أواخر العصر المملوكي عبد المعطي بن أحمد بن

(١) الفاسي، العقد، ١/ ٣٣٣، السخاوي، التحفة، ٢/ ١٩.

(٢) الفاسي، نفسه، ٢/ ٢٤٥- ٣٦٥.

(٣) توفي سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، الفاسي، نفسه، ٢/ ٣٦٤- ٣٦٥، السخاوي، الضوء، ١١/ ٣٠.

(٤) كان موجوداً في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، الغزي، الكواكب، ٢/ ٩٩.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤١ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٦١ ل ب، ٢٦٢ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٥/ ٦٣.

(٦) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٥ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ١٩٣.

(٧) السخاوي، نفسه، ١/ ١٩٤ .

محمد السخاوي المدني[1]، وصفه بابا التنبكتي[2] بقوله «الفقيه العالم المصنف الجامع»، ألف كتاباً في التفسير سماه «فتح الحميد» في ستة أجزاء[3].

٥- علم التاريخ

إن للتاريخ نصيباً في العلوم التي ازدهرت في المدينة خلال تلك الفترة، نظراً لوجود المسجد النبوي وما تحويه المدينة من معالم وآثار لها صلة بالسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي بشكل عام مما حفز الكثير من المهتمين بالتاريخ على الكتابة فيها، غير أنه يلاحظ أن كثيراً من تلك المؤلفات الخاصة بالمدينة يغلب عليها التطرق للفضائل والمعالم وقليل منها يتعرض للحوادث التاريخية، كما أن بعضها يترجم لرجال ونساء المدينة أو ممن حل بها خلال العصور الإسلامية المختلفة.

اشتدت عناية العلماء من أهل المدينة وخارجها بالكتابة عن تاريخها؛ فمن المؤلفات التاريخية المتصلة بتاريخ المدينة «الدرة الثمينة في أخبار المدينة» لمحمد ابن محمود بن الحسن بن هبة الله بن النجار البغدادي[4]، وهو في أخبار المدينة، وفضائلها، وآثارها، ومعالمها، حتى عصر المؤلف، أما عن قيمته التاريخية فهو اعتماده على كتب مفقودة، لم تصلنا مثل «كتب أخبار المدينة» لمحمد بن الحسن بن زبالة (ت حوالي ٢٠٠ هـ/ ٨١٥م) وكتاب المدينة وأخبارها لعبد الله ابن سعيد الوراق، كما اعتمد على كتاب ابن النجار المؤرخون الذين جاءوا بعده وكتبوا في تاريخ المدينة كالمطري والمراغي والسمهودي والعباسي وغيرهم.

(١) كان موجوداً سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م، حاجي خليفه، كشف ١/٤٥٣، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ ٦ (د. ط، مكتبة المثنى، دار احياء التراث العربي بيروت، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) ص ١٧٦.

(٢) بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٢٨٧.

(٣) بابا التنبكتي، نفسه، ص ٢٨٧.

(٤) توفي سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م، السبكي، طبقات، ٥/٤١، الزركلي، الأعلام، ٧/٨٦.

ومن ألف في تاريخ المدينة في القرن السابع الهجري أبو اليمن عبدالصمد ابن عبد الوهاب بن عساكر الدمشقي، ثم المكي[1]، له كتاب «إتحاف الزائر، وإطراف المقيم السائر» يتعلق بتاريخ المدينة، وقد ذكره ابن رشيد[2] في رحلته.

وفي القرن الثامن الهجري ظهر عدد من المؤرخين أبرزهم محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ الآقشهري[3] المجاور بمكة والمدينة، ألف «الروضة الفردوسية والحضيرة القدسية»[4]، في التراجم ذكر فيه أسماء من دفن في البقيع من الصحابة والتابعين إلى عصره، وقد انتهى من تأليفه سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م. وقد حدث بكتابه في المدينة، ثم بمكة سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٢٢م[5].

ومن المؤلفات الهامة في تاريخ المدينة كتاب «التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة» لجمال الدين محمد بن أحمد المطري[6]، وهو يتطرق لأهمية المدينة والمسجد النبوي، وفضائله، وآثار المدينة ومعالمها[7]، ويعد الكتاب ذيلاً لكتاب ابن النجار، الدرة الثمينة السابق الذكر[8] ولابنه عفيف الدين عبد الله المطري مؤلف في

(١) توفي سنة ٦٨٦هـ/ ١٣٨٤م، الفاسي، العقد، ٥/ ٤٣٢- ٤٣٣ .

(٢) ملء العيبة، ٥/ ١٤٥- ٢٣١ .

(٣) توفي سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٢ ل ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٦٤ ل أ الفاسي، العقد، ١/ ٢٨٦- ٢٨٧، ابن حجر، الدرر، ٣/ ٣٩٨ .

(٤) السخاوي، التحفة، ٣/ ٤٦٣ .

(٥) السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٦٤، السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق محمد عثمان الخشت (د. ط، مكتبة الساعي، الرياض ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ص ١٦٢.

(٦) توفي سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٢ ل أ، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٦٢ ل ب، ٢٦٣ ل أ.

(٧) السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٦٧ .

(٨) الفيروزآبادي، المغانم (ط) المقدمة ص، ط .

تاريخ المدينة هو كتاب «الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام[1]».

أما عالم المدينة وقاضيها؛ البدر عبد الله بن محمد بن فرحون فله كتاب «نصيحة المشاور وتعزية المجاور»[2]، وهو في التراجم، حيث ترجم لعدد كبير من العلماء، والفقهاء، والقضاة، والمؤذنين، والصلحاء، والقائمين على خدمة المسجد النبوي والحجرة الشريفة، المعروفين بالخدام، كما تحدث عن أمراء المدينة من الأشراف، ووزرائهم، والكتاب يعطي صورة عن الأوضاع السياسية والحياة الاجتماعية في المدينة في عصر المؤلف، وعن العلاقات بين فئات المجتمع المختلفة. كما ألف أبو محمد عبد الله بن عبد الملك القرشي البكري، المرجاني المدني كتاب «بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار» صنفه في المدينة سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م[3].

ومن الكتب المفقودة والهامة في تاريخ المدينة في العصر المملوكي، ما ألفه محمد بن صالح بن إسماعيل الكناني المدني، المعروف بابن صالح المسمى «تاريخ المدينة»، نقل منه السخاوي كثيراً، وذكر أنه تحدث فيه «عن جماعة ممن رآه وعرفه من العلماء الصالحين والقضاة، وخدام الحرم، وعوام المسلمين المتدينين وغيرهم»[4]، وهو في هذا يشبه كتاب نصيحة المشاور لابن فرحون، وممن له اهتمام بالتاريخ أيضاً عبد العزيز بن زكنون التونسي[5].

(١) توفي سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٤٨ ل أ- ب ابن حجر، الدرر، ٢/ ٣٩١، السخاوي الإعلام، ص ١٦٣، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٨٧.

(٢) توفي سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، الفيروزآبادي، المغانم (خ)، ورقة ٢٥٢ ل ب، ابن حجر، الدرر، ٢/ ٤٠٦- ٤٠٧، السخاوي، التحفة، ٢/ ٤٠٣ .

(٣) كان موجوداً سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، السخاوي، التحفة، ٢/ ٣٥٤.

(٤) توفي سنة ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٨٤ .

(٥) توفي سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٩ ل ب.

كما ألف محمد بن موسى بن علي المراكشي المجاور بالمدينة كتاباً يتعلق بتاريخ المدينة(1).

ومن المؤلفات في تاريخ المدينة كتاب «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة»، لزين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر المراغي، فرغ من تأليفه في المدينة سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م(2)، وهو تلخيص لكتابي ابن النجار والمطري السابقي الذكر(3). ثم جاء محمد بن يعقوب الفيروزآبادي فألف كتاب المغانم المطابة في معالم طابة(4).

ووصلت المؤلفات في تاريخ المدينة ذروتها بما كتبه محمد بن عبد الرحمن السخاوي(5)، فألف كتاب «التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة»(6)، ترجم فيه لكل ما وصل إلى علمه من أهل المدينة والوافدين إليها، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصره، كما نجد جملة من تلك التراجم وغيرها في كتابه الآخر «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، ورغم أن كتاب التحفة وصلنا ناقصاً، إلا أن ما لدينا يعطينا صورة طيبة عن بعض نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية.

وجاء في عصر السخاوي مؤرخ آخر هو نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، صاحب المؤلفات العديدة في تاريخ المدينة، وغيرها، وأهمها كتابه

(١) توفي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، السخاوي، الضوء، ١٠/ ٥٧.

(٢) توفي سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، السخاوي، الضوء، ١١/ ٢٩.

(٣) الفيروزآبادي، المغانم (ط) المقدمة ص، ي.

(٤) توفي سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م، الفاسي، العقد، ٢/ ٣٩٤، الفاسي، ذيل التقييد، ١/ ٤٧- ٤٧١. السخاوي، الضوء، ١٠/ ٨٢.

(٥) توفي سنة ٩٠٢هـ/ ١٣٩٦م، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٨/ ١٥.

(٦) السخاوي، الضوء، ٨/ ١٧، السخاوي، التحفة ١/ ٢٢.

«الوفا بما يجب لحضرة المصطفى»، وما يسمى أيضاً «اقتضاء الوفا بأخبار دار المصطفى»[1]، وقد احترق هذا الكتاب قبل اتمامه في حريق المسجد النبوي سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م حين كان المؤلف بمكة[2]، ثم ألف كتاباً وسيطاً سماه «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، لخص فيه ما أطلع عليه من تواريخ المدينة في مؤلفات ابن زباله، وابن شبه، وابن النجار ، والمطري، والفيروزآبادي، والمراغي. والكتاب في أخبار المسجد النبوي والحجرة الشريفة، ومعالم المدينة وآثارها، ويقدم الكتاب صورة طيبه عن بعض أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والأحوال العمرانية للمسجد النبوي، وما يحيط به، وما طرأ على تلك المعالم من تغيير خلال العصر المملوكي، كما أن له كتاب «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى»[3].

وفي أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني ألف عبد المعطي بن محمد السخاوي المدني كتاب «تاريخ المدينة»[4].

وهناك مؤلفات عديدة في العهد العثماني؛ أبرزها كتاب «عمدة الأخبار في مدينة المختار» تأليف أحمد بن عبد الحميد العباسي[5] عده الشيخ حمد الجاسر تلخيصاً لكتاب «خلاصة الوفاء» للسمهودي[6].

(١) توفي سنة ٩١١هـ/١٥٠٦م، السخاوي، الضوء، ٥/٢٤٦، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٨/ ٥١ .

(٢) السخاوي، الضوء، ٣/ ٢٣١ .

(٣) انظر: مقدمة السمهودي في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ص ١-٢. الشوكاني، البدر، ١/ ٤٧٠- ٤٧١ .

(٤) كان موجوداً سنة ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م، بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٢٨٧، محمد مخلوف، شجرة، ص ٢٧٩ .

(٥) لم استدل إلى ترجمة للمؤلف فيما اطلعت عليه من مصادر أو مراجع كما أن ناشر الكتاب لم يدلنا على أية معلومات عن المؤلف وكتابه.

(٦) مقدمة كتاب، الفيروزآبادي، المغانم (ط)، ص، ك.

رغم شدة عناية العلماء من أهل المدينة وخارجها بالكتابة عن تاريخها، إلا أن حظ هذا العلم كان قليلاً في مجال التدريس، فقد وجدت إشارات حول تدريس تاريخ المدينة بصفة خاصة في المسجد النبوي، ومنها ما سمعه علي بن يوسف الزرندي على الجمال المطري، وكافور الخضري سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م من «تاريخ المدينة» لابن النجار(١). أما علي بن محمد بن موسي بن منصور المحلي فقد سمع على الزين أبي بكر بن الحسين المراغي سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٤٨م كتابه «تاريخ المدينة»(٢).

٦- الشعر:

يعد الشعر مرآة تعكس شخصية الإنسان، وتعبر في بعض الأحيان عن البيئة التي يعيش فيها، وقد اهتم العرب منذ الجاهلية بالشعر، حتى ليقال: الشعر ديوان العرب.

والمدينة كغيرها من المدن والأمصار الإسلامية، حفلت عبر عصورها بعدد كبير من الشعراء، كانت لهم اهتمامات مختلفة ومتعددة، فتنوعت أغراض الشعر لديهم، وبعض هؤلاء كانت اهتماماتهم منحصرة في الأدب وحده؛ من شعر ونثر، أما البعض الآخر فكانت لهم بالإضافة إلى الأدب اهتمامات علمية مختلفة منها العلوم الشرعية.

تعددت الأغراض الشعرية لدى هؤلاء الشعراء؛ من مدح ورثاء وحكمة وغزل ووصف وغيره. فمن شعراء المدينة أوائل العصر المملوكي الذين كانت

---

(١) توفي سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٦٨.

(٢) توفي سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م، انظر ترجمته في ابن شاكر الكتبي، محمد شاكر، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس حـ ٣ (د. ط، دار صادر، بيروت ١٩٧٤م) ص ٣٦- ٣٧.

لهم اهتمامات أدبية، وبخاصة في مجال الشعر؛ أبو البركات أيمن بن محمد السعدي التونسي المالكي ولد بتونس سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م، ونزح إلى المدينة وجاور بها، ورغم أنه جمع ديواناً كبيراً، يشتمل على مدائح نبوية، إلا أن له شعراً كثيراً طرق فيه مختلف أغراض الشعر المعروفة من مدح ورثاء وحكمة وغزل ووصف وغيره(١).

فمن شعره في الحكمة(٢):

لعمرك أن العمر يوم وليلة ... يكران والدنيا مناخ لراكب

وله أيضاً في الحكمة:

إذا طال عمر المرء سر وساءه ... على أي حال كان فقد الحبائب

وفي نفسه إن مات قبل انتهائه ... مصيبته فالمرء رأس المصائب

وكانت وفاته في المدينة سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م(٣).

ومن الشعراء الذين استقروا في المدينة، وكانت لهم اهتمامات مختلفة، محمد بن أحمد الآقشهري، الذي اشتهر برحلاته، كما ألف في تاريخ المدينة، نظم الشعر وبخاصة في الوصف، والمدائح، فمن قوله في حريق المسجد النبوي(٤).

أتينا الحجار عشية ... وإذا الزخارف التي فيه محرق

(١) السخاوي، التحفة، ١/ ٣٥٢.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٦٨ ل أ- ب، الفيروزآبادي، المغانم (خ) ورقة ٢٣٤ ل أ- ب، السخاوي، التحفة، ١/ ٣٥٣.

(٣) ابن حجر، الدرر، ١/ ٤٦٢.

(٤) توفي سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٤ ل ب، السخاوي، نفسه، ٣/ ٤٨١، وذكر ابن حجر، ولادته سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م نفسه، ٣/ ٤٢٩.

ومن الشعراء الذين جاوروا بالمدينة، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري نسباً، الأندلسي مولداً ومنشأ، ولد بالمرية بالأندلس سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م[١]، ورحل مع أبي جعفر أحمد بن يوسف ابن مالك الغرناطي إلى دمشق سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ثم إلى حلب، ثم جاور الهواري بعد ذلك في المدينة، وله ديوان شعر في مجلدين، فكان اهتمامه منصباً على الشعر.

فمن قصيدته في وصف المدينة[٢]:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم   وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم

توفي بالبيرة في الشام سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م[٣].

أما صاحبه وصديقه أحمد بن يوسف بن مالك الغرناطي، فقد ولد بغرناطة سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م، واهتم بالأدب، ورافق أبا عبد الله محمد بن أحمد الهواري السالف الذكر إلى الشام، ثم جاورا بالمدينة، وكان يشارك بعض الشعراء المكفوفين على أن يكتب والأعمى ينظم الشعر توفي سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٤٨م[٤].

ومن شعراء المدينة محمد بن محمد الأنصاري الزموري، ولد بزمورة في أقصى المغرب سنة ٧٧٧هـ/ ١٣٦٨م نشأ بها ثم رحل إلى المدينة واستوطنها،

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٥٤ ل ب، السخاوي، التحفة، ٤٨١/٣، وذكر ابن حجر، الدرر، ٤٢٩/٣ ولادته سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٨م .

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٣ ل ب، السخاوي، نفسه، ٤٨١/٣ .

(٣) ابن حجر، نفسه، ٣/ ٤٣٠.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٣ ل ب، ٥٤ ل أ- ب ابن حجر، نفسه، ١/ ٣٦١- ٣٦٢ السخاوي، نفسه، ١/ ٢٧٤.

وكان عالماً بالفقه والعربية وله شعر منه قوله في مدح المدينة(١).

لا كـالمدينـة منـزل وكـفـى بهـا   شرفاً حلول محمد بفناها

حظيت ببهجة خير من وطئ الثرى   وأجلهم قدراً فكيف تراها

توفي بمكة سنة ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م(٢).

كمـا برز من الأسـر العلميـة في المدينة عدد من علمـائها ممن كـان له إلمام بالشعر ونظمه، فمن أسرة ابن فرحون الشيخ عبد الله بن محمد بن فرحون له قصيدة في فضل المدينة والتشويق إلى سكناها والإقامة بها ومنها قوله(٣).

مدينة خير الرسل مهبط وحيه   سقاها الهي ماطر بعد ماطر

ومن أسرة الخجندي الشيخ أبو الفتح محـمد بن إبراهيم الخجندي إمام مقام الحنفية وقد ورد له بعض الشعر أغلبه في الحكمة ومنها قوله(٤).

أمل يطول وفي آجالنا قـصر   والدهر ينكي وفي الأيام معتبر

والنفس في غفلة عما يراد بها   والقلب من قسوة كأنـه حجر

ومن أسرة المراغي، أبو بكر بن الحسين المراغي له في الحكمة أيضاً(٥).

حمـدت إلهـي على فضله   وتجديـد أنعامـه كـل عـام

بلغـت الثمانين وبضـعاً لها   امثال عصري قضوا بالحمام

(١) بابا التنبكتي، نيل الابتهاج ص ٥٢١، المذكور في السخـاوي، الضوء، ٧/ ٢٥٢، والقرافي، توشيح الديباج ص ٢٠٥، إلا أن اسمه في الكتابين محـمد بن سعيد بن محمد الزمـوري، مع اتفاقهما في مولده مع ما ذكره بابا التنبكتي غير أنهما يشيران إلى استيطان المدينة بدل مكة وليس له إلمام بالشعر.

(٢) السخاوي، الضوء، ٧/ ٢٥٢.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ١١٧ ل ب.

(٤) توفي سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م، السخاوي، الضوء، ٦/ ٢٤٦، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٥٢.

(٥) توفي سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، السخاوي، الضوء، ١١/ ٣١.

ثانياً العلوم العقلية

١- الطـب :

يحسن بنا قبل الحديث عن الطب أن نذكر أن أول بيمارستان[(١)] «مستشفى» أنشئ في المدينة كان سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م[(٢)]، حيث أمر بتشييده الخليفة العباسي المستنصر بالله أبو جعفر المنصور[(٣)]، ثم جدده السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٢م[(٤)]. غير أنه ليس لدينا ما يشير إلى طبيعة النشاط العلاجي، والعلمي، في المارستان، وعن الأطباء والمشرفين عليه، وعن مدة بقائه مكاناً لعلاج المرضى، إلا أنه وردت إشارات في النصف الأول من القرن الثامن الهجري إلى وجود مارستان في المدينة[(٥)]، واستخدام جانب منه لتخزين تمر الأوقاف، فهل كان هو المارستان الذي أنشئ في القرن السابع الهجري؟ وهل كان يستخدم للعلاج في تلك الفترة؟ أم أن أمره آل إلى الخراب فاستخدم المبنى مستودعاً للتمور! غير أنه ثبت وجود مارستان للعلاج في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، فقد ذكر وفاة أحد الأعلام به في ربيع الآخر سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م[(٦)].

(١) البيمارستان، مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم وهو لفظ فارسي مركب من بيمار أي مريض، وستان أي محمل أي دار المرضى، أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام (د. ط، دمشق ٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م) ص ٤.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ٦٥، السمهودي، وفاء، ٢/ ٦٩٥.

(٣) تولى الخلافة ما بين (٦٢٣- ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦- ١٢٤٢م) الذهبي، سير، ٢٣/ ١٥٥- ١٦٨. ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ١/ ٣٦.

(٤) ابن تغري بردي، النجوم، ٧/ ١٩٤.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٨٥ ل ب، السخاوي، نفسه، ١/ ٤٨٤.

(٦) ابن فهد، نجم الدين عمر بن محمد، الدرر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (مخطوطة مصورة برقم ٣٣٢، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) ورقة ١٦٩ ل ب.

ومن أبرز الأطباء في المدينة خلال تلك الفترة محمد بن حسين بن علي بن رستم ذكره ابن فرحون[1] بقوله «وهو الفقيه الفاضل، اشتغل بالطب، ورحل إلى الشام، وخالط الصوفية». وممن له إسهام في مهنة الطب أبو علي الحسن الحجام[2]، ومن ذلك يتضح أن مهنته الأساسية كانت الحجامة، كما كان يختن الأطفال، ويعمل أيضاً بمهنة الحلاقة، ويمارس مهنة الخياطة ويسقي الماء في المسجد النبوي احتساباً . وشهاب الدين مرشد الغادي[3]، ومحمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري التونسي[4]، وأبو علي بن فرخوص التلمساني المغربي[5]. وقياساً للمارستان الذي أنشأه السلطان الأشرف شعبان بمكة، فيحتمل أنه خصص للمارستان بالمدينة أطباء وممرضين وفراشين كما زود بالأدوية والأدوات ويصرف للعاملين مرتبات شهرية[6].

٢- الكيمياء

عمل بعض أفراد الأسر العلمية في المدينة في الكيمياء، فمثلاً من أسرة المطري تحدثت بعض المصادر أن الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المطري قد عمل بالكيمياء، فكان في الأصل فقيهاً صوفياً، عارفاً بعلم الصوفية، وربما دفعه تفكيره في دقائق الأمور إلى البحث في الكمياء والاهتمام بها[7].

(١) نصيحة، ورقة ٨٤ ل أ، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٤٨، السخاوي، التحفة، ٣/ ٥٦٠- ٥٦١ .

(٢) السخاوي، التحفة، ١/ ٥٠٠ .

(٣) كان موجوداً سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م، ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٣ ل أ- ب .

(٤) كان موجوداً سنة ٨٩٩هـ/ ١٤٩٣م، السخاوي، الضوء، ٨/ ١٦٦- ١٦٧، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٧٤.

(٥) كان موجوداً في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، السخاوي، التحفة، ٣/ ٢٤٥ .

(٦) راشد سعد راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين (د. ط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م). ص ١١٢- ١١٥.

(٧) توفي سنة ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م، ابن حجر، إنباء، ٧/ ٣٦٥، السخاوي، الضوء، ١/ ٣٣٣، السخاوي، التحفة، ١/ ١٨٤، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٧/ ١٥٤.

وممن كانت له اهتمامات ببعض العلوم أبو علي الحسن بن فرخوص التلمساني المغربي السابق الذكر، الذي أخذ كما يذكر ابن فرحون[1] من كل علم بطرف وبينها علم الكيمياء.

وبرهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن حسين بن حسن بن قاسم المدني الشافعي الذي اشتغل بالكيمياء، لكنه لم يحقق نتائج من عمله[2].

٣- الرياضيات

هي من العلوم التي ازدهرت في المدينة في تلك الفترة، وبرع فيها بعض العلماء وطلبة العلم؛ لما لها من فائدة في حياة الإنسان وبخاصة الحساب. فمن أبرز من امتاز بهذا العلم محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المالكي، المعروف بالوانوغي، فكان ضمن ما اهتم به علوم الحساب والجبر والمقابلة[3].

أما أحمد بن يونس القسطنطيني المغربي المالكي، فقد وصف بأنه كان إماماً في الحساب والمنطق[4].

ومع أواخر العصر المملوكي، وأوائل العصر العثماني، برز عبد العزيز المغربي المكناسي؛ الذي كان مهتماً بعلوم مختلفة، بينها الرياضيات التي ألف فيها كتاب «نزهة الألباب في الحساب»[5].

(١) نصيحة، ورقة ٦٩ ل أ، وانظر أيضاً، السخاوي، التحفة، ٢٤٥/٣.

(٢) توفي سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م، السخاوي، الضوء، ٥٧/١- ٥٨، السخاوي، التحفة، ١٢٢/١.

(٣) توفي سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م، الفاسي، العقد، ٣٠٩/١، ابن حجر، إنباء، ٢٣٩/٧، السخاوي، التحفة، ٤٧٩/٣، السخاوي، الضوء، ٤/٧، القرافي، توشيح الديباج، ص ١٧٣، بابا التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٤٨٥.

(٤) توفي ٨٧٨هـ/ ١٤٧٣م، السخاوي، الضوء، ٢٥٢/٢- ٢٥٣، السخاوي، التحفة، ٢٧٤/١- ٢٧٦.

(٥) توفي سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م الغزي، الكواكب، ١٦٩/٢، ابن عماد الحنبلي، شذرات، ٣٤٢/٨.

٤ - الفلك

يعد الفلك أقل العلوم ممارسة في المدينة في تلك الفترة، فمن بين من اهتم بالفلك محمد بن علي بن يحيى بن علي الأندلسي الغرناطي، وصف بأنه كان «عارفاً بالنحو وعلم الفلك»[١].

و - المكتبات أو خزائن الكتب

باعتبار أن المسجد النبوي يعد مركزاً علمياً هاماً للحركة العلمية، فقد وجدت فيه عدد من خزائن الكتب؛ التي أوقفت من قبل الوجهاء والعلماء والصالحين، وجد بعضها في العصر المملوكي، ويعود البعض الآخر للعصر الأيوبي، فقد أشار ابن جبير[٢] إلى وجود «خزانتين كبيرتين محتويتين على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك» كذلك أشار الرحالة ابن رشيد[٣] إلى وجود عدد من خزائن الكتب داخل الحرم النبوي الشريف.

ومن بين من أوقف كتباً في المسجد النبوي، إبراهيم بن رجب بن حماد العاري السلماني الشافعي الذي كانت له كتب نفيسة وقفها بالمسجد النبوي»[٤].

كما نالت المدارس الموجودة بالمدينة نصيبها من وقف الكتب فيها، فقد أوقف محيي الدين بن زكريا الحوراني خزانة عظيمة من الكتب بالمدرسة الشهابية[٥].

(١) توفي سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٥م، الفاسي، العقد، ٢/٢١٨- ٢١٩، ابن حجر، الدرر، ٤/ ٢١٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٦٨٤.

(٢) الرحلة، ص ١٧١.

(٣) ملء العيبة، ٥/ ٣٤- ٣٥.

(٤) توفي ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧١ ل أ، ابن حجر، الدرر، ١/ ٨٢ السخاوي، التحفة، ١/ ١١٣- ١١٤.

(٥) توفي سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٧ ل أ، الفاسي، العقد، ٧/ ٤٣٥.

ز - الموارد المالية للعلماء وطلبة العلم :

يشكل النشاط العلمي في المدينة جزءاً أساسياً من الحياة العامة لأهل المدينة والوافدين إليها، وقد اتضح لدينا أن المجاورين هم الركيزة الأساسية لذلك النشاط، وقد تفرغ البعض منهم للعلم، وقام البعض الآخر بمارسة وظيفة، أو مهنة تدر عليه دخلاً للإنفاق على شؤونه، وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الموارد المالية لهذه الفئة تأتي من:

- الأوقاف، والهبات، والصدقات، والوصايا.
- الوظائف، والمهن.

١ - الأوقاف، والهبات، والصدقات ، والوصايا.

تشكل هذه القنوات من الموارد، أهمية أساسية للإنفاق على المساجد وبخاصة الحرم النبوي، والمدارس والأربطة، التي أمر بها سلاطين المماليك ووزراؤهم.

ففيما يتعلق بالأوقاف التي أوقفها سلاطين المماليك على الحرم فقد أنقسمت إلى أقسام ثلاثة.

١- أوقاف يستغل ريعها للصرف المباشر والمستمر على عمارة وموظفي الحرم والعاملين به.

٢- أوقاف تستغل ريعها في الخدمات العامة في المدينة.

٣- أوقاف يستغل ريعها لإصلاح الطرق التي يسلكها الحجاج وتأمينها من اللصوص وقطاع الطرق[١].

---

(١) عبد اللطيف إبراهيم، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة (دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، الجزء الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ص ٢٥١، راشد القطحاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان ص ٣١.

والنوع الأول هو الذي يهمنا، لأنه يركز على الدروس المختلفة التي كانت موجودة بالمسجد النبوي، وأنواع العلماء، ومخصصات كل منهم سنوياً؛ ومنها وثيقة السلطان المملوكي الأشرف شعبان[1] التي تنص على:

- تعيين ستة من القراء الحافظين لكتاب الله تعالى، وخصص لهم مبلغ ألف وثمانمائة درهم راتباً سنوياً.

- وقارئ الجمعة وراتبه سبعمائة وعشرون درهماً سنوياً.

- والمادح وراتبه ثلاثمائة وستون درهماً سنوياً.

- ومدرس الحديث وراتبه ألف ومائتا درهم سنوياً.

- ومدرسو المذاهب الأربعة، مدرس الشافعية والحنفية والمالكية ألف ومائتا درهم سنوياً لكل منهم، أما مدرس الحنابلة فيصرف له سبعمائة وعشرون درهماً سنوياً.

والمؤدب لعشرة من أيتام المسلمين وراتبه سبعمائة وعشرون درهماً.

- وهناك شخص وظيفته أقرب للوعظ والإرشاد يسمى متصدر العلم ومرتبه السنوى خمسمائة درهماً سنوياً.

كما يصرف لطلبة العلم نفقة سنوية[2].

كما شكلت المساهمات الأخرى من الأغنياء وأهل الخير مورداً هاماً لتلك المؤسسات التعليمية؛ فممن أنفق على بعض الأربطة بالمدينة عبدالعزيز بن عبدالسلام الزرندي (ت ٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م)، كانت له ثروة أنفقها في أعمال

(١) السلطان الأشرف شعبان حكم بين (٧٦٤- ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣- ١٣٧٧م) المقريزي، السلوك، ٣/ ٨٣- ٢٨٢، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية ١/ ١٧٣.

(٢) راشد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان ص ١١٧- ١٢٠.

الخيـر، فكانت لديه مـزرعة حيـث خصص لكل رباط بالمدينة عـائد نخلة من نخيل مزرعته(١).

أمـا المدارس، فقـد أوقف إبراهيم العـريان الرومي (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م) نخلاً عـلى المدرسة الشـيرازية(٢). ومن الأوقاف على المدرسـة الشهـابية نخل يسمى المملوكي أو البـصة، وكان عائد النخل المذكـور في أحد الأعوام (أوائل القرن الثامن الهجري) مائتين وثمانين صاعاً، أعطي منها محمدُ بن فرحون (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م) وجمـاعته من الطلبـة المالكية في المدرسـة الشهابيـة ثمانين صاعاً، وأخذ السراج قاضي المدينة وطلبة الشافعية بالمدرسة الباقي(٣).

أما الوصايا فهي ما يوصي به الشخص في حـياته وتنفذ بعد وفاته ومنها ما أوصى به رجل لعبد الله بن فـرحون من مال لشراء نخيـلات تكون وقفاً على رباط السـبيل(٤). ويفهـم من ذلك أن عائد إنتـاج تلك النخـيلات من التـمر، يـوزع على ساكني الرباط، أو يمكن بيع بعض إنتاج النخيل من التمور وصرف عائدها على الرباط.

وقد تختص بعض الوصايـا بأصحاب مذاهب معينة، فمـثلاً أوصى يعقوب الشـريف التونسي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) «بخـمـسمـائة دينار لوقف يشتـرى بالمدينة»، يصرف ريعه على من في المدرسة الشهابية من المالكية والشافعية. وقد فسر ابن فرحـون هذا الإجراء من جانب يعقوب الشريف بأن المدرسـة الشهابية مستـقرة ولم تتعرض للتـغيير. كـما أن المذهبين الشافعي والمالكي كـانا مذهبي

(١) السخاوي، التحفة، ٣/ ٣١.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٤٧ ل ب، السخاوي، نفسه، ١/ ١٥٤.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٨ ل ب.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٨ ل ب.

الأغلبية من أهل المدينة السنة، وقد اشتملت الوقفية أيضاً على حديقة (مزرعة) تسمى غشاوة، يصرف عائدها على طلاب المدرسة[1].

٢- مهن طلبة العلم.

تعد المهن أو الحرف مورداً أساسياً لبعض طلبة العلم، فرغم أن الكثير من هؤلاء كانوا منشغلين بطلب العلم ويعيشون على ما يأتيهم من عائدات. الوقفيات، والصدقات، والوصايا، والهبات، إلا أن البعض الآخر يكون صاحب مهنة سابقة، قبل قدومه للمدينة أو اشتغاله بالعلم، أو امتهن حرفة تعينه على معيشته وقد أوضحت لنا مصادر تلك الفترة بعضاً من تلك المهن أو الحرف التي ساهمت في النشاط الاقتصادي للمدينة، ومن بينها الزراعة التي مارسها كثير من أهل المدينة والوافدين إليها ومن بينهم المجاورون من طلبة العلم، غير أنه نظراً لبعد المزارع عن المسجد النبوي، ومراكز العلم المحيطة به، فلم تشر المصادر إلا إلى القليل من طلبة العلم، الذين عملوا في الزراعة، نظراً لاهتمام تلك المصادر بالحركة العلمية بالمسجد النبوي، والمنطقة المحيطة به.

فمن طلبة العلم الذين عملوا بالزراعة أمين الله خالص البهادي الذي كان «يتعانى الفلاحة.... وكثر ماله، حتى أوقف الأوقاف، وله رباط بباب البقيع، وله عتقاء من عبيد وإماء، وغرس في الحرم»[2] وممن اشتغل بالزراعة من المجاورين جماعة من المغاربة (أوائل القرن الثامن الهجري) سكنوا رباط دكالة منهم يوسف الخولي، ومحمد المكناسي اللذان عملا في الحدائق[3].

ومن المعلوم أن النشاط الزراعي من أهم الأنشطة الاقتصادية في المدينة

(١) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٣٦ ل ب.

(٢) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٤ ل أ.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٢٥ ل أ- ب.

باعتبار أنها تضم عدداً كبيراً من المزارع، التي تحتوي على النخيل، وأنواع المحاصيل الزراعية الأخرى، لهذا فقد جذب هذا النشاط أعداداً كبيرة من العاملين من أهل المدينة والقادمين إليها.

ومن مهن طلبة العلم النساخة أي نسخ كتب العلم، فمن بين من اتخذها مهنة أساسية يتكسب من خلالها، أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسن بن عيسى المكي الأصل (٨٥١هـ/ ١٤٤٧م) الذي «تكسب بالنساخة»(١)، ونظراً لخطه الجيد، وبراعته في الحساب؛ فقد عين كاتباً على عمارة الحرم النبوي بعد وقوع الحريق به سنة ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م(٢). إلا أن بعض طلبة العلم لم يكن يتكسب من النساخة بل كان يقوم بهذا العمل احتساباً، ومنهم عبد الواحد الجزولي الذي «كان من العلماء الزهاد... مكباً على نسخ العلم عالماً بالحديث والقراءات له كتب كثيرة بخطه أوقفها وفرقها قبل موته بقليل»(٣).

ويتصل بمهنة النساخة مهنة أخرى، هي تجليد الكتب التي تحفظ الكتاب من الضياع والتلف، ومن بين من اتخذها مهنة يتكسب منها الشيخ محمد التلمساني (ت ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م) «كان من أهل الخير والصلاح مكباً على الاشتغال بالفقه... وكان يشتغل بتجليد الكتب»(٤).

كما ظهر في أسرة ابن فرحون أشخاص امتهنوا حرفة التجليد، وكانوا من طلبة العلم ومن هؤلاء علي بن محمد بن محمود بن علي بن محمد بن فرحون وابنه عبد العزيز وقد عرف كلاهما بالمجلد(٥).

---

(١) السخاوي، الضوء، ١/ ٢٩٠.

(٢) السخاوي، التحفة، ١/١٧٧.

(٣) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٢٥ ل ب، ٢٦ ل أ، الفيروزآبادي. المغانم (خ) ورقة ٢٤٩ ل ب، ٢٥٠ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣/ ١٠٤.

(٤) ابن فرحون، نصيحة ورقة ٧٥ ل ب، ٧٦ ل أ.

(٥) السخاوي، الضوء، ٤/ ٢٢٤، السخاوي، التحفة، ٣/ ٣٣- ٣٤.

ومن المهن التي عمل بها بعض طلبة العلم العطارة، وقد تخصصت أسر في هذه المهنة، وتوارثها الأبناء عن الآباء، ومنها أسرة المشاكير، والشكليين، وكلا الأسرتين قدمتا من مكة.

أما أسرة المشاكير فينتسبون إلى قبيلة قريش، جدهم اسمه مشكور خلف ذربة، أقبل بعضهم على العلم، واهتم به، وكان غالبهم يمتهنون العطارة[١]. أما أسرة الشكليين التي كان كثير من أفرادها طلبة علم امتهن بعضهم الزراعة والتجارة مثل جد الأسرة مسعود الكجار، وابنه مبارك[٢]، كما امتهن ابنه الآخر عليان العطارة[٣]، وكان غالبهم يمتهن العطارة[٤].

ومن المهن التي تتصل بالعلم بصفة مباشرة معلم الكتاب والمؤدب، وقد تحدثنا سابقاً عن عدد من هؤلاء المعلمين والمؤدبين الذين يأخذ بعضهم أجراً نقدياً أو عينياً على عمله.

ومن المهن الأخرى التي امتهنها طلبة العلم وتحدثنا عن بعضها في الفصل الثاني مهنة الدهان[٥]، والنجارة[٦]، والخرازة[٧] والسقاية[٨]، والبناء[٩]،

(١) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٧٧ ل ب، السخاوي، التحفة، ١/٢٦٩، ٤٩٩، ٢/٥٤٢، ٣/٢٦٢.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧ ل ب.

(٣) ابن فرحون، نفسه، ٧٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ٣٠/ ٢١١.

(٤) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٨ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/٢٦٩، ٤٩٩.

(٥) ابن فرحون، نصيحة، ورقة ٣٥ ل أ، ٦٦ ل أ، السخاوي، التحفة، ٢/٢٢٨.

(٦) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٢ ل ب، ٧٠ ل ب، ٧١ ل أ، ابن حجر، الدرر، ١/٥٠٣.

(٧) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٦ ل أ- ب، السخاوي، التحفة، ٣/٣٥٤، ٤٥٩.

(٨) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٧٧ ل أ- ب، ابن حجر، إنباء، ٤/١٦٣- ١٦٤، السخاوي، التحفة، ١/ ١٩٠- ١٩١.

(٩) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٨٣ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/١٥٢، ١٥٥.

والخياطة[1]، والحطابة[2]، والقبان[3] ومن المهن الغريبة ملقن الأموات الذي يحضر عندما يكون الإنسان في النزع الأخير ليلقنه الشهادة وقد احترف هذه المهنة من أسرة الشكليين السابقة الذكر أحمد بن محمد بن إبراهيم بن مبارك بن مسعود الشكيلي (ت ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م)[4].

ومن طلبة العلم من امتهن حرفة حفار القبور ومن بينهم أبو قميص وغيره[5].

* * *

---

(١) ابن فرحون نفسه، ورقة، ٧٦ ل أ.

(٢) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٤٨ ل أ، ٦٩ ل أ، السخاوي، التحفة، ١/ ١٥٣- ١٥٤.

(٣) «القبان الذي يوزن به» ابن منظور، لسان، ٣/ ١٤- ١٥، السخاوي، التحفة، ١/ ٢٣١، ٥٢٩.

(٤) السخاوي، التحفة، ١/ ٢٢١، السخاوي، الضوء، ٢/ ٧٠.

(٥) ابن فرحون، نفسه، ورقة ٥٥ ل أ- ب.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة عن المدينة في العصر المملوكي، نستطيع أن نوجز أبرز النتائج التي توصلت إليها.

- لقد كشفت الدراسة أن الصراعات بين أشراف المدينة الحسينيين للسيطرة على السلطة في المدينة، كانت سمة بارزة صبغت الأوضاع السياسية في تلك الفترة، وأدت إلى تعاقب عدد كبير من الأمراء على حكم المدينة خلال العصر المملوكي، وقد استغلت السلطنة المملوكية تلك الصراعات للتدخل في التعيين والعزل، مما كان له أثره في توطيد النفوذ المملوكي في المدينة، كما قام سلاطين المماليك أواخر العصر المملوكي، وفي محاولة لضبط الأوضاع في المدينة تم تفويض أمير مكة باعتباره نائب السلطنة في الحجاز، بتعيين أمير المدينة، مما أدى إلى تعاظم نفوذه في الحجاز. ويظهر أن السلطنة المملوكية أرادت أن تتخلص من عبء التدخل في الصراعات بين أشراف المدينة. كما نلاحظ أن القبائل لم يكن لها تأثير حاسم في تغيير الأوضاع السياسية في المدينة، فيما عدا بعض الإشارات حول دعم قدمته بعض القبائل لأفراد من أشراف المدينة في ظل الصراع على السلطة والنفوذ، فيما تركزت جهود كثير من القبائل على مهاجمة المدينة ونهبها مستغله حالة الضعف والتشتت في أحوال المدينة السياسية التي حدثت في بعض فترات الدراسة.

- لم يكن النشاط الاقتصادي واضح المعالم خلال تلك الفترة نظراً لمحدودية

النشاط الزراعي، بل إن المدينة تعتمد في كثير من حاجاتها الغذائية على مصادر تموين خارجي من مصر والشام وغيرها. أما النشاط التجاري فلم يكن واسعاً حيث ركز المماليك اهتمامهم على مكة وجدة وخاصة بعد محاولتهم دعم ميناء جدة لتحويل التجارة إليه من ميناء عدن من أجل الحصول على الضرائب، وإنعاش حركة التجارة في موانئ السلطنة المملوكية، وقد أدى ذلك إلى انتعاش النشاط التجاري في مكة لقربها من بندر جدة، فيما كان النشاط التجاري في المدينة محدوداً، إلا أن بروز ميناء ينبع في بعض فترات العصر المملوكي كبديل لميناء جدة، قد أدى إلى تحسن في الأحوال الاقتصادية للمدينة التي يعد ميناء ينبع منفذها التجاري البحري وبخاصة مع مصر واليمن. لقد كان لتحويل التجار لتجارتهم من ميناء جدة إلى ينبع نتيجة لزيادة الضرائب عليهم أثر إيجابي على المدينة، فيما انعكس سلباً على حركة التجارة في مكة وجدة، إلا أن هذا الازدهار الذي شهده ميناء ينبع كان محدوداً ولفترات قصيرة. واستمر النشاط التجاري في المدينة قائماً على التبادل التجاري المحلي وإن تعداه في بعض الفترات إلى تبادل السلع مع أقاليم أخرى داخل وخارج الجزيرة العربية. كما نلاحظ أن بعض أوجه النشاط الاقتصادي ومنها الحركة التجارية يرتبط إلى حد كبير بدعم السلطنة المملوكية، والأوقاف، والمساعدات التي تقدم للحرم النبوي ولأهل المدينة.

مهما يكن من أمر، فإنه يمكن القول: إن النشاط التجاري في المدينة أقل منه في مكة لارتباط مكة بمواسم الحج، وقربها من جدة التي كانت عصب الحركة التجارية في البحر الأحمر.

- شهدت المدينة تحولات في بنيتها الاجتماعية خلال العصر المملوكي من

خلال توافد أعـداد كبيرة من العلماء وطلبـة العلم ومن يرغب في الجوار بها، وقد قدم هؤلاء من أقاليم مختلفة، مما كان له أثـره على التركيبة السكانية، كما كان لـتلك الهجـرات آثارها الاجتـماعيـة المختلـفة في العـادات، والتقالـيد، والطعام، واللباس، كما أثر التمازج بين العناصـر الوافدة والمستقرة، في طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الشرائح الاجتماعية المختلفة. ومما يلاحظ أن العناصر الوافدة خلال تلك الفـترة كانت لها الغلبة العـددية على العناصر الأصلية؛ مما كان له أثره على الأوضاع العامة في المدينة.

- شهـد العصر المملوكي تحـولات واضحة فـي المذاهب الدينية، فقـد كان المذهب الإمامي الاثنا عشـري من مذاهب الشيعة، مـقدماً على أهل السنة في المدينة خـلال العصـرين الفاطمي والأيـوبي، غيـر أن نفوذه بدأ بالضـعف مع استـقرار أعداد كبـيرة من الوافدين القـادمين من أقطار مختلفـة والمنتمين لأهل السنة. ومع قـيام السلطنة المملوكـية بنزع الوظائف الديـنية؛ وبخاصـة الخطابة والقضـاء من الشيعـة وتقليدها لأئمة وقـضاة من أهل السنة، أصبـحت الغلبة للسنة فازداد عددهم نتيجة لازديـاد نفوذ السلطنة المملوكية السنية، مع العلـم أن كثيـراً من أمراء المدينة وأشرافها كانـوا على المذهب الإمامي إلا أن تأثير هؤلاء على أوضاع المدينة المذهبية قد ضعف مع مجيء السلطنة المملوكية ودعمها لأهل السنة، مما كان له أثر كـبير في هذا التحول. وكـان لمشيخة الخـدام في المسجد النبوي ـ التـي تتلقى دعماً مـباشراً مـن السلطنة المملوكيـة ـ أثر على الأوضاع العـامة في المدينة، وبخـاصة في دعم المجـاورين ضد أمـراء المدينة وفي بعض أوجه الحيـاة الاقتصادية والاجتمـاعية ومن الأمور البارزة في تلك الفـترة تعدد الأئمة في المسـجد النبوي، كـما تعدد القضـاة أيضاً فأصـبح لكل أهل مذهب

قاضٍ واستحدث منصب قاضي القضاة.

- نظراً للأهمية الدينية للمدينة فقد استقطبت أعداداً كبيرة من الوافدين الراغبين في طلب العلم بها، فاستقر بعضهم وساهموا مساهمة فعالة في إثراء الحركة العلمية، مما كان له نتائج طيبة على النشاط العلمي وتنوعه، فبرز في تلك الفترة عدد كبير من العلماء في مختلف فنون المعرفة العلمية، وازدهرت حركة التأليف، ولم يقتصر تأثير هذا النشاط العلمي على المدينة وحدها بل تعداها إلى أقاليم وأقطار أخرى بفضل الرحلات العلمية، وانتقال المعرفة والمؤلفات العلمية من المدينة وإليها، مما جعلها مركزاً علمياً هاماً.

ومن النتائج البارزة لتلك الحركة بروز عدد من الأسر العلمية التي ساهمت بنصيب وافر في النشاط العلمي، فظهر عدد من الفقهاء من داخل تلك الأسر، تولوا وظائف دينية متعددة مثل القضاء والخطابة والإمامة والحسبة، فأصبحت كثير من تلك الوظائف يعين عليها أشخاص من أهل المدينة، بعد أن كان يرسل من مصر أوائل العصر المملوكي من يتولى تلك المناصب؛ لافتقار المدينة للمؤهلين لتوليها. كما شهد بداية العصر المملوكي إرسال عدد من الأشخاص لتولي الأذان في المسجد النبوي لافتقاره إلى من هو على دراية بالمواقيت.

* * *

* *

*

الملحقات

١- شجرة نسب أشراف المدينة.

٢- قائمة أمراء المدينة منذ القرن الرابع الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي.

٣- قائمة أمراء المدينة في العصر المملوكي.

٤- نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية.

٥- نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية.

٦- قائمة شيوخ خدام الحرم النبوي في العصر المملوكي.

٧ - نسخة تفويض مشيخة خدام الحرم الشريف النبوي.

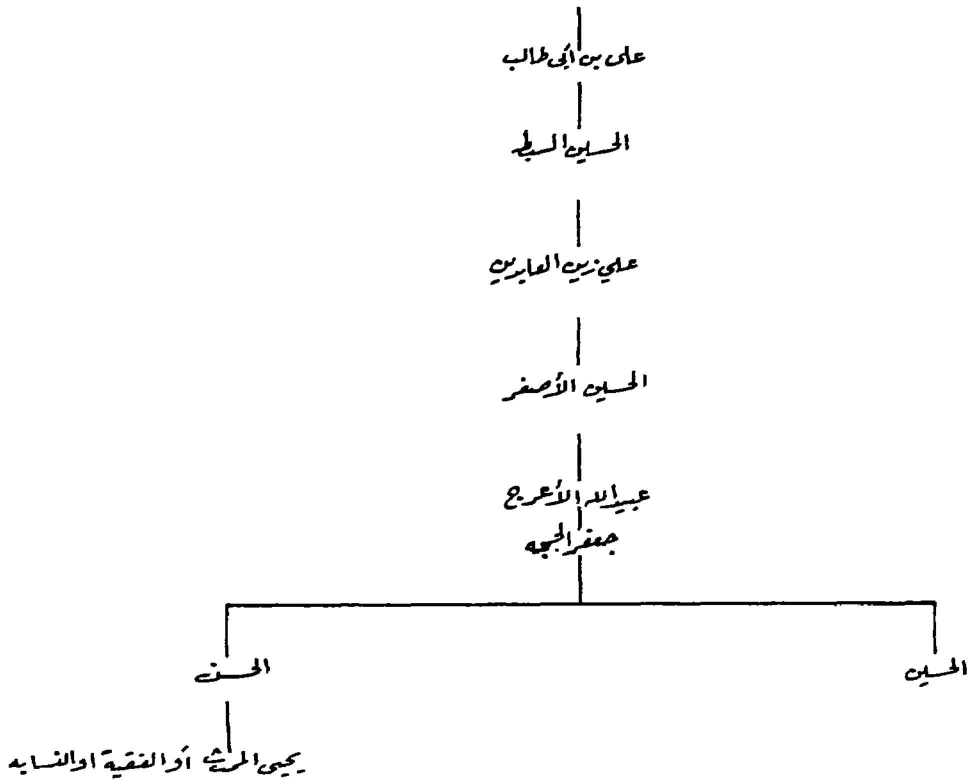
٨- الخرائط.

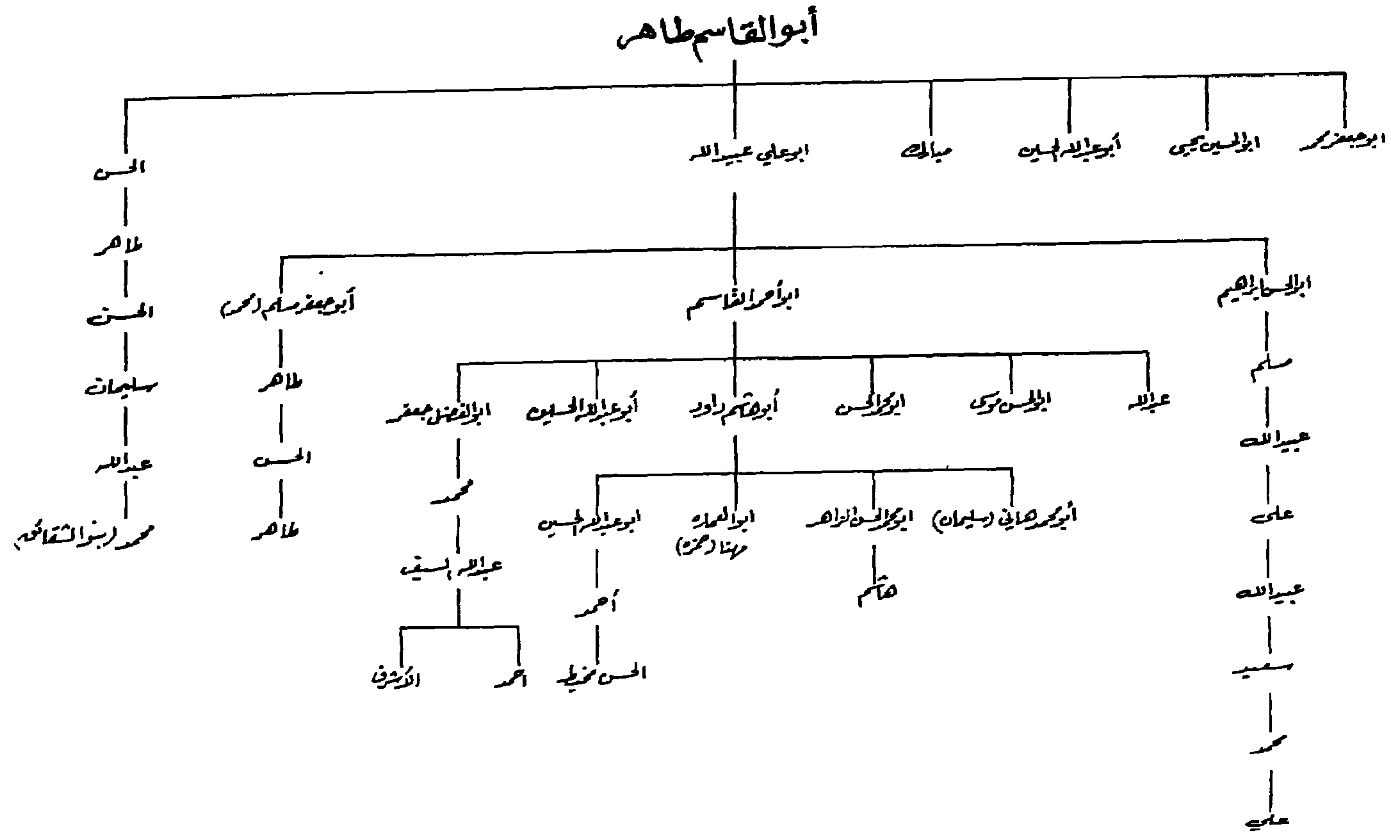
شكل رقم(١) خريطة تقريبية للكيانات السياسية في جزيرة العرب في العصر المملوكي.

شكل رقم(٢) التطور التاريخي للنمو العمراني للمدينة المنورة.

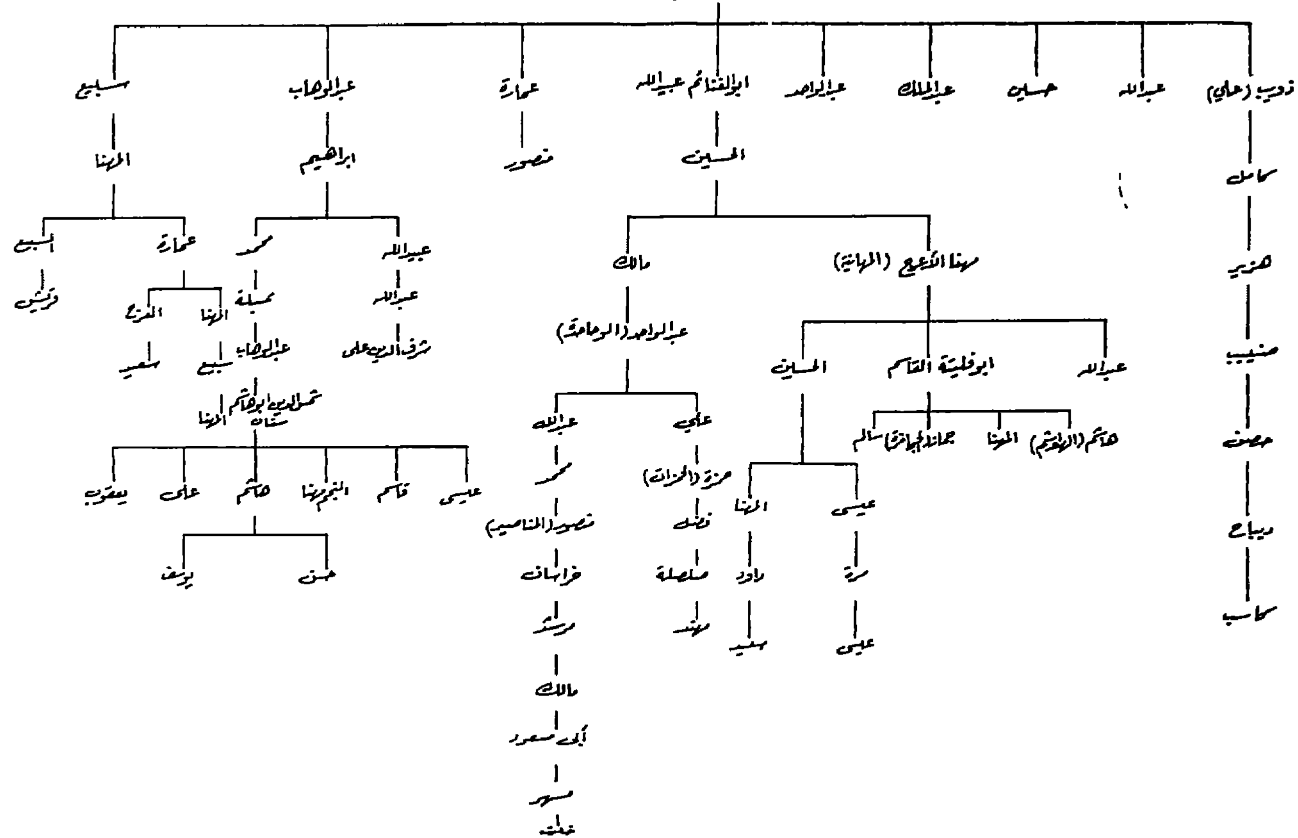
شكل رقم(٣) المعالم العمرانية في المدينة المنورة.

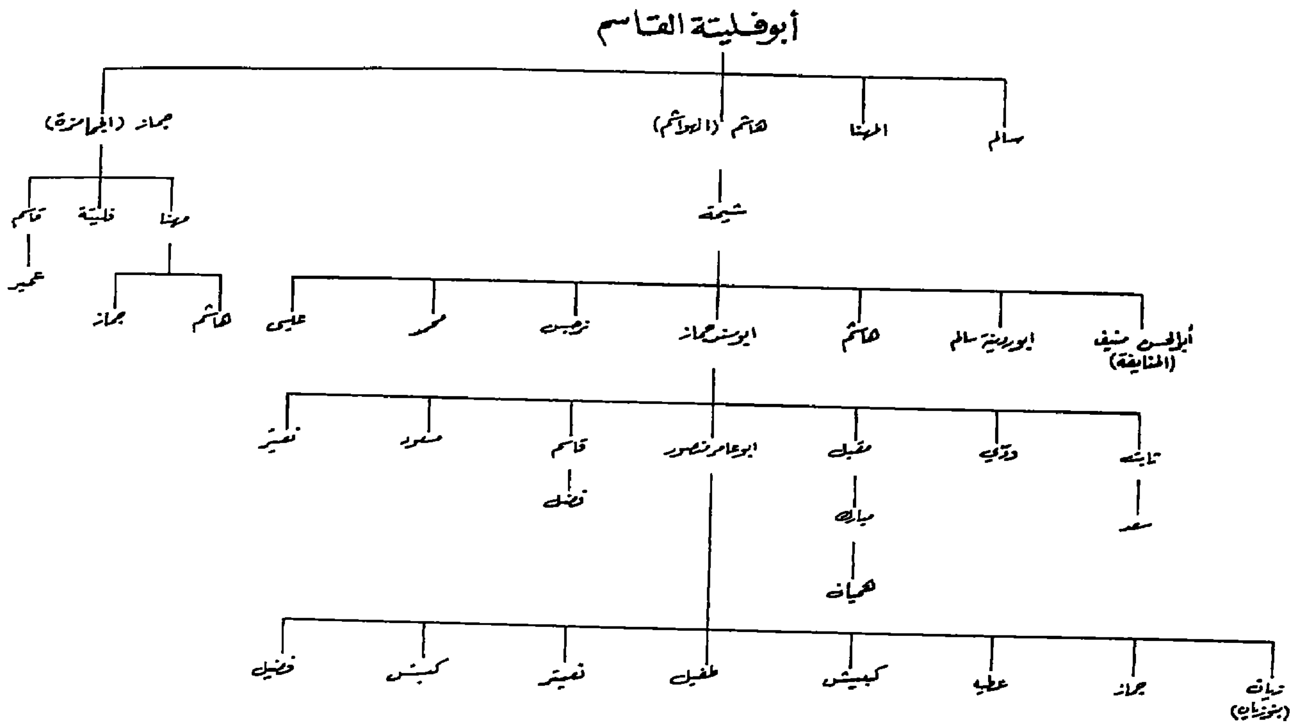
نسب أشراف المدينة

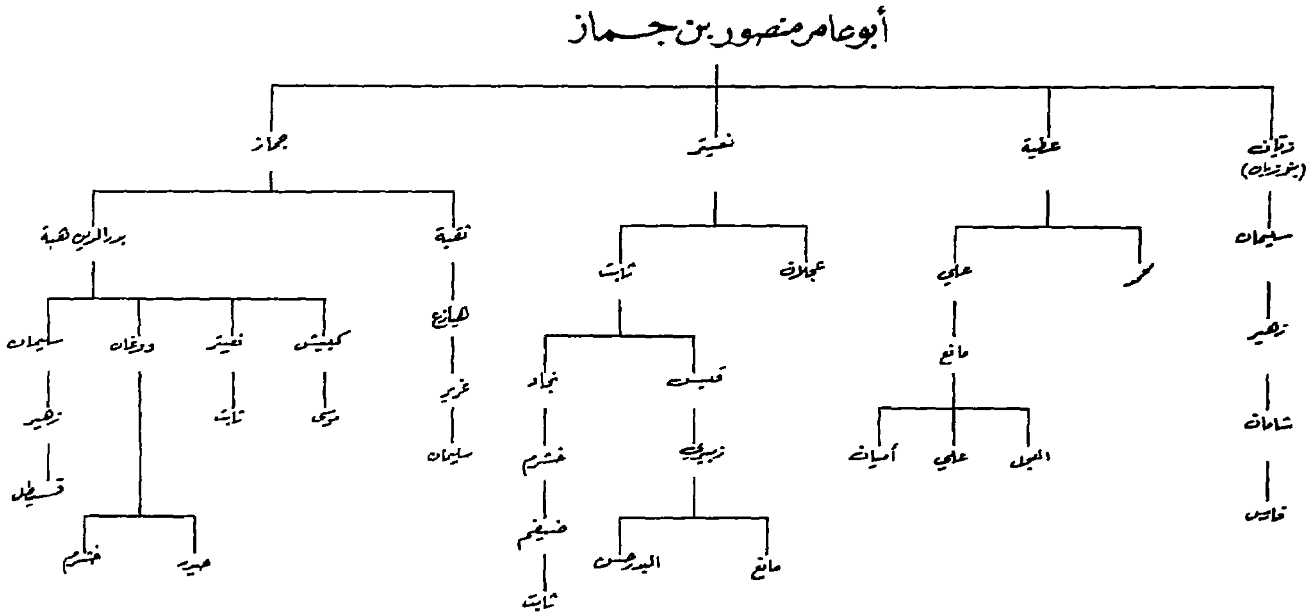



أبوالقاسم طاهر
ابو جعفر محمد
ابو الحسين يحيى
أبو عبد الله الحسين
ابو علي عبيد الله
الحسن
طاهر
الحسن
سليمان
عبد الله
محمد
أبو جعفر مسلم (محمد)
طاهر
الحسن
طاهر
ابو محمد القاسم
ابو اسحاق ابراهيم
مسلم
عبيد الله
علي
عبيد الله
سعيد
محمد
علي
عبد الله
ابو الحسن موسى
ابو محمد الحسن
أبو هاشم داود
أبو عبد الله الحسين
ابو الفضل جعفر
محمد
عبد الله
الأشرف
أحمد
أبو عبد الله الحسين
أحمد
الحسن
(حمزة)
هاشم
(سليمان)

أبو العمارة مهنا (حمزة)




أبوفلية القاسم
سالم
المهنا
هاشم (الهواشم)
جماز (الجمامزة)
شيحة
مهنا
فلية
قاسم
عمير
هاشم
جماز
أبو الحسن منيف
(المنايفة)
أبو رزينة سالم
هاشم
أبو سند جماز
نرجس
محمد
علي
ثابت
وداي
مقبل
أبو عامر منصور
قاسم
مسعود
نصير
سعد
مبارك
فضل
هيان
زيان
(بنو زيان)
جماز
عطيه
كبيش
طفيل
نصير
كبش
فضيل



أبو عامر منصور بن جماز
زيان
(بنو زيان)
سليمان
زهير
شامان
عطية
علي
مانع
علي
نعير
عجلان
ثابت
قيس
نجاد
خشرم
ضيغم
ثابت
مانع
جماز
ثقبة
عزيز
سليمان
كبيش
موسى
نعير
ثابت
ودعان
خشرم
سليمان
زهير

ملحق رقم (٢)

قائمة أمراء المدينة منذ القرن الرابع الهجري حتى نهاية العصر الأيوبي

١- طاهر بن مسلم بن عبيد الله بن طاهر (٣٦٦- ٣٨١هـ/ ٩٧٦- ٩٩١م).

٢- الحسن بن طاهر بن مسلم بن عبيد الله بن طاهر (٣٨١- ٣٩٧هـ/ ٩٩١- ١٠٠٦م).

٣- داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر (٣٩٧- ....هـ/ ١١٠٦- .....م).

٤- أبو عمارة المهنا بن داود بن قاسم (ت ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م).

٥- أبو الغنائم عبيد الله بن المهنا بن داود بن قاسم (ت ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م).

٧- الحسين بن المهنا بن داود (كان أميراً للمدينة سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م).

٨- مهنا بن الحسين بن المهنا بن داود.

٩- مالك بن الحسين بن المهنا بن داود.

١٠- منصور بن عمارة بن المهنا بن داود (ت ٤٩٥هـ/ ١١٠١م).

١١- ابن المنصور بن عمارة بن المهنا بن داود.

١٢- الحسين مخيط بن أحمد بن الحسين بن داود.

١٣- الحسين بن المهنا بن بن الحسين بن المهنا.

١٤- قاسم بن المهنا بن الحسين المهنا (٥٥٨- ٥٨٣هـ/ ١١٦٢- ١١٨٧م).

١٥- جمار بن قاسم بن المهنا بن الحسين بن المهنا (٥٨٣ هـ -... هـ/ ١١٨٧- ....م).

١٦- سالم بن قاسم بن المهنا (ت ٦١٢هـ/ ١٢١٥م).

١٧- قاسم بن جماز بن قاسم بن المهنا (٦١٢- ٦٢٤هـ/ ١٢١٥- ١٢٢٦م).

١٨- شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٢٤- ٦٤٧هـ/ ١٢٢٦- ١٢٤٩م) للمرة الأولى.

١٩- عمير بن قاسم بن جماز بن قاسم بن المهنا (٦٣٩- ...هـ ١٢٤١- ......م).

٢٠- شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (... - ٦٤٧هـ / .... ١٢٤٩م) للمرة الثانية.

٢١- عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٤٧- ٦٤٩هـ/ ١٢٤٩- ١٢٥١م).

ملحق رقم (٣)

قائمة أمراء المدينة في العصر المملوكي

١- عيسى بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٤٧ - ٦٤٩هـ/ ١٢٤٩-١٢٥١م).

٢- منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٤٩- ٦٥٩هـ/ ١٢٥١-١٢٦٠م).

٣- جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٦٥٩- ٧٠٠هـ/ ١٢٦٠-١٣٠٠م).

٤- منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن المهنا (٧٠٠-٧٢٥هـ/ ١٣٠٠- ١٣٢٤م).

٥- كبيش بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم (٧٢٥-٧٢٨هـ/ ١٣٢٤- ١٣٢٧م).

٦- طفيل بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم (٧٢٨- ٧٣٦هـ/ ١٣٢٧- ١٣٣٥م) للمرة الأولى.

٧- ودّي بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم (٧٣٦- ٧٤٣هـ/ ١٣٣٥-١٣٤٢م).

٨- طفيل بن منصور بن جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم (٧٤٣- ٧٥٠هـ/ ١٣٤٢- ١٣٤٩م) للمرة الثانية.

٩- هميان بنت مبارك بن مقبل بن جماز بن شيحة (٧٥٠- ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩-١٣٤٩م).

١٠- سعد بن ثابت بن جماز بن شيحة بن هاشم (٧٥٠- ٧٥٢هـ/ ١٣٤٩-١٣٥١م).

١١- فضل بن قاسم بن قاسم بن جـماز بن شيحة (٧٥٢- ٧٥٤هـ/ ١٣٥١- ١٣٥٣م).

١٢- مانع بن علي بن مسعود بن جـماز بن شيحة (٧٥٤- ٧٥٩هـ/ ١٣٥٣- ١٣٥٧م).

١٣- جماز بن منصور بن جماز بن شيحة (٧٥٩- ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧- ١٣٥٧م).

١٤- عطية بن منصور بن جماز بن شيحة (٧٦٠- ٧٧٣هـ/ ١٣٥٨- ١٣٧١م) للمرة الأولى.

١٥- هبة بن جماز بن منصور بن جـماز بن شيحة (٧٧٣- ٧٨٣هـ/ ١٣٧١- ١٣٨١م).

١٦- عطية بن منصور بن جماز بن شيحة (٧٨٣- ٧٨٣هـ/ ١٣٨١- ١٣٨١م) للمرة الثانية.

١٧ - جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة (٧٨٣- ٧٨٥هـ/ ١٣٨١- ١٣٨٣م) للمرة الأولى.

١٨- محمد بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة (٧٨٥- ٧٨٩هـ/ ١٣٨٣- ١٣٧٨م) مشاركاً لابن عمه جماز.

١٩- جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة)٧٨٩- ٧٩٨هـ/ ١٣٨٧- ١٣٩٥م) للمرة الثانية.

٢٠- ثابت بن نعير بن منصور بن جـماز بن شيحة (٧٩٨- ٨٠٥هـ/ ١٣٩٥- ١٤٠٢م) للمرة الأولى.

٢١- جماز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة (٨٠٥- ٨١١هـ/ ١٤٠٢- ١٤٠٨م) للمرة الثالثة.

٢٢- ثابت بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة (٨١١- ٨١١هـ/ ١٤٠٨- ١٤٠٨م) للمرة الثانية.

٢٣- عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة (٨١١- ٨١٦هـ/ ١٤٠٨- ١٤١٣م) للمرة الأولى.

٢٤- غرير بن هيازع بن ثقبه بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة (٨١٦- ٨٢٤هـ/ ١٤١٣- ١٤٢١م).

٢٥- عجلان بن نعير بن منصور بن جماز بن شيحة (٨٢٤- ٨٢٩هـ/ ١٤٢١- ١٤٢٥م) للمرة الثانية.

٢٦- ثابت بن نعير بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة (٨٢٩- ٨٢٩هـ/ ١٤٢٥- ١٤٢٥م).

٢٧- خشرم بن دوغان بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة (٨٢٩- ٨٣١هـ/ ١٤٢٥- ١٤٢٧م).

٢٨- مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة (٨٣١- ٨٣٩هـ/ ١٤٢٧- ١٤٣٥م).

٢٩- أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة (٨٣٩- ٨٤٢هـ/ ١٤٣٥- ١٤٣٨م) للمرة الأولى.

٣٠- سليمان بن غرير بن هيازع بن هبة بن جماز (٨٤٢- ٨٤٦هـ/ ١٤٣٨- ١٤٤٢م).

٣١- موسى بن كبيش بن هبة بن جماز بن منصور (٨٤٦- ٨٤٧هـ/ ١٤٤٢- ١٤٤٣م).

٣٢- ضيغم بن خشرم بن نجاد بن ثابت بن نعير بن منصور (٨٤٧- ٨٥٠هـ/ ١٤٤٣- ١٤٤٦م) للمرة الأولى.

٣٣- أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصـور بن جماز بن شيحة (٨٥٠- ٨٥٥هـ/ ١٤٤٦- ١٤٥١م) للمرة الثانية.

٣٤- زبيري بن قـيس بن ثابت بن نعيـر بن منصور (٨٥٥- ٨٦٥هـ/ ١٤٥١- ١٤٦٠م) للمرة الأولى .

٣٥- زهيـر بن سليمـان بن هبـة بن بن جـماز بن منصـور (٨٦٥- ٨٦٩هـ/ ١٤٦٠- ١٤٦٤م) للمرة الأولى .

٣٦- ضيـغم بن خشرم بن نجـاد بن ثابت بن نعيـر بن منصور (٨٦٩- ٨٦٩/ ١٤٦٤- ١٤٦٤م) للمرة الثانية.

٣٧- زهير بن سليمان بن هبة بن جماز بن منصور (٨٦٩- ٨٧٠هـ/ ١٤٦٤- ١٤٦٥م) للمرة الثانية .

٣٨- ضيغم بن خشرم بن نجـاد بن ثابت بن نعير بن منصور (٨٧٠- ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥- ١٤٦٥م) للمرة الثالثة.

٣٩- زهير بن سليمان بن هبة بن جماز بن منصور (٨٧٠- ٨٧٤هـ/ ١٤٦٥- ١٤٦٩م) للمرة الثالثة.

٤٠- ضيغم بن خشرم بن نجـاد بن ثابت بن نعير بن منصور (٨٧٤- ٨٨٣هـ/ ١٤٦٩- ١٤٧٨م) للمرة الرابعة.

٤١- قسيطل بن زهير بن سليمان بن هبة بن جماز (٨٨٣- ٨٨٧هـ/ ١٤٧٨- ١٤٨٢م).

٤٢- زبيري بن قـيس بن ثابت بن نعيـر بن منصور (٨٨٧- ٨٨٨هـ/ ١٤٨٢- ١٤٨٣م) للمرة الثانية.

٤٣- حسن بن زبيـري بن قيس بن ثابت بن نعـير (٨٨٨- ٩٠١هـ/ ١٤٨٣- ١٤٩٥م).

٤٤- فـارس بن شـامان بن زهيـر بن سليـمـان بن زيان بن منصـور (٩٠١- ٩٠١هـ/ ١٤٩٥- ١٤٩٥م).

٤٥- مانـع بن زبيري بن قـيس بن ثابت بن نعيـر (٩٠١- ٩١٩هـ/ ١٤٩٥- ١٥١٣م).

٤٦- ثابت بن ضـيـغم بن خـشـرم بـن نجـاد بن ثابت (٩١٩- ..... هـ/ ١٥١٣- ......م).

ملحق رقم (٤)

نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية

كتب به للأمير بدر الدين ودي بن جماز، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله[١].

الحمد لله، الذي صرف أمرنا في أشرف البقاع. وشرف قدرنا بملك ما انعقد على فضله الإجماع. وعرف أهل طيبة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من ثنيات الوداع. وأمدها بوادي صغر للتحبب، وإلا فهو وادٍ متدفق الأجراع.

نحمده على نعمه التي أغنت مهابط الوحي عن ارتقاب البرد اللماع، وارتقاء النظر مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة نحمد من الضلال ما شاع، ومن البدع ما استطار له في كل أفق شعاع؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أشرف من أنفت به حمية الامتناع، وألفت بنا سنته أن ترعى الأهل ولا تراع، وعصفت ريحها بمن يمالي دينه فمال إلى الابتداع. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، الذين ليس في فضل أحد منهم نزاع. وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن الاهتمام بكل جهة على قدر شرفها، وعلى حسب الدرة اليمنة كرامة صدفها؛ والكمامة بثمرها، والغمامة بمطرها، والهالة بما يجلو الدجى من قمرها؛ والمدينة الشريفة النبوية، لولا ساكنها، ما عاجت إليها الركائب، ولا ناجت حدائقها غر السحائب، ولا وقفت بتأرج شذا الروضة الغناء بها الجنائب، ولا بكَى متيم دمن العقيق بمثله من دم ذائب؛ ولا هاج إليها البرق متألقاً، ولا هام صب فيها بظبيات سلع والنقا؛ ولكنها مثوى النبوة ترابها،

(١) القلقشندي، صبح، ٢/٢٤٢- ٢٤٧.

ومهوى الرسل جنابها، ومأوى كتاب الله الفسيح رحابها. دار الهجرة التي تعالت شمس الشريعة بأفقها، وتوالت سحب الهدى من بين أبيرقها. وهي ثانية مكة المعظمة، في فضلها إلا ما ذهب إليه في تفضيلها على مكة مالك بن أنس، ومنها أنبعثت للهدى نوارة كل نور، وشعاع كل قبس. وكانت لنبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أبقى دارية، وأعلى سماء حوت ثلاثة أقمار منه ومن جارية.

ولما كان بها لبعض الولاة من الشيعة مقام، ولهم فيها تحامل، لا يجوز معه من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام؛ حتى إنه فيما مضى، لما كثر منهم على بغض الصاحبين ـ رضي الله عنهما ـ الإصرار، واشرأبوا في التظاهر بسببهما إلى هتك الأستار؛ دب من النار في هذا الحرم الشريف ما تعلق بكل جدار، وأبت لها حمية الغضب إلا أن يطهر ما سنته أيدي الروافض بالنار؛ فلما اتصل بنا الآن أن منهم بقايا وجدوا آباءهم على أمة، واقتدوا بهم في مذهب الإمامية بما لا أراده الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولئك الأئمة، وحضر المجلس العالي الأميري، الأصلي، الكبيرى العادلي، المجاهدي، المؤيدي، الزعيمي، المقدمي، الذخري، الكافلي، الشريفي، الحسيبي، النسيبي، الأوحدي، البدري: عز الإسلام والمسلمين، شرف الأمراء في العالمين، نصرة الغزاة والمجاهدين؛ جمال العترة الطاهرة، جلال الأسرة الزاهرة، طراز العصابة العلوية، كوكب الذرية الدرية، خلاصة البقية النبوية، ظهير الملوك والسلاطين، نسيب أمير المؤمنين؛ ودي بن جماز الحسيني ـ أدام الله تعالى نعمته ـ بين أيدينا الشريفة بمحضر قضاة القضاة الأربعة الحكام، ونذمم بأن مع طلوع بدره المنير، لا تبقى ظلامة ولا ظلام؛ وتكفل لأهل السنة بما أشهدنا الله به عليه ومن

حضــر، وتلقى بإظهــار فضل التــرتيب كمــا هم عليه: النبي صلى الله عــليه وسلم، ثم أبو بكر، ثم عمر، فما اختصهما الله بجواره، إلا ليثبت لهما على غيــرهما إفضــالا، وليجعل قــبورهما في مــعرفة أقــربهم منه درجة مــثالا؛ لما تواترت به الأحاديث الشــريفة في فــضائلهمــا، مما هو شفاء الصــدور، ووفاء بعهده إذ يقــول: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضــوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور»؛ فلم يســعنا إلا أن نجعل له منا تقليداً يمحو بحده ما حدث مــن أحداث البدع، ويجدد من عهد جــده نبينا صلى الله عليه وسلم في معــرفة حق أصحــابه رضي الله عنهم ما شــرع؛ وثوقاً بأنه من بيت كان أول هذا الدين الحنيف من دله، ومبدأ هذا الحق الظاهر مــا أثلته ومثلته في سلفه الشــريف بأقارب متــصله، وأنه هو المورث من الفخــار ما ورثه عن آبائه الكرام، المحدث عن كرم الجدود بما لا يحقر له جوار أو يخفر ذمام المشرق من الأسرة العلوية بدراً تماما، المحــدق به من الكواكب العلوية ما يظن به أباً تَسَمَّى وابنًا تســامى، المنتخب من آباء صــدق أحسن في ديارهم الصنيع، وحــفظ من حسهم الكريم مــا أوشك أن يضيع، واستضاء بلامعــة من هذى سلفه السابق، وهامعة من ذى ما يــرويه السحاب عن الجود والبرق عن المهارق، تهــتز بمقدمه المدينة سرورا، وتفتــر رباها منه نسب كان على نسبه مــن شمس الضحى نورا؛ ويتباشــر ما بين لا بتيها بمن يحمي حــماها، ويحيى محيــاها، وتتشوق منه ربا كل ثنية إلى ابن جلاها، وطلاع ثناياها؛ مع مالا يجحد من زن له فيها من أبيه حق الوراثه، وأنه لما كــان هذا ثاني المسجــدين احتــاج إلى ثاني اثنين تعظيــماً للواحد، وفــراراً من الثلاثة، ليكون هو ومن فــيها الآن بمنزلة يدين، كلتــاهما تقبل الأخرى، وأذنين، كلتاهما توعى درا؛ وعينين، ما منهما إلا ما يدرك أمرا بعيداً، وفرقدين لا يصلح أن يكون أحدهمــا فريداً، وقمرين لا يغلب أحدهما

على الآخر في التسمية بالقمرين، وعُمَرَين، وكفى شرفاً أن لا يوجد في الفضل ثالث للعمرين.

فرسم بالأمر الشريف العالي، المولَوي، السلطاني، الملكي، الفلاني - زاد الله به المواطن شرفاً، وزاد به البواطن الشريفة حبا وشغفا - أن يفوض إليه نصف الإمرة بالمدينة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، شريكاً للأمير سيف الدين ابن أخيه، ورسيلا معه فيما يليه، ولكل منهما حق لا يكاد الآخر يخفيه، هذا له بر الولد، وهذا له حرمة الوالد؛ لأن ابن الأخ ولد وعم الرجل صنو أبيه؛ فتقسم الإمرة بينهما نصفين، وتوسم جباه الكتب الصادرة عنهما لهما باسمين.

والوصايا، تمد من عنانها، وتعد من أعيانها؛ فأولها تقوى الله؛ فإنها من شعائر القلوب، وبشائر الغيوب، وأمائر نجاح كل مطلوب، والاعتصام بالشريعة الشريفة: فإنها الحبل الممدود، والجبل الذي كم دونه من عقبة كؤود؛ والانتهاء إلى ما نص عليه الكتاب والسنة والإجماع، وقص جناح من مال به الهوى إلى مجاذبة الاطماع، وتلقى وفد الله الزائر بما ألفه نزيل هذا الحمى من كرامة الملتقى، وتوقى المذمة فإنها دنس لا يحمد مثله نقاء هذا النقا؛ ونعني بالمذمة ما نسب إلى الروافض من البدع التي لا تطهرها غر السحاب، ولا يستبيح معها لدخول المسجد الطاهر من قنع بمقامه حوله التيمم بالتراب، ولا يدع أحداً من هذه الفرقة الضالة بعلي ولا يعيره بما يكون به مثله، ولا يشبه قلبه من محبة أهل البيت - سلام الله عليهم - بإناء امتلأ ماء ولم تبق فيه فضله.

ولا يظن جاهل منهم؛ أن علياً - كرم الله وجهه - كان على أحد من

الصاحبين معاتبا أو عائباً، أو أنه تأول في خلافتهما معتقدا، أن أحدا منهم غاصب؛ فما تأخر عن البيعة الأولى قليلاً، إلا لاشتغاله بما دهمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم من المصائب، وإلا فقد اتخذ أم ولد من سبي أبي بكر رضي الله عنه لا كما يدعيه كل كاذب، وقد تزوج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنته أم كلثوم وأقام بأمره الحدود وناب عنه وهو غائب، فيكف من عادية هؤلاء الروافض الأشرار ما سيصلون في المواقفة بناره، وسيصلون إلى الموافقة على ما طار من شراره؛ ولا يدع للإمامية إماماً يقتدي به منهم قوم شرار، ولا قاضيا يقضي بينهم: فإنه إنما يقطع لمن قضى له أو عليه، قطعة من نار، ولا عالماً يرفع له علم؛ ولا يفتح لهم بفتوى على مذاهبهم فم، حتى ولا ما يتحرك به في فم الدواة القلم.

وليطهر هذا المسجد الشريف من دنسهم، وليمط ما يحمله أديم مجلدات التصانيف من تجسهم؛ وسكان هذا الحرم الشريف، ومن أقام عندهم من المجاورين، أو خالطهم من زمر المقيمين والسائرين؛ يحسن لأمورهم الكفاله، ولا يتعرض لأحد منهم بما يؤذي نفسه ولا يناله؛ فهم في جوار نبينا صلى الله عليه وسلم وفي شفاعته، وكل منهم نزيل حرمه، ومكثر سواد جماعته. وحقهم واجب على كل مسلم، فكيف على حامي ذلك الحمى، بل من له إلى نسبه الشريف منتهى.

واصحب رفيقك بالمعروف؛ فإنكما مفترقان، والسعيد من لا يذم بعد فراقه، ومستبقان إلى كل مورد لا يدري أيكما المجد في سباقه، ومتفقان على فرد أمر، وأفضلكما من داوم صاحبه على إرفاقه، وصحبه على وفاقه.

وأما ما للمدينة الشريفة من تهائم، ونجود مضافة إليها، ومستظلة يجدرها أو

متـقدمة في الصـحراء عليهـا، فهي ومن فيـها: إما أن توجـد بقلوبهم، فهم أعوان، وإما أن تنفـر، فهم أشبه شيء بالإبل، إذا نفرت تعـلق بذنب كل بعير شيطان؛ فأقربهما إلى المصلحة تقريبهم، وتأليفهم بما يقرب به بعيدهم، ويزداد قربى قريبهم. والركبان التي تتقد بهم جـمرات الأصباح والعشايا، ويعتقد كل في معاجـه إلي المدينة الشريفة أن تمام الحج أن تقف عليهـا المطايا؛ فهم هجود سـرًى، ووفود قِـرًى، وركـود في أفق الرحـال خلعت مـقلهم على النجـوم الكبرى؛ ومعـهم المحامل الشريفة التي هي ملتف شعابهم، ومـحتف ركابهم؛ وهي من أسرتنا المرفوعة، ومبرتنا المشروعة، فعظم شعائر حرماتها، وقبل أمام منابرها الممثلة مراكز راياتها، وأكـرم من جاء في خفارتها، ومن جال في دجى الليل لا يستضـئ إلا بما يبدو من إشارتها، وقد أشـهدنا عليك من هو لك يوم القيامة خصيم، وأنت وشأنك فيما أنت به عليم.

وباقي الوصايا أنت لها متفطن، وعليها متوطن، وما ينتفع الشريف بحسبه، إن لم يكن عمله بحسـبه، ولا يرتفع بنسبه، إن لم يتـجنب مكان نسبه، والله تعـالى يمتع بدوام شـرفـه، ولا يضيع لـه أجر حـال عـمله الصـالح وسلف، والاعتماد. . . .

ملحق رقم (٥)

نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية[١] :

الحمد لله الذي جعل الشرع الشريف دافق السيول، وفي طيبة له الأصول؛ ومنها نشأ وتفرع فَلَهُ في البسيطة عموم وشمول، وكل قطر به مشمول، وكل ربع به مأهول، وتأكد به المعلوم وتبدد به المجهول، وزالت الشرائع كلها وهو إلى آخر الدهور لا يزول.

نحمده، وحمده يطول. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عمرت [بها] طلول، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف رسول، وأكرم مأمول، وأفضل مسئول، ومهند من سيوف الله مسلول، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبي الفروع والأصول، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن الشرع الشريف، معدنه في أرض ثوى خير الرسل فيها، ومنشأه في بلد ملائكة الله تحميها، فلا يلي أقضية الناس، إلا من طالت ذوائب علمه، وأشرقت ثواقب فهمه، وبنيت على الأصول قواعد حكمه، وتحلى بالورع، فَتَجلّى في سماء النجاة كنجمه.

ولما كان فلان، هو الذي جذبته السعادة إلى مقرها، وخطبته المغفرة إلى موطن برها، وأهلته الأقدار إلى جوار مَن هو خاتم الأنبياء وفاتح أمرها؛ وأصبح للحكم في المدينة، مستحقاً لما فيه من سكينة، وتحصيل للعلم ومن حصل العلم كان الله معينه.

فلذلك رسم أن يستقر........

فليباشر منصباً جليلاً في محل جليل، وليعلم أن سائر الأمصار تغبطه

(١) القلقشندي، صبح، ١٢/٢٥٨- ٢٦٠ .

وتحسده، وما لمنصـبه من مثيل، أين يوجد سواه في كل سـبيل؟ من قاض هو بسيد المرسلين نزيل، ومن يصبح ويمسى جاراً للمستجير في المحشر الطويل.

فاحكم بين ناس طيـبة بورع وتأصيل، وتحـرير في تحريم وتحليل، واتق الله في كل فعل وقيـل، واستقم على الحق، حذار أن تميل، فـصاحب الشرع أنت منه قريب، والنبي من الله قريب وحبـيب وخليل، وماذا عسى أن نوصيه وهو بحمد الله تعالى كالنهار لا يحتاج إلى دليل.

وأما الخطابة: فارق درج منبرها، وشنف الأسماع من ألفاظك بدرها؛ وحرر ما تقـوله من المواعظ؛ فإن صـاحب العظات يسمعك، وتواضـع لله؛ فإن الله يرفعك. وهذا المرقى فقد قام فيه النبي الأمي سيد الثقلين، ومن بعده الخليفتان قـرتا العين، ومن بعـدهمـا عـثـمـان ذو النورين، وعلى رضـي الله عنه أبو الحسنين؛ فاخشع، عند المطلع، واصدع، بما ينفع؛ وانظر لما تقوله؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك يسمع، وقاضي المديـنة وخطيبها يرجو أن ليس للشيطان فيه مطمع، والله تعالى يجوز له الخير ويجمع؛ بمنه وكرمه!.

ملحق رقم (٦)

قائمة شيوخ خدام الحرم النبوي في العصر المملوكي

١- بدر الدين الشهابي (كان موجوداً سنة ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م).

٢- جمال الدين محسن الصالحي (كان موجوداً سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م).

٣- عزيز الدولة الملقب بالعزيزي (ت ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م).

٤- شبل الدولة كافور الصيفي الحريري (٧١١هـ/ ١٣١١م).

٥- سعد الدين الزاهدي (عزل سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م).

٦- ظهير الدين الأشرفي (ت ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م).

٧- ناصر الدين نصر عطاء الله (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م).

٨- عز الدين دينار بن عبد الله الطواشي (٧٢٧هـ - ٧٤٧هـ/ ١٣٢٦- ١٣٤٦م).

٩-شرف الدين مختص الديري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

١٠- شرف الدين الخارنداري (عزل سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م).

١١- عز الدين دينار للمرة الثانية (٧٥٢- ٧٥٨هـ/ ١٣٥١- ١٣٥٦م).

١٢- افتخار الدين ياقوت بن عبد الله الرسولي (٧٥٨- ٧٨١هـ/ ١٣٥٦- ١٣٧٩م).

١٣- شبل الدولة كافور الزمردي (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م).

١٤- زين الدين مقبل الرومي (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م).

١٥- بشير التيمي (ت ٨٣٩هـ/ ١٤٢٥م).

١٦- المولوي ابن قاسم المحلي (٨٣٩- ٨٤٢هـ/ ١٤٣٥- ١٤٣٨م).

١٧- فارس الأشرف الرومي (عزل سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٣٥- ١٤٣٨م).

١٨- قيرقر الركني (ت ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م).

١٩- جوهر التمرازي (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م).

٢٠- فارس الأشرف الرومي للمرة الثانية.

٢١- سرور الطربائي.

٢٢- مرجان التقوي.

٢٣- إينال الاسحاقي.

٢٤- قاسم الفقيه.

٢٥- الأمير شـجاع الدين شاهين الجمالي الـرومي الشجاعي (٨٩١- ٨٩٥هـ/ ١٤٨٦- ١٤٨٩م).

٢٦- إياس الأشرفي الأبيض (٨٩٥- ٨٩٦هـ/ ١٤٨٩- ١٤٩٠م).

٢٧- شاهين الجمالي الرومي الشجاعي للمرة الثانية (٨٩٦- ٩١٣هـ/ ١٤٩٠- ١٥٠٧م).

٢٨- الأمير سنقر (٩١٣- ٩٢٩هـ/ ١٥٠٧- ١٥٢٢م).

ملحق رقم (٧)

نسخة تفويض مشيخة خدام الحرم الشريف النبوي

وقد جرت العادة أن يكون له خادم من الخصيان المعبر عنهم بالطواشية، يعين لذلك من الأبواب السلطانية، ويكتب له توقيع في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء مفتتحاً بـ «الحمد لله».

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك[1]:

الحمد لله الذي شرف بخدمة سيد الرسل الأقدار ، وفضل بالتأهل للدخول في عداد كرمه بخدمته من اختاره لذلك من المهاجرين والأنصار، وجعل الاختصاص بمجاورة حرمه أفضل غاية، تهجر لبلوغها الأوطان والأوطار، وعجل لمن حل بمسجده الشريف تبوؤ أشرف روضة تردها البصائر وترودها الأبصار.

نحمده على نعمه، التي أكملها خدمة نبيه الكريم، وأفضلها التوفر على مصالح مجاورى قبر رسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وأجملها الانتظام في سلك خدمة حرمه [لأنها] بمنزلة واسطة العقد الكريم النظيم؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مزلفة لديه، مقربة إليه، مدخرة ليوم العرض عليه. ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف مَن بعث إلى الأسود والأحمر، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقمر؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين فخرت الحبشة بهجرتهم الأولى، ونجا النجاشي بما اتخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى، وأولى بلاد لهم من السبق إلى خدمة أشرف الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل ما

(١) القلقشندي، صبح، ١٢/ ٢٦٠-٢٦٢.

يولى، صلاة لا يزال شهابها مرشداً، وذكـرها في الآفاق مغيراً ومنجداً، وسلم تسليماً كثيراً.

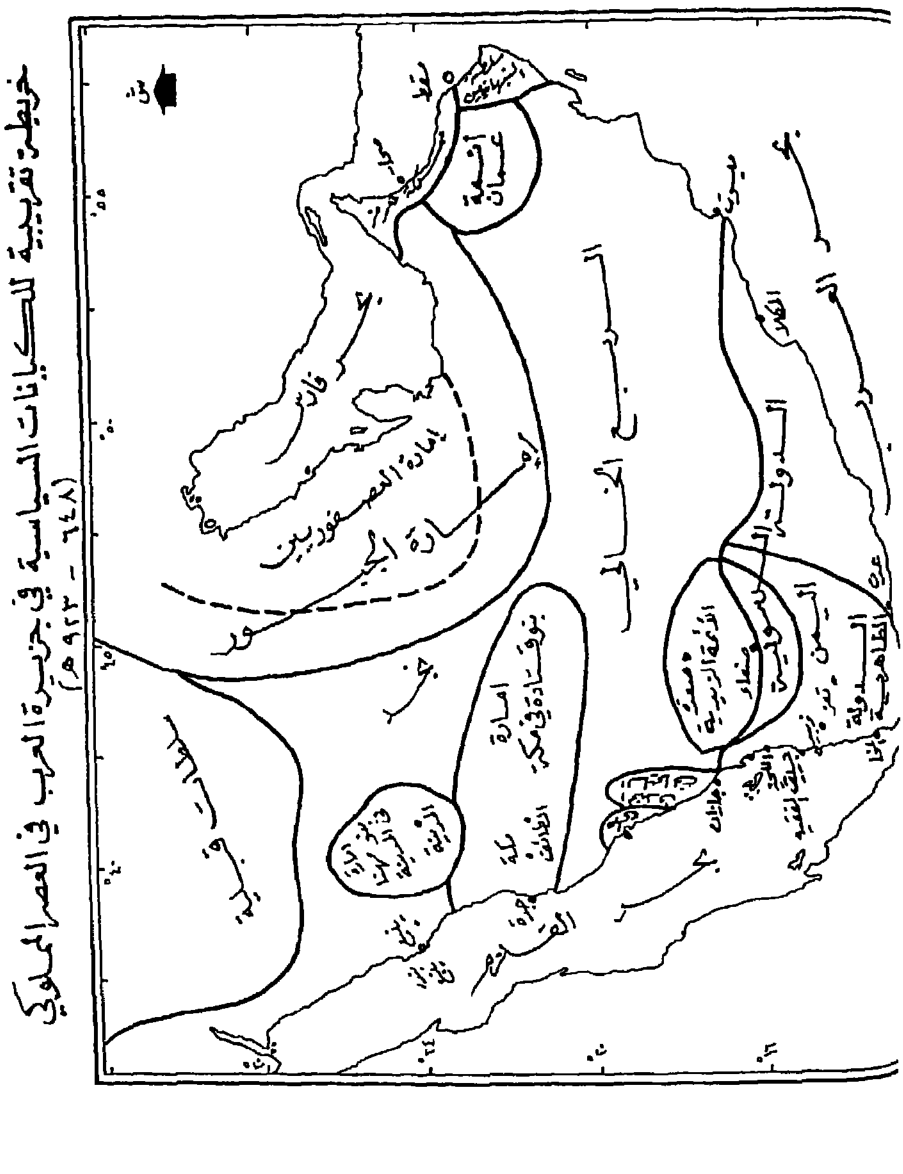
وبعد ، فإن أولى ما أعتمد عليـه من أفاء الله عليه من نعمه ، وأفاض عليه من مـلابس كرمه، وشـرف قدره بأن أهـله لخدمة سـيد الرسـل، بل لمشيـخة حرمه، وخصه برتبة، هي أسنى الرتب الفاخرة، وأجمع الوظائف لشرف الدنيا والآخرة - من رجـحه لذلك الدين المتين، وورعـه المكين، وزهده الذي بلغ به إلى هذه الرتبة التي سيكون بها - إن شاء الله تعالى - وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين.

ولما كان فلان، هو الـذي أدرك من خدمة سيد الرسل غـاية سوله، وزكت عند الله هجرته التي كـانت على الحقيقـة إلى الله ورسوله؛ وسلك في طريق خدمته الشريفة أحسن السلوك، وانتهت به السعادة إلى خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليـعرض بجوهرها الأعلى عن عرض خـدمة الملوك، وفاز من مجـاورة الحجـرة الشريفة، بما عظمت عـليه [به] المنه، وحل به مما بين القـبر والمنبـر في روضة من رياض الجنة، وأقـام في مقـام جبـريل، ومهـبط الوحي والتنزيل، يتفـيأ ظلال الرحمـة الوارفه، ويتـهيأ من تلك النعـمة بالعارفـة بعد العارفة - تعين أن يكون هو المحلى بعقود مشيخة ذلك الحرم، والمتولى لمصالح هذه الطائفة التي له في التقدم عليه أثبت قدم.

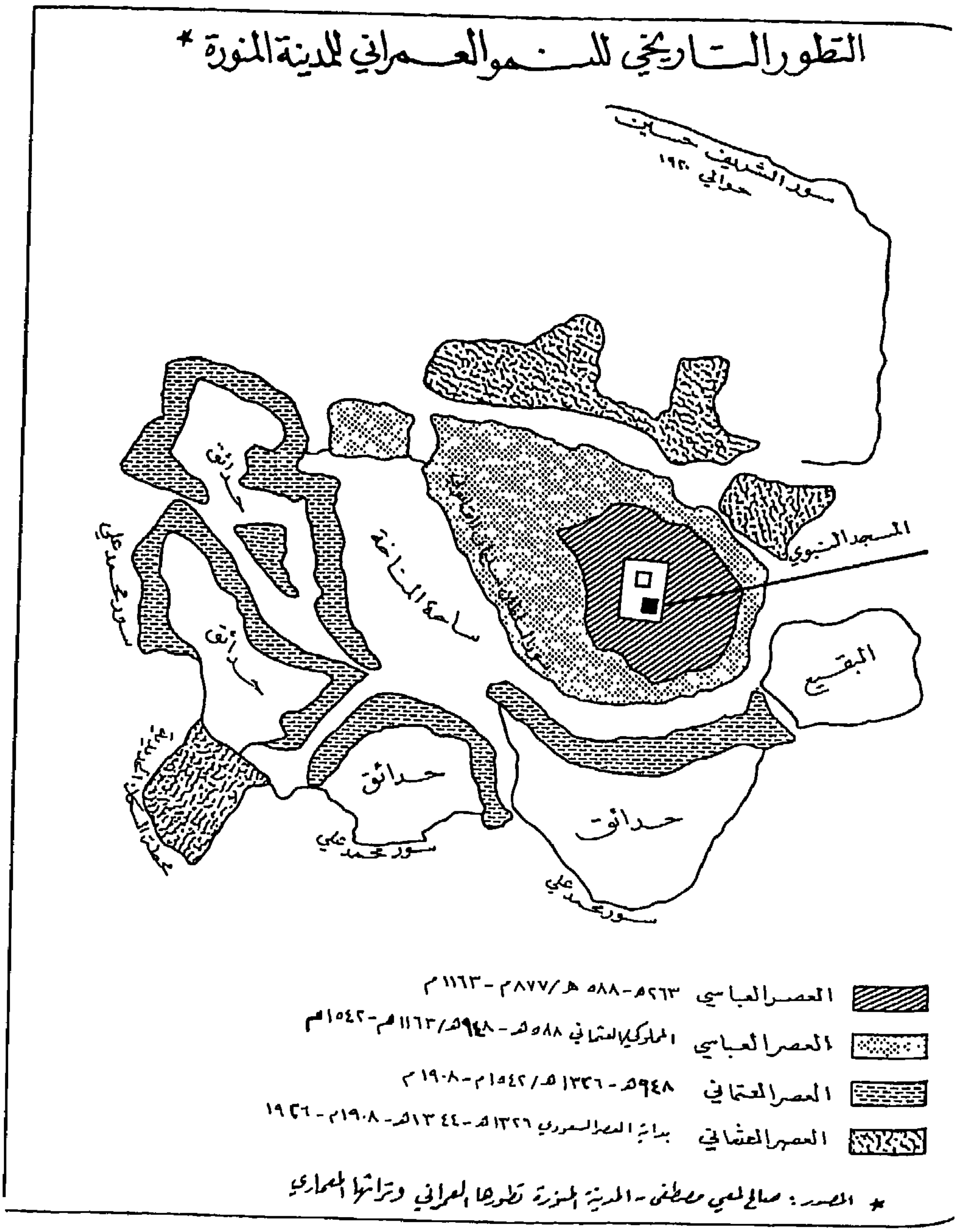
فرسم بالأمر الشريف لا زال . . . . أن تفـوض إليه المشيخة على خدام الحـرم الشريف النبـوي: للعلم بأنه العامل الورع، والكافـل الذي يعرف أدب تلك الوظيفة: من خدمة الرسـول صلى الله عليه وسلم - على ما شرع؛ والزاهد الذي أثر جوار نبيه على ما سواه، والخاشع الذي نوى بخدمته الدخول

في زمرة من خدمة في حياته: «ولكل أمرئ ما نواه».

فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائما بآدابها، مشرفا بها نفسه، التي تشبثت من خدمته الشريفة بأهدابها، سالكاً في ذلك ما يجب، محافظاً على قواعد الورع في كل ما يأتي وما يجتنب، قاصداً بذلك وجه الله، الذي لا يخيب لراج أملا، ولا يضيع أجر من أحسن عملا؛ ملزماً كلاً مِنْ طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفى، ويضاعف الحسنة الواحدة سبعين ضعفاً؛ هادياً من ضل في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل، مبديا لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هاد وأنور دليل. وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا، وتجديد القضايا، والله تعالى يسدده في القول والعمل، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل، بمنه وكرمه.


خريطة تقريبية للكيانات السياسية في جزيرة العرب في العصر المملوكي
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ)

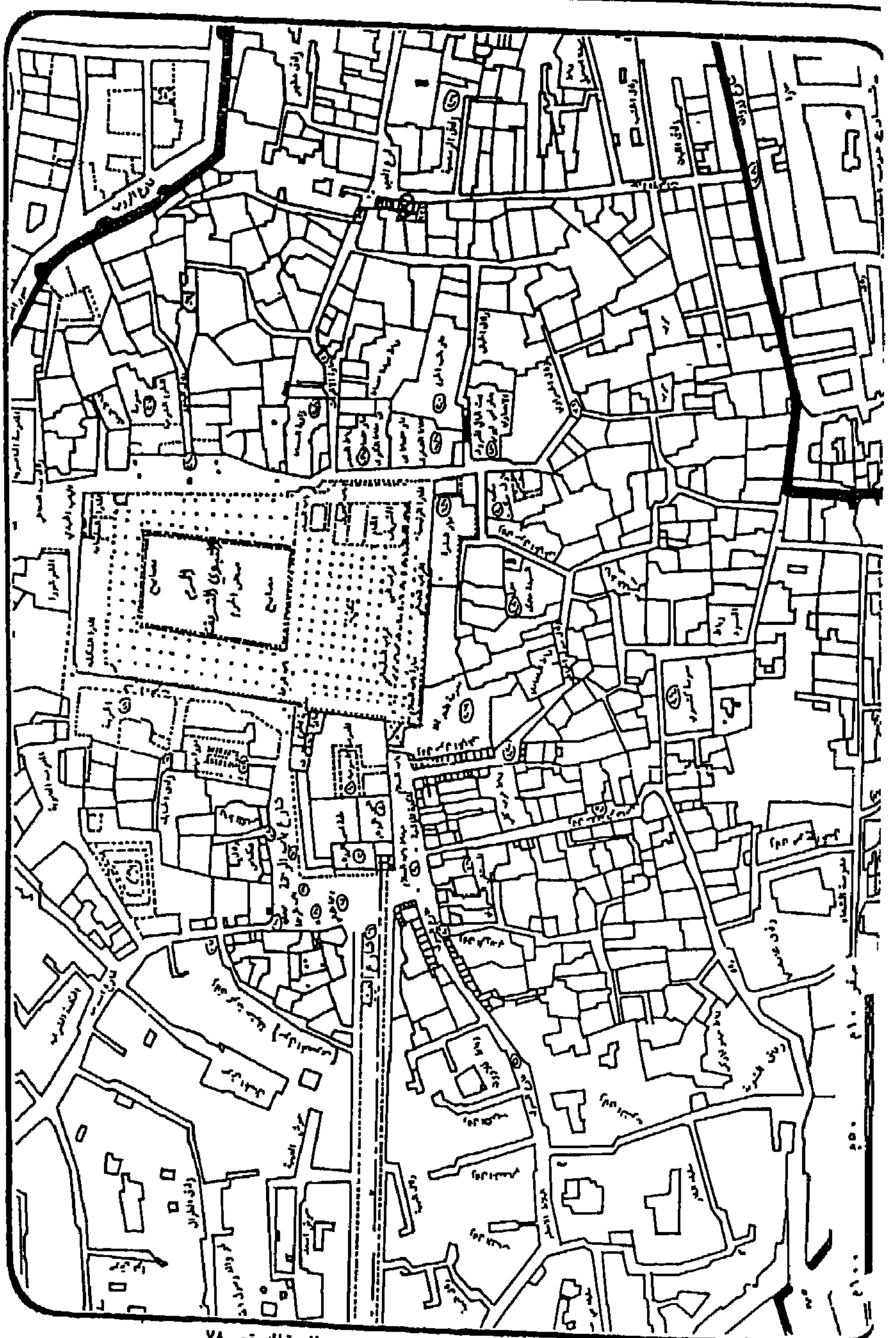
شكل رقم (١)



التطور التاريخي للنمو العمراني للمدينة المنورة *
سور الشريف حسين
حوالي ١٩٢٠
المسجد النبوي
البقيع
ساحة المناخة
حدائق
حدائق
حدائق
حدائق
سور محمد علي
سور محمد علي
العصر العباسي ٢٦٣هـ - ٥٨٨ هـ / ٨٧٧م - ١١٦٣م
العصر العباسي المملوكي العثماني ٥٨٨هـ - ٩٤٨هـ / ١١٦٣م - ١٥٤٢م
العصر العثماني ٩٤٨هـ - ١٣٢٦هـ / ١٥٤٢م - ١٩٠٨م
العصر العثماني بداية العصر السعودي ١٣٢٦هـ - ١٣٤٤هـ - ١٩٠٨م - ١٩٢٦
* المصدر: صالح لمعي مصطفى - المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري

شكل رقم (٢)

المعالم العمرانية في المدينة المنورة *



* المصدر ياسين أحمد الخياري، صور من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة ص ٧٨.

شكل رقم (٣)

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المخطوطة

ابن إياس: محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م).

(١) **نشق الأزهار في عجائب الاقطار** (مخطوطة مصورة برقم ف ١/٣٥٢، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، الرياض).

ابن شجاع: إبراهيم (كان موجوداً ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م).

(٢) **منازل الحجاز** (مخطوطة مصورة برقم ف ٨٠٩ معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) .

ابن شدقم: علي بن الحسين بن شدقم الحمزي (ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م)

(٣) **نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة** (مخطوطة مصورة برقم ٢١١٧ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية القاهرة) .

ابن ضياء : أبو البقاء محمد بن أحمد (ت ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م) .

(٤) **تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة** (مخطوطة مصورة برقم ٢٢٦ص ، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، الرياض).

الطبري : محمد بن علي بن فضل (ت ١١٧٣هـ/ ١٧٥٩م) .

(٥) **اتحاف الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن** (مخطوطة مصورة برقم ٣١٤٣، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة) .

العطار: محمد بن محمد (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م).

(٦) **منازل الحج الشريف** (مخطوطة مصورة برقم ف ٢/١٦٣٨، جامعة الملك سعود، الرياض).

ابن عنبه : جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م).

(٧) **بحر الأنساب** (مخطوطة مصورة برقم ١٤١٨ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة).

الفاسي : تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ/١٤٣٨م).

(٨) **تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام** (مخطوطة مصورة برقم ١٣٨١٣ بدار الكتب المصرية، القاهرة).

ابن فرحون : أبو محمد عبد الله بن محمد (ت ٧٦٩هـ/١٣٦٧م) .

(٩) **نصيحة المشاور وتسلية المجاور** (مخطوطة مصورة برقم ٥ ، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، الرياض).

ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

(١٠) **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** (مخطوطة مصورة برقم ٢٧٩٧/ ٢، أحمد الثالث طوبقابوسراى، إستانبول، أصدرها فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، فرانكفورت ألمانيا، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

ابن فهد : عز الدين عبد العزيز بن عمر (ت٩٢٢هـ / ١٥١٦م) .

(١١) **بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى** (مخطوطة مصورة برقم ف ٧٣/ ١، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، الرياض).

ابن فهد : نجم الدين عمر بن محمد (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م .

(١٢) **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** (مخطوطة مصورة برقم ٣٠٣٢، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة).

الفيروز آبادى: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م).

(١٣) المغانم المطابة في معالم طابه (مخطوطة مصورة برقم ٣١٩، قسم المخطوطات، جامعة الملك عبد العزيز، جدة).

مؤلف مجهول : (ت بعد ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م).

(١٤) سبك الذهب في علم النسب (مخطوطة مصورة برقم ١٧١٣ تاريخ، معهد إحياء المخطوطات العربية، القاهرة).

ثانياً: المصادر العربية المطبوعة

ابن الأثير : عز الدين علي بن محمد الشيباني (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

(١) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات (د. ط، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م .

(٢) الكامل في التاريخ (د. ط، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

ابن الأخوة : محمد بن محمد القرشي (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م).

(٣) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦م).

الإدريسي : أبو عبد الله محمد (٥٥٦هـ/ ١١٦٠م).

(٤) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (د. ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر د. ت).

الأدفوي : أبو كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

(٥) **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**، تحقيق سعد محمد حسن (د. ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م).

الأزرقي : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت نحو ٢٥٠هـ/ ٨٦٨م).

(٦) **أخبار مكة**، تحقيق رشدي الصالح ملحس (ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م).

الأسنوي : جمال الدين عبد الرحمن (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م).

(٧) **طبقات الشافعية**، تحقيق عبدالله الجبوري (د. ط، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

الإصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م).

(٨) **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العلا الحسيني، محمد شفيق غربال (د. ط، دار القلم، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

الأصفهاني : الفتح بن علي بن محمد البنداري (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م).

(٩) **تاريخ دولة آل سلجوق** (ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت١٩٧٨م).

الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) .

(١٠) **مقاتل الطالبيين**، تحقيق أحمد صقر (د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

الأنصاري : عبد الرحمن (ت ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م).

(١١) **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**، تحقيق محمد العروسي المطوي (د. ط ، المكتبة العتيقة، تونس ١٩٧٠م).

ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م).

(١٢) **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى (ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

ابن أيبك الدواداري: أبو بكر بن عبدالله (ت ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م).

(١٣) **كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية**، تحقيق صلاح الدين المنجد (د.ط، المعهد الألماني للآثار، القاهرة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

بابا التنبكتي : أبو العباسي أحمد باب بن أحمد (ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م).

(١٤) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق عبد الحميد عبدالله الهرامة (ط١، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٩م.

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) .

(١٥) **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار**، تحقيق طلال حرب (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

البغدادي : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م).

(١٦) **مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي (ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).

البقاعي : إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م).

(١٧) **إظهار العصر لأسرار أهل العصر** «تاريخ البقاعي»، تحقيق محمد بن سالم بن شديد العوفي (ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) .

البكري : عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) .

(١٨) **جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق ودراسة عبد الله يوسف الغنيم (د.ط، دار السلاسل ، الكويت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

(١٩) **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا (ط٣، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

البلاذري : أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

(٢٠) **أنساب الأشراف**، الجزء الأول، تحقيق محمد حميدالله (د.ط، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م).

الجزء الثالث، تحقيق محمد باقر المحمودي (د.ط، دار التعاون، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

البلوي : خالد بن عيسى (ت بعد ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م)

(٢١) **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن بن محمد السائح (د. ط، صندوق احياء التراث الإسلامي، المحمدية المغرب د. ت).

التجيبي : القاسم بن يوسف السبتي (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩).

(٢٢) **مستفاد الرحلة والاغتراب** (د.ط، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٧٥م).

ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاس يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

(٢٣) **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**، تحقيق محمد كمال عز الدين (ط١، عالم الكتب، د.م ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

(٢٤) **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقيق فهيم محمد شلتوت، جـ١ (د.ط، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٢٥) **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (د. ط، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة، القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).

التميمي : تقي الدين بن عبد القادر (ت ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م) .

(٢٦) **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو (ط١، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

ابن جابر الوادي آشي: شمس الدين محمد بن جابر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) .

(٢٧) **برنامج ابن جابر الوادي آشي**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة (د. ط، جامعة أم القرى، تونس ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) .

(٢٨) **تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير** (د. ط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

الجزيري : عبد القادر بن محمد (ت نحو ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م) .

(٢٩) **الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، تحقيق حمد الجاسر(ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) .

(٣٠) **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

ابن حاتم : بدر الدين محمد بن حاتم اليامي الهمداني (ت بعد ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م).

(٣١) **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن**، تحقيق ركس سميث (د. ط، د. ن، كمبردج ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

ابن الحاج : أبو عبد اله محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م)

(٣٢) المدخل (د. ط، دار الحديث، القاهرة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)

حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م) .

(٣٣) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** (د. ط، مكتبة المثنى، بغداد ١٣٨٦م).

ابن حبيب : الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) .

(٣٤) **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**، تحقيق محمد محمد أمين (د. ط مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م).

ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

(٣٥) **إنباء الغمر بأبناء العمر** (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

(٣٦) **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق (ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م) .

(٣٧) **ذيل الدرر الكامنة**، تحقيق عدنان درويش (د. ط، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

الحربي : أبو إسحاق إبراهيم (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) .

(٣٨) **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة** (ط٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م).

(٣٩) **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون (ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

الحميري : محمد عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م) .

(٤٠) **الروض المعطار في خبر الأقطار** (ط٢، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٤م).

ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) .

(٤١) **صورة الأرض** (د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م) .

ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م) .

(٤٢) **المسالك والممالك**، وضع مقدمته وهوامشة محمد مخزوم (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الخزرجي : موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن وهاس (ت٨١٢هـ/ ١٤٠٩م).

(٤٣) **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية**، تحقيق محمد بن علي الأكوع (ط٢، دار الآداب، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

خسرو : ناصر (ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)

(٤٤) **سفر نامه**، ترجمة يحيى الخشاب (ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٠م).

الخطيب البغدادي : أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)

(٤٥) **الفقيه والمتفقه** (د.ط، د.ن، القاهرة ١٩٧٧م) .

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

(٤٦) **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** (د. ط، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ابن خلكان : أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

(٤٧) **وفيات الأعيان وأنباء الزمان**، تحقيق احسان عباس (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

ابن خياط: خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)

(٤٨) **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق سهيل زكار (د. ط، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) .

(٤٩) **الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م).

(٥٠) **جمهرة اللغة**، تحقيق رمزي منير بعلبكي (ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م).

ابن دقماق : إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م).

(٥١) **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي (د. ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت د. ت) .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

(٥٢) **ذيول العبر في خبر من غبر**، تحقيق أبو هاجر محمد العيد (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) .

(٥٣) **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم الزيبق (ط٦، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩هـ/ ١٩٨١م) .

(٥٤) **المختار من تاريخ ابن الجزري**، دراسة وتحقيق خضير عباس محمد خليفة المنشداوي (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

ابن رافع السلامي : تقي الدين أبي المعالي محمد بن رافع بن هجرس (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) .

(٥٥) **الوفيات**، تحقيق صالح مهدي عباس (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) .

ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (ت قبل ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) .

(٥٦) **الأعلاق النفيسة** (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

ابن رشيد: أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م)

(٥٧) **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الرشيدي : أحمد (ت ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م) .

(٥٨) **حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج**، تحقيق ليلى عبداللطيف أحمد (د. ط، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٨٠م) .

الزبيري : أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م) .

(٥٩) **نسب قريش**، عني بنشره ليفي بروفنسال (ط٣، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢م) .

الزمخشري : جار الله بن القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) .

(٦٠) **أساس البلاغة**، تحقيق عبد الرحمن محمود (د.ط، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) .

(٦١) **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** (د.ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٩٥٢م) .

السبكي : تاج الدين عبد الوهاب بن علي (٧٧١هـ/١٣٦٩) .

(٦٢) **طبقات الشافعية الكبرى** (ط٢، دار المعرفة، بيروت د.ت) .

ابن سحنون : محمد (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)

(٦٣) **آداب المتعلمين** (د.ط، د.ن، تونس، د.ت) .

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) .

(٦٤) **الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، تحقيق محمد عثمان الخشت (د.ط، مكتبة الساعي، الرياض ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) .

(٦٥) **التبر المسبوك في ذيل السلوك** (د.ط، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة د.ت) .

(٦٦) **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة** (د.ط، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة جـ١، جـ٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، جـ٣ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م

(٦٧) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** (د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت) .

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م).

(٦٨) **الطبقات الكبري** (د.ط، دار صادر، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

(القسم المتمم)، تحقيق زياد محمد منصور (ط٢، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) .

ابن سعيد المغربي : أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٧م) .

(٦٩) **كتاب الجغرافيا**، حققه إسماعيل العربي (ط١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٧٠م) .

السمعاني : أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م).

(٧٠) **الأنساب**، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي (ط١، ار الجنان، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

السمهودي : نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

(٧١) **الوفا بما يجب لحضرة المصطفى**، ضمن كتاب رسائل في تاريخ المدينة (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) .

(٧٢) **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى** (د.ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

(٧٣) **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد (د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) .

(٧٤) **تاريخ الخلفاء**، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد (ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

(٧٥) **لب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، أشراف أحمد عبد العزيز (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

ابن شاكر الكتبي محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)

(٧٦) **عيون التوارخ**: تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داوود (د. ط، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م).

(٧٧) **فوات الوفيات**: تحقيق إحسان عباس (د. ط، دار صادر/ بيروت ١٩٧٤م).

أبو شامة: شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)

(٧٨) **الذيل على الروضتين** (د. ط، دار الجيل، بيروت ١٩٧٤م).

(٧٩) **الروضتين. في أخبار الدولتين** (د. ط، دار الجيل، بيروت د. ت).

ابن شاهين الظاهري: غرس الدين خليل بن شاهين (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م)

(٨٠) **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، اعتنى بتصحيحه بولس راويس (د. ط، المطبعة الجمهورية، باريس ١٨٩٤م).

ابن شبه: أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م).

(٨١) **أخبار المدينة النبوية المعروف بتاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم محمد شلتوت (ط ٢، دار الاصفهاني للطباعة، جدة ١٤٠٢هـ).

الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م).

(٨٢) **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** (د. ط، مكتبة ابن تيمية، القاهرة د. ت).

شيخ الربوة: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م).

(٨٣) **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر** (ط١، دار إحياء التراث، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الصيرفي: علي بن داوود (ت ٩٠٠هـ/ ١٩٩٤م).

(٨٤) **إنباء الهصر بأبناء العصر**، تحقيق حسن حبشي (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٠م).

(٨٥) **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق حسن حبشي (د. ط، دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠م).

ابن طباطبا: محمد بن علي (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

(٨٦) **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

(٨٧) **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط ٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩م).

ابن ظهيرة: جمال الدين محمد جار الله (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م).

(٨٨) **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف** (ط ٢، د. ن، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

العباسي: أحمد بن عبد الحميد (ت ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م).

(٨٩) **عمدة الأخبار في مدينة المختار**، تحقيق محمد الطيب الأنصاري (د. ط، نشره أسعد درابزوني القاهرة د. ت).

ابن عبد البر: يوسفبن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).

(٩٠) **جامع بيان العلم وفضله** (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت).

ابن عبد الظاهر: محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م).

(٩١) **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق عبد العزيز الخويطر (ط١، نشر عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

ابن عبد المجيد: تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م).

(٩٢) **تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق مصطفى مجازي (د. ط، مطبعة مخيمر، القاهرة ١٣٨٤هـ).

العبدري: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت بعد ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م).

(٩٣) **رحلة العبدري**، حققه محمد الفاسي (د. ط، وزارة الثقافة المغربية، الرباط ١٩٦٨م).

العتبي: أبو نصر محمد بن عبد الجبار (ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م).

(٩٤) **تاريخ العتبي بهامش كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير** (د. ط، المطبعة الأميرية، بولاق القاهرة ١٢٩٠هـ).

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن زبي جرادة (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م).

(٩٥) **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق سهيل زكار (د. ط، دار البعث، دمشق ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

عرام: عرام بن الأصبغ السلمي (ت نحو ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م).

(٩٦) **أسراء جبال تهامة وبسكانها**، تحقيق عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، المجموعة الثامنة، جـ ٢ (ط١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

العصامي: عبد الملك بن حسين العصامي المكي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م).

(٩٧) **سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي** (د. ط، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ).

العليمي: أبو اليمن مجد الدين عبد الرحمن الحنبلي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢م).

(٩٨) **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل** (د. ط، د. ن، القاهرة ١٢٨٣هـ).

ابن العماد الأصبهاني: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).

(٩٩) **خريدة القصر وجريدة العصر**، قسم شعراء الشام، تحقيق شكري فيصل (د. ط، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

(١٠٠) **الفتح القسي في الفتح القدسي** (د. ط، مطبعة الموسوعات، القاهرة ١٣٢١هـ).

ابن عماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

(١٠١) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).

ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م)

(١٠٢) **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، تحقيق محمد حسن آل الطالقاني (ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م).

العياشي: أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر (ت ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م).

(١٠٣) **المدينة المنورة في رحلة العياشي**، تحقيق محمد أمحزون (ط١، دار الأرقم، الكويت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م).

(١٠٤) **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق محمد محمد محمدين (د. ط، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم) تحقيق عبدالرزاق الطنطاوي القرموط (ط١، الزهراء للإعلام، القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

الغزي : نجم الدين محمد (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥٠م).

(١٠٥) **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، تحقيق جبرائيل سليمان جبور (ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٩م).

الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد (٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م).

(١٠٦) **ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، تحقيق محمد صالح المراد (ط١، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

(١٠٧) **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، تحقيق نخبة من كبار العلماء (د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت د. ت).

(١٠٨) **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق فؤاد سيد (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

(١٠٩) **تقويم البلدان**، المتنبي بتصحيحه وطبعة ريفود ومالك كوكين ديسلان (د. ط، دار الطباعة السلطانية باريس ١٨٤٠م).

(١١٠) **المختصر في أخبار البشر**، (د. ط، مكتبة المتنبي، القاهرة د. ت).

ابن الفرات: ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤).

(١١١) **تاريخ ابن الفرات**، تحقيق قسطنطين زريق (د. ط، الجامعة الأمريكية، بيروت ١٩٣٩م).

ابن فرحون: إبراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م).

(١١٢) **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور (د. ط، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م).

ابن فندق: أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م).

(١١٣) **لباب الأنساب والألقاب والأعقاب**، تحقيق السيد مهدي الرجائي (ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم إيران ١٤١٠هـ).

ابن الفقيه: أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت نحو ٣٤٠هـ/ ٩٥١م).

(١١٤) **مختصر كتاب البلدان** (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

ابن فهد: عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م).

(١١٥) **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام** (ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم شلتوت (ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

ابن فهد: النجم عمر بن محمد (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م).

(١١٧) **إتحاف الورى بأخبار أم القرى** الأجزاء ١، ٢، ٣ تحقيق فهيم محمد شلتوت (ط١، جامعة زم القرى بمكة المكرمة، مكتبة الخانجي القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) جـ ٤ تحقيق عبد الكريم على باز (ط١، جامعة أم القرى مؤسسة مكة للطباعة والإعلام مكة المكرمة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

(١١٦) **معجم الشيوخ**، تحقيق حمد الجاسر (د. ط، دار اليمامة للبحث والترجمة، والنشر، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

الفيروزآبادي: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م).

(١١٨) **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ).

(١١٩) **المغانم المطابة في معالم طابة** (قسم المواضع) تحقيق حمد الجاسر (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

ابن القاضي: أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م)

(١٢٠) **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور (ط١، المكتبة العتيقة تونس، دار التراث القاهرة، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدمشقي (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م).

(١٢١) **تاريخ ابن قاضي شهبة**، تحقيق عدنان درويش (د. ط، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ١٩٧٧م).

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

(١٢٢) **الإمامة والسياسة**، تحقيق طه محمد الزيني (د. ط، مؤسسة الحلبي، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٧م).

ابن قدامة: موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

(١٢٣) **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار**، تحقيق علي نويهض (د. ط، دار الفكر، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى (٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م).

(١٢٤) **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق وتقديم أحمد الشتيوي، (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

القرشي: عبد القادر بن محمد (ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م).

(١٢٥) **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو (د. ط، دار العلوم، الرياض ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

القرماني: أحمد بن يوسف (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)

(١٢٦) **أخبار الدول وآثار الأول**، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، جـ ٢ (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

القلصادي: أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م).

(١٢٧) **رحلة القلصادي**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان (د. ط الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٨م).

القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

(١٢٨) **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** (د. ط، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

(١٢٩) **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

(١٣٠) **مآثار الأنافة في معالم الخلافة**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (ط٢، عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٠م).

(١٣١) **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الابياري (ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م).

(١٣٢) **البداية والنهاية** (ط٢، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٧٧م).

الكندي: أبي عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م).

(١٣٣) **كتاب الولاة وكتاب القضاة** (د. ط، مؤسسة قرطبة، القاهرة د.ت).

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م).

(١٣٤) **الكامل** (د. ط، دار الفكر ، القاهرة د.ت).

ابن المجاور: جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب (ت بعد ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

(١٣٥) **تاريخ المستبصر**، تحقيق أو سكر الفجرين (د. ط، مطبعة بريل، ليدن ١٩٥١م.

المراغي: زين الدين أبي بكر بن الحسين (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م).

(١٣٦) **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي (ط٢، المكتبة العلمية، المدينة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).

(١٣٧) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (ط٤، المكتبة التجارية الكبري، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

المطري: جمال الدين أبو عبد الله محمد بن زحمد (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)

(١٣٨) **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة** ، تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال (د. ط، منشورات أسعد طرابزوني الحسيني، المدينة المنورة ١٣٧٢هـ).

المقدسي : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م).

(١٣٩) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق محمد مخزوم (د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

المقري: أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).

(١٤٠) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس (د. ط، د.ن، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

(١٤١) **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال (د. ط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

(١٤٢) **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، دراسة وتحقيق محمد كمال الدين علي (ط، عالم الكتب، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

(١٤٣) **الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك** ، تحقيق جمال الدين الشيال (د. ط، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٥م).

(١٤٤) **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محـمد مصطفى زيادة (ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م).

المنذري: زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

(١٤٥) **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق بشار عواد معروف (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).

(١٤٦) **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، (د. ط، دار لسان العرب، بيروت د. ت).

مؤلف مجهول: (مؤلف من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي).

(١٤٧) **أخبار الدولة العباسية**، تحقيق عبد العزيز الدوري - عبد الجبار المطلبي (د. ط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

مؤلف مجهول: (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

(١٤٨) **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد (د. ط، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد د. ت).

الميورقي: أحمد بن علي بن زبي بكر العبدري (ت ٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م).

(١٤٩) **بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج**، تحقيق إبراهيم محمد الزيد (ط١، د. ن، الطائف ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

النابلسي: عبد الغني بن إسماعيل (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م).

(١٥٠) **الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز المعروفة برحلة النابلسي**، (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م).

ابن النجار: محمد بن محمود (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م).

(١٥١) **الدرة الثمينة في تاريخ المدينة**، الملحق الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين محمد بن أحمد الفاسي، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء (د. ط، مكتبة النهضة الحديثة، مكة د. ت).

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م).

(١٥٢) **نهاية الأرب في فنون الأدب** (د. ط، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م).

نهاية الأرب في فنون الأدب (القسم التاريخي) تحقيق محمد عبد الهادي شعيرة (د. ط، الهيئة المصرية العامة لكتاب، القاهرة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

الهجري: أبو علي هارون بن زكريا (ت نحو ٣٠٠هـ/ ٩١٢م).

(١٥٣) **التعليقات والنوادر**، دراسة حمد الجاسر (ط٣، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م).

(١٥٤) **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (د. ط، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

الورثيلاني: الحسين بن محمد (ت ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م).

(١٥٥) **نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار** (ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).

(١٥٦) **تاريخ ابن الوردي ويعرف بتتمة المختصر في أخبار البشر** (ط٢، المطبعة الحيدرية، النجف ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

اليافعي: عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليمني (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م).

(١٥٧) **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان** (د. ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٣٣٧هـ).

ياقوت: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

(١٥٨) **المشترك وصفاً والمفترق صقعاً** (د. ط، جامعة شريفتن، غوتنجن ١٨٤٦م).

(١٥٩) **معجم البلدان** (د. ط، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

يحيى بن الحسين (ت ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م).

(١٦٠) **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد مصطفى زيادة (د. ط، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)

(١٦١) **البلدان**، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

(١٦٢) تاريخ اليعقوبي (د. ط، دار صادر، بيروت د. ت).

اليوسفي: موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٧م).

(١٦٣) **نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر** (ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

اليونيني: قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد أحمد (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)

(١٦٤) **ذيل مرآة الزمان** (د. ط، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن الهند ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).

ثالثاً: المراجع العربية المطبوعة

آدم متز

(١) **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

إبراهيم رفعت باشا

(٢) **مرآة الحرمين** (ط١، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م).

إبراهيم العباسي

(٣) **المدينة بين الماضي والحاضر** (د. ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

أحمد السباعي

(٤) **تاريخ مكة**، (ط٤، مطبوعات نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

أحمد عمر الزيلعي

(٥) **مكة وعلاقاتها الخارجية** (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

أحمد عيسى

(٦) تاريخ البيارستانات في الإسلام (د.ط، دمشق ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م).

أحمد كمال الدين حلمي

(٧) السلاجقة في التاريخ والحضارة (ط٢، ذات السلاسل، الكويت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

أحمد محمد البرادعي

(٨) المدينة المنورة عبر التاريخ الإسلامي (ط١، دار الكتاب، بيروت، ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م).

(٩) الدرر السنية في الأنساب الحسنية والحسينية، (ط٢، د. م ، بيروت ١٣٩٤هـ).

أحمد محمد عدوان

(١٠) المماليك وعلاقاتهم الخارجية (ط١، دار الصحراء السعودية للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

أحمد ياسين الخياري

(١١) أمراء المدينة وحكامها من عهد النبوة حتى اليوم (ط١، مكتبة المدينة المنورة، المدينة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢).

(١٢) تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً (ط١، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

إسماعيل البغدادي

(١٣) هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين(د. ط، مكتبة المثنى، بغداد د. ت).

بكر أبوزيد

(١٤) طبقات النسابين (ط١، دار الرشد، الرياض ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

جعفر الخليلي

(١٥) موسوعة العتبات المقدسة، قسم المدينة جـ ١ (ط١، دار التعارف، بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

جميل حرب

(١٦) الحجاز واليمن في العصر الأيوبي (ط١، تهامة للنشر والمكتبات، جده ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م). جواد علي

(١٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (ط٢، جامعة بغداد، د. م ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).

حسن إبراهيم حسن

(١٨) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (ط٧، دار احياء التراث العربي، القاهرة ١٩٦٤م).

حسن الباشا

(١٩) الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق (د. ط، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).

حسين مؤنس

(٢٠) أطلس تاريخ الإسلام (ط١، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).

حمد الجاسر

(٢١) رسائل في تاريخ المدينة (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

(٢٢) **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية**، (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
(٢٣) **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)** (ط١، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
(٢٤) **في شمال غرب الجزيرة** (ط٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
(٢٥) **معجم قبائل المملكة العربية السعودية** (ط١، النادي الأدبي، الرياض ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)
(٢٦) **بلاد ينبع** (د. ط، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض د.ت).

خير الدين الزركلي

(٢٧) **الأعلام** (ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م).

راشد سعد راشد القحطاني

(٢٨) **أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين** (د، ط، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

ريتشارد مورتيل

(٢٩) **الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي** (د. ط، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

ستانلي لين بول

(٣٠) **الدول الإسلامية** (د. ط، مكتب الدراسات الإسلامية، دمشق ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

سعيد الأفغاني

(٣١) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام (ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

سليمان عبد الغني مالكي

(٣٢) بلاد الحجاز منذ نهاية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية ببغداد (د. ط، دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

(٣٣) مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة منذ السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية (د. ط، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م).

صالح لمعي مصطفى

(٣٤) المدينة المنورة «تطورها العمراني وتراثها المعماري» (د. ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١م).

عاتق البلادي

(٣٥) معجم قبائل الحجاز (د. ط، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٢م).

عاصم حمدان علي حمدان

(٣٦) حارة الأغوات (ط١، دار القبلة للثقافة الإسلامية (جدة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

عبد الباسط بدر

(٣٧) التاريخ الشامل للمدينة المنورة، (ط١؛ د. ن، المدينة المنورة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني

(٣٨) التراتيب الإدارية (د. ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت).

عبد الرحمن حمد المغيري

(٣٩) المنتخب في ذكر أنساب العرب، تحقيق إبراهيم محمد الزيد (ط١، دار الحارثي للطباعة، الطائف ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

عبد الرحمن صالح عبد الله

(٤٠) تاريخ التعليم في مكة (د. ط، دار الشروق، جدة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

عبد الرحمن علي الحجي

(٤١) التاريخ الأندلسي (ط٢، دار القلم، دمشق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

عبد العزيز العمري

(٤٢) الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم (ط١، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة ١٩٨٥م).

عبد القدوس الأنصاري

(٤٣) آثار المدينة المنورة (ط٣، المكتبة السلفية، المدينة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس

(٤٤) مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

عبد الله فرج الزامل الخزرجي

(٤٥) المدينة المنورة عاداتها وتقاليدها (ط١، تهامة للنشر، جدة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

عثمان موافي

(٤٦) منهج النقد التاريخي (ط٢، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية ١٩٧٦).

علي حافظ

(٤٧) فصول من تاريخ المدينة (ط٢، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة ١٤٠٥هـ).

علي حسين السليمان

(٤٨) العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك (د. ط، دار حراء، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

(٤٩) النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى (ط١، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١م).

علي السيد علي

(٥٠) الحياة الثقافية في المدينة المنورة عصر سلاطين المماليك (ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

علي غبان

(٥١) الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة (ط١، مطبعة سفير ، الرياض ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

عمر رضا كحالة

(٥٢) معجم المؤلفين (د.ط، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

(٥٣) **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة** (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

فالتر هنتس

(٥٤) **المكاييل والأوزان الإسلامية**، ترجمة كامل العلي (د. ط، الجامعة الاردنية، عمان ١٩٧٠م).

محسن الأمين

(٥٥) **أعيان الشيعة**، تحقيق حسين الأمين (د. ط، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

محمد أحمد دهمان

(٥٦) **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** (ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

محمد أحمد العقيلي

(٥٧) **التصوف في تهامة** (د. ط، دار البلاد للطباعة والنشر، جدة د.ت).

محمد جمال الدين سرور

(٥٨) **سياسة الفاطميين الخارجية** (د. ط، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٦م).

محمد عبد الرحمن الشامخ

(٥٩) **التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني** (ط١، دار العلوم، مكتبة النهضة، الرياض ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

محمد عبد المنعم خفاجي

(٦٠) **الخفاجيون في التاريخ** (د. ط، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).

محمد قنديل البقلي
(٦١) **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى** (د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣م).
محمد محمد مخلوف
(٦٢) **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** (د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. م، د. ت).
محمد لبيب البتنوني
(٦٠٣) **الرحلة الحجازية** (د. ط، مكتبة المعارف، الطائف د. ت).
ياسين أحمد الخياري
(٦٤) **صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة** (ط٢، مؤسسة المدينة للصحافة، جدة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

رابعاً : الدوريات والندوات
أحمد عمر الزيلعي
(١) بنو حرام، حكام حلي، وعلاقاتهم الخارجية، **مجلة كلية الآداب، المجلد الخامس عشر، العدد الأول** (جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
(٢) المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي، **حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة الرسالة التاسعة والثلاثون** (جامعة الكويت، الكويت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).
سامي الصقار
(٣) لمحات عن نشوء الحركة العلمية في الحجاز في صدر الإسلام، **دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث** (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

عبد الرحمن عبد الله الشيخ

(٤) لودوفيكودي فارتيـما «الحاج يونس المصري» الرحالـة الإيطالي والعميل البرتغالي ورحلته إلى الأماكن المقدسة سنة ١٥٠٣م، **مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع جـ ٢**، (الرياض ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

عبد العزيز صالح الهلابي

(٥) الحركة الثقـافية في الجزيرة العربية حتى نهاية عـصر الخلفاء الراشدين، **دراسات في تاريخ الجـزيرة العربية، الكتـاب الثالث** (ط١، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٠/ ١٩٨٩م).

عبد اللطيف إبراهيم

(٦) وثائق الوقف على الأماكن المقدسة (**دراسات في تاريخ الجزيـرة العربية، الكتاب الأول**، الجزء الثاني، جامـعة الملك سعود، الرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

عبد الله العنقاوي

(٧) مكة في عهد الشريف قتادة، **مجلة كلية الآداب، المجلد الثاني عشر العدد الأول** (جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

لودوفيكودي فارتيما

(٨) رحلة فارتيما إلى الحـجاز واليمن والهند، **مجلة المقـتطف، المجلد الثامن والثلاثون** (القاهرة يناير ١٩١١م).

الدوريات الأجنبية

(1) MORTEL, RICHARD, T The Origins and Early Hstory of The Husaynid Amirate of Madina to the End of the Ayyubid Period, **Studia Islamica** Paris 74 (1991).

(2) The Husaynid Amirate of Madina during the Mamluk Period **Studia Islamica** Paris 80 (1994).

خامساً: رسائل جامعية غير منشورة

أحمد عبد الحميد خفاجي

(١) **موقف مصر من الحجاز في عهد المماليك الجراكسة (٨٤٢- ٩٢٣هـ/ ١٤٣٨- ١٥١٧م)** (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ١٩٦٨م).

سعيد القحطاني

(٢) **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين** (رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م).

طرفة العبيكان

(٣) **الحياة العلمية والاجتماعية في مكة خلال القرنين السابع والثامن للهجرة** (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٠٦هـ).

عائشة باقاسي

(٤) **مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري**، دراسة تاريخية حضارية، (رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة ١٤١٣هـ - ١٤١٤هـ).

عواطف محمد يوسف نواب

(٥) الرحلات المغـربية والأندلسية مصـدر من مصادر تاريخ الحجـاز في القرنين السابع والثامـن الهجريين (رسالة ماجـستير غير منشـورة، قسم التاريخ الإسلامي، كليـة الشريعة والدراسات الإسـلامية، جامـعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

محمد صالح الطاسان

(٦) تحـقـيق ودراسـة لكتـــاب الأرج المسكي في التـاريخ المكي لمـؤلفـه علي بن عبدالقادر الطبري (١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م) (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة أدنبره، بريطانيا ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م).

منى المشاري

(٧) المجاورون فـي مكة والمدينة في العصـر المملوكي (رسالة مـاجسـتير غـير منشورة، قسم التـاريخ، كلية الآداب، جامعـة الملك سعود، الرياض ١٤٠٩هـ).

رسائل جامعية بلغة أجنبية

Urainan, Mohammed, Abdel, Qadir Al Taberi - **Nasha'at Al- Sulafa bi Munsheat al-Kwlafah** unpublished Thesis, Submitted for degree of Doctor, of Philosophy, University of St. Andrews, Department of Arabic Studies, England 1972).

الفهـــارس العامـــة

فهرس الأعلام

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ن)

فهرس القبائل والطوائف والفرق والمذاهب

فهرس الأماكن والبلدان

(ن)

❖ ❖ ❖

مطبعة
مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية